أُسْلُوبِيَّةُ التَّرْكِيبِ فى شِعْرِ الشَّرِيفِ المُرْتَضَى



تأليف الدكتور
سمير عوض الله رفاعي

تقديم الأستاذ الدكتور
أحمد يوسف علي

مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت : ٢٣٩٠٠٨٦٨

Editions Al-Adab 1923
42 Opera Square - Cairo Tel: (202) 23900868

أسلوبية التركيب
فى شعر الشريف المرتضى

تأليف
دكتور
سمير عوض الله رفاعي
دكتوراه النقد الأدبي والبلاغة
كلية الآداب – جامعة بنها

تقديم
الأستاذ الدكتور
أحمد يوسف على
أستاذ النقد الأدبي والبلاغة
وكيل كلية الآداب
جامعة الزقازيق

مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا – القاهرة
e.mail:adabook@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر

مكتبة الآداب

علي حسن

الطبعة الأولى

بطاقة فهرسة أثناء النشر

إعداد الهيئة العامة

لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشئون الفنية

رفاعي ، سمير عوض الله.

أسلوبية التركيب في شعر الشريف المرتضى

تأليف سمير عوض الله رفاعي ، تقديم أحمد يوسف علي.–

ط١ .–

مكتبة الآداب، ٢٠١٠ . القاهرة

ص، ٢٤ سم

تدمك ٦ ٢٥٥ ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١- الشعر العربي – تاريخ ونقد.

٨١١,٩

٢- الشريف المرتضى ، محمد بن الحسين بن موسى

أبو الحسن ، ٩٧٠ - ١٠١٥

أ - علي ، أحمد يوسف (مقدم)

ب- العنوان/

عنوان الكتاب: أسلوبية التركيب في شعر الشريف المرتضى

تأليف : سمير عوض الله رفاعي

تقديم : أحمد يوسف على

رقم الإيداع : ٢٠١٠/٢٠٨٦٢

الترقيم الدولي : ٦ ٢٥٥ ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨ I.S.B.N

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا – القاهرة

هاتف: ٣٩٠٠٨٦٨ (٢٠٢)

e-mail: adabook@hotmail.com

الإهـداء

- إلى أمي الغالية / فايـزة علـى سعـد. .

تلك التي تحمَّلت من أجلي الكثيرَ

أهدى هذه الرسالةَ.

مدونة لسان العرب

أ علاء الدين شوقي

الأستاذ / علاء الدين شوقي

علي سبيل التقديم

لم يكن التراث الفكري أو البلاغي والنقدي أو الشعري في الحضارة العربية الإسلامية إلا رصيدًا حضاريًا لتلاقي عدة شعوب وثقافات وعقائد وفنون انصهرت في بوتقة الحضارة العربية الإسلامية. هذا التراث المتسع المتعدد المتنوع القائم علي مبدأي الوحدة والاختلاف هو مادة العلم، وقاعدة المعرفة بمعناها الأشمل. ولذلك توفرت عليه مناهج عديدة متباينة ومتكاملة منذ نهضة العلم الحديث في بلادنا إلي الآن. والتراث الشعري علي نحو خاص تراث قابل للتأويل العلمي اتباعًا لقواعد اللغة ومقتضيات الثقافة. وجدنا ذلك عندما تناول رواد الفكر والنقد الشعراء الكبار ابتداء من العصر الجاهلي ومرورًا بما تلاه من عصور، تناولوهم لا بهدف تعريف الناس بهم، وإن كان هذا الهدف مطلوبًا علي الدوام، بل بهدف تأصيل ما آمنوا به من فكر وما شغلهم من قضايا المنهج العلمي النقدي. فقدم طه حسين أبا العلاء المصري رمزًا للعقل ومنارة للوجدان، فكان أبو العلاء هو الشاعر وهو الفيلسوف الذي شغل الناس بما أثاره من قضايا علمية شائكة، وإزاحة السكون الجاثم علي مسلمات لم تعد قادرة علي مواجهة الشك والتساؤل.

ولم تكن قراءة طه حسين لأبي العلاء المصري هي القراءة اللافتة القائمة علي التأويل، فقد كان العقاد علي سبيل المثال باحثًا عن النماذج الفردية الفذة علي اختلاف مستوياتها ابتداء من نماذج الأنبياء مرورًا بالقادة والزعماء وصولًا إلي شخصيات فذة من الشعراء وكان فضله لا ينكر عندما اكتشف الطوابع الفردية في إبداع ابن الرومي وأعاد بعثه إلي تاريخ الأدب، وإلي حياة الكبار من العظماء.

وعلي هذا النحو يأتي الشريف الرضي، وأخوه الشريف المرتضى الشاعران النقيبان البارزان في القرن الرابع الهجري بما يمثلان من قامة أدبية وفكرية، ورياسة مذهبية علوية جمعت حولها قلوب المريدين، ومن رسم هذه المواقع الروحية

الأصلية كانت لوحات القصائد الشعرية الصافية التي أثارت في المتلقين عبر العصور تساؤلات وانطباعات عديدة. دفعت الدكتور **سمير عوض الله رفاعي** إلي الكشف عما تتميز به لغة الشعر عند الشريف المرتضى، فاتجه إلي الدرس الأسلوبي المعاصر مستعينا به علي تحليل هذه اللغة، متوقفًا عند إحدي رقائقه أعني مبحث التراكيب ليوضح أمارات التفرد والتميز علي مستوي الجملة، وما يطرأ عليها من حذف أو توكيد أو تقديم أو تأخير أو علي مستوي الروابط والأساليب.

والدراسة التي بين أيدينا دراسة علمية جادة اتخذت من المنهج العلمي المعاصر سبيلًا للوصول إلي غاياتها المحددة خلال ما طرحته من أسئلة، وما توصلت إليه من إجابات وجدية هذه الدراسة تعني جدية الباحث الذي توفر عليها وتحلي بالصبر والمثابرة، وحب الموضوع الذي يدرسه والتضحية في سبيله بوقته أو جهده أو ماله أو بكل ذلك. وهذا ما رأيته عليه عبر رحلة الطلب العلمي التي بدأت خطواتها الأولي بالدراسات العليا منذ عدة سنوات ومازلنا ننتظر منه المزيد في هذا المجال.

وبالله التوفيق،،

الأستاذ الدكتور

أحمد يوسف علي

أستاذ النقد والبلاغة

ووكيل كلية الآداب للدراسات العليا

جامعة الزقازيق

٢٠/٨/٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِيْنَ

وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المرْسَلِيْنَ.

المقدِّمةُ

الشَّرِيْفُ المُرْتَضَى هو أبو القاسمِ عَلِيُّ بنُ الحسينِ بنِ موسى بنِ إبراهيمَ العَلَوِيُّ المُوسَوِيُّ البَغْدَادِيُّ(٣٥٥ هـ/ ٩٦٦م) (٤٣٦ هـ/ ١٠٤٥م)، مِنْ حُفَدَاءِ الحسينِ بنِ عَلِيٍّ رضي اللهُ عنهُما. وَقَدْ نَشَأَ المُرْتَضَى فِي أُسْرَةٍ شِيْعِيَّةٍ تَمَتَّعَتْ بمنزلةٍ اجتماعيةٍ ودينيةٍ وثقافيَّةٍ عظيمةٍ، وذلكَ ممَّا أَهَّلَه لأَنْ يكونَ عالمًا وشاعرًا وأديبًا[1].

أولا: أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

وَقَدْ عَرَفَ القُدَماءُ من المؤرخِيْنَ للمرتضى منزِلَتَهُ، فأشادوا بِذِكْرِهِ وعُلُوِّ مكانتِه بَيْنَ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ وأدبائِهِ، ونَصَّ كثيرٌ منهم عَلَى أنه كان من أئمةِ المسلمينَ فِي الفقهِ والأصولِ والتفسيرِ وعلمِ الكلامِ، ومِنْ أبرزِ مَنْ نَبَغَ فِي علومِ العربيَّةِ والنَّقْدِ والأدبِ وروايةِ الشِّعْرِ وأخبارِ العربِ. وَذَكَرُوا الْعَدِيْدَ مِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ فِي هَذِهِ المجالاتِ كما نَوَّهُوا بديوانِ شِعْرِهِ وضخامتِهِ، وإجادتِه فيه[2].

1- ينظر فِي ترجمة الشريف المُرْتَضَى :

١- ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - تحقيق: إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - لبنان - ١٩٦٨م - جـ٣ - ص ٣١٣ .

٢- محمد بن الحسن الطوسي : الفهرست - تحقيق:محمد صادق بحر العلوم - المطبعة الحيدرية-١٩٦١م - ص١٢٥

2- ينظر : كمال الدين بن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب فِي معجم الألقاب - تحقيق: مصطفى جواد - المطبعة الهاشمية - دمشق - ١٩٦٢م - جـ ٤ - رقم (١) - ص ٦٠٠ وما=

وَقَدْ قامَ بِتَحْقِيْقِ هذا الدِّيْوَانِ رشيدُ الصَّفَّار، وقدَّمَ له محمد رضا الشبيبي، وَرَاجَعَهُ الدكتور / مصطفى جواد، وطُبِعَ بدارِ إحياءِ الكتبِ العربيةِ بالقاهرةِ (عيسى البابي الحلبي) سنةَ ١٩٥٨م، وَصَدَرَ في ثلاثةِ مجلداتٍ.

والدِّيْوَانُ المُحَقَّقُ[1] يشْتَمِلُ عَلَى ستَّةٍ وثلاثينَ وتسعمائةٍ وثلاثةَ عشرَ أَلْفِ (١٣٩٣٦) بَيْتٍ، توزَّعَتْ عَلَى قصائدَ ومقطوعاتٍ ونُتَفٍ وأبياتٍ مفردةٍ (يتيمة)، وَقَدْ بَلَغَ عددُ القصائدِ خمسمائةَ (٥٠٠) قصيدةٍ، اِشْتَمَلَتْ عَلَى سَبْعَةٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَثلاثةَ عَشَرَ ألفِ (١٣٠٤٧) بَيْتٍ، بينما بَلَغَ عددُ المقطوعاتِ سَبْعَةً وثمانينَ ومائةَ (١٨٧) مقطوعةٍ، اشتملتْ عَلَى ثمانينَ وثمانمائةِ (٨٨٠) بَيْتٍ، وبَلَغَ عددُ النُّتَفِ أربعًا بواقعِ عشرةِ أبياتٍ، فِيْ حين لم يأتِ إلا بيتٌ واحدٌ مفردًا.

وعلى الرَّغْمِ من هذا كُلِّه فإنَّ من كتبوا فِيْ تاريخِ الأدبِ العربيِّ من المحدثينَ - من مثلِ الدكتور/ شوقي ضيف، وكارل بروكلمان، وعَلِي الخاقاني - لم يذكروا الشَّرِيفَ المُرْتَضَى فِيْ كُتُبِهِمْ، ولمْ يُشِيروا إلى ديوانِ شِعْرِهِ [2]، كما أنني لَمْ أَجِدْ من النُّقَّادِ المحدثينَ إلا ناقدًا واحدًا - عَلَى حَدِّ عِلمي - قَدْ أَفْرَدَ ديوانَ المُرْتَضَى جميعَهُ بالدَّرْسِ والتَّحْليلِ وَأَمَّا الآخَرُوْنَ فَمِنْهُمْ مَنْ دَرَسَهُ فِيْ سِيَاقِ دراستِهِ لِنِتَاجِ الرَّجُلِ العِلميِّ والأدبيِّ وَمِنهُمْ مَنْ اقْتَصَرَ فِيْهِ عَلَىْ دِرَاْسَةِ غَرَضٍ مِنْهُ دُوْنَ غيرِهِ، وهذا ممَّا دَفَعَنِي للقيامِ بهذه الدراسةِ رَغْبَةً مني فِيْ إضافةِ شيءٍ جديدٍ إلى ما كُتِبَ عَنْ شِعْرِ المُرْتَضَى، ورَغْبَةً مني - أيضًا - فِيْ الوقوفِ عَلَى خصائصِ التَّراكيبِ وسِمَاتِها عند

=بعدها . وجلال الدين السيوطي : بغية الوعاة في طبقات النحاة - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - الحلبي - القاهرة - ١٩٦٥م - جـ٢ - ص١٦٢.

1- وهذه النسخة المحققة هي التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة.

2- لأنَّهُمْ عَنْهُ - فِيمَا يَبْدُو - قَدْ انْشَغَلُوْا بأعلامِ عَصْرِهِ مِنَ الشعراءِ ، مِنْ مِثْلِ : المتنبي (ت٣٥٤هـ) ، والشَّرِيْفِ الرَّضِي (ت٤٠٦هـ)

المُرْتَضَى الذى جَمَعَ بَيْنَ الشِّعْرِ والعلمِ، لأُبَيِّنَ أَسْرَارَهـا، وأكـشفَ عَـنْ أبعـادِ المعنـى الشِّعْرِىِّ عِنْدَهُ، مُبَيِّنًا قُدْرَتَهُ عَلَى الانحرافِ عَنْ النِّظَامِ النَّحْوِىِّ، كاشفًا عَنْ الارتباطِ الوثيقِ بين حركةِ التراكيبِ والأفكارِ السَّائِدَةِ فِيْهَا.

ثانيا: الدِّراساتُ السَّابِقَةُ :

ومِنْ أهمِّ الدراساتِ التى اهْتَمَّتْ بشعرِ الشريفِ المُرْتَضَى ما يلى :-

الدراسةُ الأولى بِعُنْوَانِ «أدبُ الشَّرِيفِ المُرْتَضَى» لعبـد الـرازق محـى الـدين وهى رسالةُ دكتوراه مخطوطةٌ بكليةِ الآدابِ بجامعةِ القاهرةِ سنة ١٩٥٦م. وقَدْ اهْتَمَّ فيها صاحبُها بإعطاءِ صورةٍ عَنْ حياةِ المُرْتَضَى وعَنْ آثارِهِ ومُؤَلَّفَاتِهِ التـى تزيـدُ عَـلَى السبعينَ مُؤَلَّفًا فِىْ الفقهِ والكلامِ والأصولِ والتفسيرِ والنقـدِ والأدبِ، ومِـنْ ثَـمَّ لَمْ تَشْغَلْ دراسةُ الشِّعْرِ فِىْ رسالتِهِ إلا جزءًا صغيرًا تحدث فيه عَنْ أغراضِ الـشعرِ عِنْـدَ المُرْتَضَى مُعَلِّقًا عَلَى بعضِ الأبياتِ التى أَوْرَدَها، مُعْتَمِدًا فِىْ ذلكَ عَلَى ذَوْقِـهِ وَطَبْعِـهِ. وَقَدْ طُبِعَتْ هذه الرسالةُ سنةَ (١٩٥٨م) بمطبعةِ المعارفِ ببغدادَ.

أما الدراسةُ الثَّانِيَةُ فكانتْ بِعُنْوَانِ «الشَّرِيفُ المُرْتَضَى وأدبُهُ» لمحمد إبـراهيم عبدالرحمن المطرودى، وهى رسالةُ دكتوراه -أيضًا- مخطوطةٌ بكليـةِ اللُّغَـةِ العربيـةِ بجامعةِ الأزهرِ سنة ١٩٧٨ م. وهـذه الرسـالةُ لا تختلـفُ عَـنْ الرسـالةِ الـسَّابقةِ فِىْ شيءٍ، إِذْ قَـدْ عَـرَضَ صـاحبُها لـشعرِ المُرْتَـضَى فِىْ آخرِهــا، ذاكـرًا آراءَ القـدماءِ فِىْ شاعريتِهِ، وَمُتَطِرِّقًا لأَهَمِّ أَغْرَاضِهِ الشِّعْرِيَّةِ ومُوْرِدًا نُصُوصًا شِعْرِيَّةً كثـيرةً مـن شـعرِ المُرْتَضَى دُوْنَ أَنْ يُعَلِّقَ عَلَيْهَا.

والدِّرَاسَةُ الثالثةُ بِعُنْوَانِ «الغَزَلُ فِىْ شعرِ الشَّرِيفِ المُرْتَضَى، دراسةٌ مَوْضُوْعِيَّةٌ وَفَنِّيَّةٌ» لمنيب عبدالرازق محمد، وَهى رسالةُ ماجستير مخطوطةٌ بـآدابِ القـاهرةِ سـنةَ ١٩٨٧م. وَقَدْ رأى صاحبُها أَنَّ غَزَلَ الفقهاءِ والعلماءِ - والمُرْتَضَى لاَ شَـكَّ مـنهم - غزلٌ حقيقىٌّ ولَيْسَ رَمْزًا أو تَشَيُّعًا، ومِنْ ثَـمَّ فقـد مـضى يُحـاولُ فِىْ هـذه الرسـالةِ - مُعْتَمِدًا عَلَى ذَوْقِهِ - أنْ يُثْبِتَ هذا الرأىَّ ويكشفَ - عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ هُوَ - عَنْ الجانـبِ

الآخرِ مِنْ شخصيةِ المُرْتَضَى أو الوجهِ الآخرِ غيرِ المعروفِ مِنْ هذهِ الشَّخصيةِ. [1]

والدراسةُ الرابعةُ : «**الصورة الأدبية في شعر الشريف المرتضى**» لـ مشيرة محمد شديد إبراهيم، وهى رسالة دكتوراه مخطوطه بكلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر – القاهرة سنة ١٩٩٢ م.

والدراسةُ الخامسةُ : «**الفن الشعري بين الشريفين الرضي والمرتضى : عرض وتحليل وموازنة**» لـ محمد محمد موسى أبوجبل، وهى رسالة دكتوراه مخطوطه بكلية اللغة العربية بأسيوط جامعة الأزهر.

والدراسةُ السادسةُ : «**شِعْرُ الشَّرِيفِ المُرْتَضَى، دراسةٌ فَنِّيَّةٌ**» لـ عبد الحفيظ مصطفى عبد الهادى، وهي رسالةُ دكتوراه مخطوطةٌ بكليةِ دارِ العلومِ جامعةِ القاهرةِ سنةَ ١٩٩٧م. وهذه الدراسةُ مُتَّسِعَةٌ لا عُمْقَ فيها ولا استقصاءَ لقضاياها المدروسةِ إذ قد مَهَّدَ الباحثُ لرسالتِهِ – كما فَعَلَ سابِقُوه – بدراسةٍ تاريخيةٍ عن الشاعرِ وعصرِهِ، وبدأ بدراسةِ شعرِ المرتضى دراسةً مَوْضُوعِيَّةً موضحًا الأفكارَ والقضايا فى فنونِ شعرِهِ، ثم انتقلَ إلى دراسةِ ظواهر البناءِ الفنيِّ متمثلةً فى التَّنَاصِّ والالتفاتِ والانتقالِ ثم تناولَ اللُّغَةَ فى شعر المُرْتَضَى، فتحدثَ عن الألفاظِ ومدى ملاءمتِها للأغراضِ الشعريةِ ثَم تحدث بإيجازٍ عن بعضِ ظواهرِ التركيبِ مُتَمَثِّلَةً فى التقديمِ والحذفِ ثم انتقل إلى دراسةِ الصورةِ ثم الموسيقى.

وَقَدْ أغفلَ الباحثُ فى دراستِهِ عمليةَ الاحصاءِ، ولم يستطعْ أن يكشفَ عن الدَّلالةِ فى شعرِ المُرْتَضَى ؛ إذ كان يَجْتَزِئُ البيتَ من سياقِهِ الذى وَرَدَ فيه وَيُفَتِّتُ النَّصَّ الشِّعْرِىَّ.

---

1 – ينظر : منيب عبد الرازق محمد : الغزل فى شعر الشريف المرتضى ، دراسة موضوعية وفنية – رسالة ماجستير مخطوطة بآداب القاهرة – ١٩٨٧م – ص ٣ .

ومِنْ المُلاحظِ عَلَى الدِّراساتِ السابقةِ جميعِها أمرانِ، هُمَا :

١- أنَّ أصحابَها أَقْبَلُوا عَلَى دراسةِ شعرِ المُرْتَضَى وَقَدْ قَرَّ فِىْ نفوسِهم أنَّ الغزلَ فِىْ شعرِهِ غزلٌ حقيقىٌّ، وكان حقُّهم أن يُجرِّدُوا أَنْفُسَهم من هذا الموقفِ الفكرىِّ، وأن يُقْبِلُوا على دراسةِ شعرِ المُرْتَضَى دُوْنَ أن يكونَ لهم فِيه رأىٌ مُسْبَقٌ ليَتَسَنَّى لهم الوقوفُ عَلَى مضامينِهِ وأفكارِهِ.

١) وأنَّهُم حِيْنَ حاولوا تفسيرَ شعرِ المُرْتَضَى قامُوا بقراءتِهِ قِرَاءةً انْطِبَاعِيَّةً، والقراءةُ الانطباعيةُ هى «تلكَ القراءةُ التى تَقْصِدُ إلى نَثْرِ الأبياتِ وشَرْحِ ألفاظِها شَرْحًا لُغَوِيًا خالصًا، وَتَقْنَعُ بتسجيلِ المعانى المباشرةِ للشعرِ دُوْنَ الاقترابِ من الرُّموزِ فِىْ لُغَةِ الأبياتِ وَصُوَرِها ومضامينِها، وهى رموزٌ حين نتأملُها يمكنُ أنْ تُنِيرَ لنَا طريقَ الدُّخُولِ إلى عوالِمِهِ الخَفِيَّةِ»[1].

ثالثا: المَنْهَجُ المُتَّبَعُ فِىْ الدِّرَاسَةِ :

والمنهجُ المُتَّبَعُ فِىْ هذه الدِّرَاسَةِ هو المنهجُ الأسلوبىُّ الَّذِي ينطلقُ فِىْ دراستِه من لُغَةِ النَّصِّ الأدبىِّ المدروسِ، وينظرُ إليه باعتبارِهِ كُلًّا مُتَمَاسِكًا، كما ينظرُ إلى الأسلوبِ بِوَصْفِهِ انحرافًا عَمَّا تقتضيه المعاييرُ المقررةُ فِىْ النِّظَامِ اللُّغَوِىِّ[2]

1- إبراهيم عبد الرحمن محمد : الشعر الجاهلى ، قضاياه الفنية والموضوعية - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - الطبعة الأولى - القاهرة - ٢٠٠٠م - ص ١٢٣.

2- ينظر فى التعريف بالمنهج الأسلوبى : صلاح فضل : علم الأسلوب ، مبادئه وإجراءاته - دار الشروق - القاهرة - ط١ - ١٩٨٨ - ص ٩٢ : ١٤٦ ، لطفى عبد البديع : التركيب اللغوى للأدب - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة - ط١ - ١٩٩٧م - ص١٠٠ : ١١٠ ، أحمد درويش : دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٩٨م - ص١٣ :٣٩ .

وَقَدْ تَمَّ اختيارُ المنهجِ الأسلوبيِّ كإطارٍ نظريٍّ لهذه الدراسةِ ؛ لأنَّ الظاهرةَ الشعريةَ لُغَوِيَّةٌ فى جوهرِها لا سبيلَ إلى التَّأتِّى إليها إلا من جِهَةِ اللُّغَةِ، إذْ «يَتَشَكَّلُ الخطابُ النَّصِّيُّ مِنْ أَبْنِيَةٍ لُغَوِيَّةٍ، الأمرُ الذى يَقْتَضِى من أَيَّةِ مُقَارَبَةٍ عِلميَّةٍ له أَنْ تتأَسَّسَ عَلَى اللُّغَةِ، باعتبارِها أهمَّ مُتَغَيِّرٍ مُناسِبٍ لطبيعتِهِ».[1]

وَقَدْ نَظَرْتُ إلى شِعْرِ المُرْتَضَى كُلِّهِ باعتبارِهِ نَصًّا شِعْرِيًّا واحدًا يُفَسِّرُ بَعْضُهُ بَعْضًا؛ «لأنَّ هَذِهِ النصوصَ - على اختلافِ مصادرِها - هى نتاجُ فكرٍ واحدٍ، وموقفٍ مَعْرِفِيٍّ وَاحِدٍ أمامَ الوجودِ والتاريخِ ؛ لِذَا فَإِنَّهَا - وَإِنْ ارْتَدَتْ أَزْيَاءَ مُخْتلِفَةً - تَظَلُّ ذَاتَ أَصْلٍ جِذْرِيٍّ مُشْتَرَكٍ يَرُدُّهَا إلى وَحْدَتِهَا وَكُلِّيَّتِها»[2]، كما اسْتَعَنْتُ بالسِّياقِ الخارجيِّ للنَّصِّ عَلَى فَهْمِ السِّياقِ الداخليِّ له، شَرِيْطَةَ أَنْ «تعكسَ لُغَةُ النَّصِّ هذا السياقَ ويكونَ السِّياقُ أداةً فاعلةً فِى إضاءةِ النَّصِّ، وَسَبْرِ أَغْوَارِهِ»[3]

هذا، وإجْرَاءَاتُ المَنْهَجِ الأُسْلُوبِىِّ تَقُومُ عَلَى تَصْنِيفِ السِّمَاتِ التَّرْكِيبِيَّةِ ثم وَصْفِها وتحليلِها مع رَدِّهَا إلى أَصْلِهَا المِعْيَارِيِّ، بهدفِ تفسيرِ الدَّلالَةِ من وراءِ التركيزِ عَلَى تلكَ السِّماتِ التَّرْكِيبِيَّةِ دُوْنَ غيرِهَا وبيانِ دَوْرِهَا فى سِيَاقِ النَّصِّ مَوْضِعِ الدِّرَاسَةِ.

ومن الجديرِ بالإشارَةِ أننى قد اسْتَعَنْتُ بالإحصاءِ بُغْيَةَ الوصولِ إلى نتائجَ أكثرَ دِقَّةً وانْضِبَاطًا.

على أنِّى ينبغى أَنْ أُنَبِّهَ عَلَى أَنَّهُ «لَيْسَ هُنَاكَ ما يُسَمَّى بالتفسيرِ النِّهَائِيِّ،

1- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٩٦م - ص١٤.

2- أحمد يوسف على: قراءة النص، دراسة فى الموروث النقدى - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٨٨م - ص١٨.

3- جمال عبد المجيد: بلاغة النص، مدخل نظرى، ودراسة تطبيقية - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩٩م - ص ٣١

ويرتبطُ بَقَاْءُ النَّصِّ واستمرارُهُ بِمَا يُقَدِّمُـهُ مـن تَفْسِيْرَاتٍ مُتَعَـدِّدَةٍ، مـن خـلالِ قُـرَّاءَ تَخْتَلِفُ قُدْرَاتُهُمْ، فتختلفُ نِتَاجَاتُهُمْ، ويحتفظُ النَّصُّ بِجُزْءٍ من كينونَتِهِ فِيْ كُلِّ تَفْسِيْرٍ، يُمَثِّلُ هُوَ فِيْ ذَاتِهِ جُزْءًا مِنَ وَاقِعِهِ». [1]

رابعًا: خطة الدراسة:

وَهَذِهِ الدِّرَاسَةُ تَتَنَاوَلُ أَبْرَزَ السِّمَاتِ التَّرْكِيْبِيَّةِ فِيْ شِعْرِ الشَّرِيْفِ المرْتَضَي مُرَتَّبَةً تَرْتِيْبًا تَنَازُلِيًّا حَسَبَ نِسَبِ وُرُوْدِهَا فِي الدِّيْوَانِ ؛ وَلِذَا فَقَدْ فَصَّلْتُهَا عَلَى سَبْعَةِ فُصُولٍ، تَسْبِقُهَا مُقَدِّمَةٌ، وتعقُبُهَا خاتمةٌ يَلِيْهَا ثَبْتٌ بالمصادرِ والمراجعِ.

فَأَمَّا المقَدِّمَةُ، فَوَجَبَ عَلَيَّ فِيْهَا أَنْ أَعْرِضَ لأَسْبَابِ اخْتِيَارِ الدِّرَاسَةِ وَأَهَمِّيَّتِهَا، وللدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ، وَلِمَنْهَجِ الدِّرَاسَةِ وَخُطَّتِهَا.

وَأَمَّا الْفَصْلُ الأَوَّلُ :التَّقْدِيْمُ، فَقَدْ تَنَاوَلْـتُ فِيْهِ بالـدَّرْسِ التَّقْـدِيْمَ فِيْ شِـعْرِ المرْتَضَي، وَرَأَيْتُ أَنَّهُ يَتَوَزَّعُ عَلَيْ ثَلاثَةِ أَنْوَاعٍ، هِيَ :تَقْدِيْمُ شِـبْهِ الجملَـةِ، وَالتَّقْـدِيْمُ فِي التَّرْكِيْبِ الإِسْنَادِيِّ، وَتَقْدِيْمُ الْفَضَلاتِ وَالمكَمِّلاتِ.

وَأَمَّا الفصلُ الثَّانِي : الإِنْشَاءُ الطَّلَبِيُّ، فَقَدْ تَنَاوَلْـتُ فِيْـهِ بِالـدَّرْسِ وَالتَّحْلِيْـلِ صُوَرَ الإِنْشَاءِ الطَّلَبِيِّ فِيْ شِعْرِ المرْتَـضَي، وَهِـيَ خَمْـسُ صُـوَرٍ : الاسْـتِفْهَامُ، وَالأَمْـرُ، وَالنِّدَاءُ، وَالنَّهْيُ، والتَّمَنِّي.

وَأَمَّا الفصلُ الثَّالِثُ :التَّرْكِيْبُ الـشَّرْطِيُّ، فَقَـدْ اقْتَـصَرْتُ فِيْـهِ عَـلَيْ دِرَاسَـةِ التَّرْكِيْبِ الشَّرْطِيِّ المصَدَّرِ بالأَدَوَاتِ (إِنْ، وَإِذَا، وَلَوْ، وَلَمَّـا، وَلَـوْلا، وَمَتَـيْ، وَكُلَّـمَا ، وَمَنْ) ؛ وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ وُرُوْدِ هَذِهِ الأَدَوَاتِ دُوْنَ غَيْرِهَا فِيْ شِعْرِ المرْتَضَي.

وَأَمَّا الفصلُ الرَّابِعُ : الحَذْفُ، فَقَدْ تَنَاوَلْـتُ فِيْهِ بالـدَّرْسِ حَـذْفَ جُـزْءِ الْكَلِمَـةِ،

---

1 – سعيد حسن بحيري : علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات – الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٩٧م – ص١٦٥

وَالْحَذْفَ فِي الْحـرُوْفِ. ثُـمَّ الْحَـذْفَ فِي التَّرْكِيْـبِ الإِسْـنَادِيِّ، وَالْحَـذْفَ فِي التَّرْكِيْـبِ الشَّرْطِيِّ وَحَذْفَ الْفَضَلاتِ والمكَمِّلاتِ، ثُمَّ حَذْفَ شِبْهِ الجملةِ.

وَأَمَّا الفصلُ الخَامِسُ : الاعْتِرَاضُ، فَقَدْ تَنَاوَلْتُ فِيْهِ بالدَّرْسِ الاعْتِرَاضَ فِيْ شِـعْرِ المرْتَضِي وَمَوَاقِعَهُ الَّتِـي بَلَغَـتْ أَرْبَعَـةَ عَـشَرَ مَوْقِعًـا، هِـيَ : الاعْـتِرَاضُ بَـيْنَ الْفِعْـلِ وَالمفْعُوْلِ بِهِ، وَبَيْنَ مَا أَصْلُهُ المبْتَدَأُ وَالْخَبَرِ، وَبَيْنَ الْفِعْلِ وَالفَاعِلِ، وَبَيْنَ المبْتَدَإِ وَالْخَبَرِ، وَبَيْنَ الْفِعْلِ وَمُتَعَلِّقِهِ، وَبَيْنَ المعْطُوْفِ وَالمعْطُوْفِ عَلَيْهِ، وَبَـيْنَ الْقَـوْلِ والمقُـوْلِ، وَبَـيْنَ خَبَرِ النَّاسِخِ وَاسْمِهِ، وَبَيْنَ مُتَعَلِّقِ الْخَبَرِ المحْذُوْفِ وَالمبْتَدَإِ، وَبَيْنَ الصِّفَةِ وَالموْصُـوْفِ، وَبَيْنَ الْفِعْلِ وَالمفْعُوْلِ المطْلَقِ، وَبَيْنَ فِعْلِ الشَّرْطِ وَجَوَابِهِ، وَبَـيْنَ الـصِّلَةِ وَالموْصُـوْلِ، وَبَيْنَ الحَالِ وَصَاحِبِهَا.

وَأَمَّا الفصلُ السَّادِسُ : الْقَصْرُ، فَقَدْ تَنَاوَلْتُ فِيْهِ بالدَّرْسِ الْقَصْرَ فِيْ شِعْرِ المرْتَـضَي وَطُرُقَهُ الَّتِيْ هِيَ ـ كَمَا ذَكَرَهَا الْبَلاغِيُّوْنَ ـ أَرْبَعَةٌ، وَهِيَ الْقَصْرُ بالنَّفْيِ وَالاسْتِثْنَاءِ، وَبِـ «إِنَّمَا» وَبِالْعَطْفِ بِـ (لا، وَبَلْ، وَلَكِنْ) وَبِالتَّقْدِيْمِ.

وَأَمَّا الفصلُ السَّابِعُ : الالْتِفَاتُ، فَقَدْ تَنَاوَلْتُ فِيْـهِ بِالـدَّرْسِ أَبْـرَزَ المجَـالاتِ الَّتِيْ تَحَقَّقَ فِيْهَا الالتفاتُ فِي شِعْرِ المرْتَضِي. وَهَذِهِ المجَالاتُ هِيَ : مَجَالُ الْعَدَدِ : وَتَمَثَّلَ فِيْ صُوَرِ الالْتِفَاتِ مِنَ المفْرَدِ إِلَي الْجَمْـعِ، وَمِـنَ الْجَمْـعِ إِلَي المفْـرَدِ، وَمِـنَ الْجَمْـعِ إِلَي الْمُثَنَّي، وَمِنَ المثَنَّي إِلَي الْجَمْعِ. وَمَجَالُ الضَّمَائِرِ : وَتَمَثَّلَ فِيْ صُوَرِ الالْتِفَـاتِ مِـنَ الـتَّكَلُّمِ إِلَي الْخِطَابِ، وَمِنَ الخِطَابِ إِلَي التَّكَلُّمِ، وَمِنَ الغِيَابِ إِلَي الخِطَابِ، وَمِنَ الْخِطَـابِ إِلَي الْغِيَابِ، وَمِنَ التَّكَلُّمِ إِلَـي الْغِيَابِ. وَمَجَالُ التَّذْكِيْرِ وَالتَّأْنِيْثِ : وَتَمَثَّلَ فِي الإِخْبَارِ عَنِ المؤَنَّثِ بِالمذَكَّرِ، والالتفاتِ مِنَ الإناثِ إلي الذُّكورِ، وَمِنَ الإنـاثِ إلي الـذكورِ، ومِـنَ الذكورِ إلي الإناثِ.

وَأَمَّا الخَاتِمَةُ : فَقَدْ أَوْضَحْتُ فِيْهَا أَهَمَّ نَتَائِجِ البَحْثِ وَتَوْصِيَاتِ الْبَاحِثِ.

وفى خِتَامِ المُقَدِّمَة أقُولُ : إنِّى لَمْ أَبْلُغْ فى هذا البحثِ حَدَّ الكمالِ، وَلمْ أُحَقِّقِ الغَايـةَ والمُرَادَ، وَإنَّمَا هِىَ مُحَاوَلةٌ مِنِّى لِتَفسِيرِ شِعْرِ المُرْتَضَى عن طريقِ أَبْنِيَتِهِ وتراكيبِهِ، بِجُهْـدٍ يَصْدُرُ عن اقتناعٍ بِأَنَّ «الفَنَّ أَعْظَمُ مِنْ مُفَسِّرِيهِ وَلَيْسَتْ هُنَاكَ مَقُولةٌ نَقْدِيَّـةٌ فى أَىِّ أَثَـرٍ أَدَبِىٍّ تُعَدُّ كَامِلَةً، تُصَوِّرُهُ عَلَى حقيقتِهِ، أو تَـصْدَعُ بـالقولِ الفَـصْلِ فى أَمْـرِ جَوْدَتِـهِ أَوْ عَدَمِهَا»[1] وَحَسْبِى أَنِّى قَدْ بَذَلْتُ الجُهْدَ الصَّادِقَ الْوَفِىَّ، رَاجِيًا أَنْ يَتَقَبَّلَهُ اللهُ - تبـاركَ وتعالى - بالرِّضَا والثَّوَابِ.

وعلى اللهِ قَصْدُ السبيلِ، ،

****

1 - ديفد ديتش : مناهج النقد الأدبى بين النظرية والتطبيق - ترجمة : محمـد يوسـف نجـم - دار صادر - بيروت - (د . ت) - ص ٥٩٨.

الفصل الأول

التقديم

تمهيد:

أَوَدُّ فِي البدايةِ أَنْ أُشِيرَ إلى أنه «حينَ نذكرُ التقديمَ فينبَغي بَدَاهَةً أَنْ يُغْنِيَنَا ذَلِكَ عَنْ ذكرِ التَّأخيرِ لأننا حينَ نُقَدِّمُ الخبرَ فإننا فِي نفسِ الوقتِ نؤخرُ المبتدأَ وحينَ نُقَدِّمُ المفعولَ فإننا نكونُ قَدْ أَخَّرْنَا الفاعلَ أو الفعلَ»(1)

وَيُعَدُّ مبحثُ التقديمِ من أكثرِ مباحثِ التركيبِ تحقيقًا للانحرافِ، فهو يقعُ فِي «بؤرةِ مباحثِ الأسلوبِ الدائرةِ حولَ التركيبِ ويكتسبُ هذا المبحثُ أهميةً خاصةً من حقيقةِ أنه يخضعُ فِي كُلِّ لُغَةٍ للطَّابَعِ الخاصِّ بها فيما يتعلقُ بترتيبِ الأجزاءِ داخلَ الجملةِ فيها»(2)

وظاهرةُ التقديمِ تِكْنِيكٌ لُغَوِيٌّ مُرْتَبِطٌ بالشِّعْرِ منذُ نَشْأَتِهِ وَيَحْفِلُ به الشِّعْرُ عَلَى مدى عصورِهِ إِذْ يُعَدُّ طِرَازًا أُسْلُوبِيًّا يمكنُ تتبعُهُ فِي نتاجِ كُلِّ شاعرٍ عَلَى حِدَةٍ، مِمَّا يُعَدُّ خَصِيصَةً أَسَاسِيَّةً فِي عَالَمِهِ الشِّعْرِيِّ(3) عَلَى أَنَّ دِرَاسَةَ هذه الظاهرةِ لا تَعْنِي «التَّعَرُّفَ عَلَى التقاليبِ الممكنةِ التي يخرجُ فيها الكلامُ، بَلْ يتجاوزُ ذَلِكَ إلى التَّعَرُّفِ عَلَى الجملةِ ذَاتِها بالاعتمادِ عَلَى عناصرِها المكونةِ، وإلى خصائصِ البنيةِ فيها، ووجُوه ارتباطِها

1- أحمد درويش : دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - طبعة ١٩٩٨م - ص ١٦٩ .

2- عبدالحكيم راضي: نظرية اللغة فى النقد العربى- مكتبة الخانجي -القاهرة - الطبعة الأولى- ١٩٨٠ - ص ٢١١ .

3- ينظر : مصطفى السعدنى : البنيات الأسلوبية فى لغة الشعر العربى الحديث - منشأة المعارف - الإسكندرية - ١٩٨٧م- ص ٢٠٧، ٢٠٨ .

ببقيةِ أجزاءِ الكلامِ. . . وَدِرَاسةُ مظاهرِ تَرْتِيْبِ الْعَنَاصِرِ فِيْ الْكَـلامِ، بالاقتصارِ عَلَى مواطنِ التغييرِ لَهُ فَضْلُ الكَشْفِ عَنْ مختلفِ الأساليبِ»[1]

وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ ظاهرةَ الإعرابِ فِيْ اللُّغَةِ العربيةِ هي التي قد جعلتْ المبدعَ قادرًا عَلَى أنْ يُحَرِّكَ عناصرَ التركيبِ من أماكِنِها الأصليةِ إلى أماكنَ بديلةٍ، كما سمحتْ فِيْ الوقتِ ذاتِهِ بتعددِ الأماكنِ التي يمكنُ أنْ يحتلَّها كُلُّ عُنْصِرٍ من هذه العناصرِ.

هَذَا، وإنَّ أيَّ تغيرٍ فِيْ النِّظَامِ التركيبيِّ للجملةِ يترتبُ عليه - بالضرورةِ - تغيرُ الدَّلالةِ وانتقالُها من مستوًى إلى مستوًى آخرَ ؛ «إذْ إنَّ هناكَ ترتيبًا معتادًا مُبْتَذَلًا، يَطْرُقُ الذِّهْنَ لأولِ وَهْلَةٍ، وهذا الترتيبُ يمكنُ مخالفتُهُ، ولكنَّ مجردَ المخالفةِ ينبئُ عن غرضٍ ما، ذلكَ الغرضُ هو إبرازُ كلمةٍ من الكلماتِ لتوجيه التفاتِ السامعِ إليها»[2]

وإذنْ، فالانحرافُ فِيْ ترتيبِ عناصرِ التركيبِ لَيْسَ «عَبَثًا فِي الجُمْلَةِ، بل هـو نَـوْعٌ مـن أنـواعِ أداءِ المعنـى»[3]، واللُّغَـةُ الـشِّعْرِيَّةُ تَمْتَـازُ مِـنْ اللُّغَـةِ المِعْيَارِيَّـةِ بتراكِيْبِهـا المخصوصةِ، وَمِنْ ثَمَّ فإننا «لو كُنَّا نَعْنِي باللُّغَةِ مُجَرَّدَ مَجْمُوعَـةٍ مـن الكلـماتِ لَمْ تَكُـنْ هناكَ لُغَةٌ شِعْرِيَّةٌ خاصةٌ، أما لو كُنَّا نعنى باللُّغَةِ الشِّعْرِيَّةِ تراكيبَ مُكَوَّنَةً مـن كلـماتٍ ومصنوعةً بأنساقٍ مُعَيَّنَةٍ فلا شكَّ إذَنْ من وجودِ لُغَـةٍ شِـعْرِيَّةٍ لا تتميـزُ عَـمَّا سِـوَاها بمضمونِها وإنما ببنيتِهَا»[4] أَيْ إنَّ اللُّغَةَ الشِّعْرِيَّةَ «لَيْسَتْ نَوعًا من اللُّغَةِ المِعْيَارِيَّةِ وإن كان هذا لا يعنى إنكارَ الارتباطِ الوثيق بينهما، الذى يتمثـلُ فِيْ حقيقـةِ أَنَّ اللُّغَـةَ المِعْيَارِيَّـةَ هـى

1- محمد الهادى الطرابلسى : خصائص الأسلوب فى الشوقيات - المجلس الأعلى للثقافة - ١٩٩٦م - ص ٢٨٣.

2- فندريس : اللغة - ترجمة: عبدالحميد الدواخلى ومحمد القصاص - الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٥٠م - ص ١٨٨ .

3- محمود ياقوت :قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين -دار المعارف -١٩٨٥م-ص١٥.

4- صلاح فضل : نظرية البنائية فى النقد الأدبى - دار الشروق - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٩٩٨م - ص ٢٣٤.

الخَلْفِيَّةُ التى ينعكسُ عليها التَّحْرِيفُ الجَمَالِيُّ المُتَعَمَّدُ للمكوناتِ اللُّغَوِيَّةِ للعملِ، أو – بعبارة أخرى – الانتهاكُ المُتَعَمَّدُ لقانونِ اللُّغَةِ المِعْيَارِيَّة»[1]

وَقَدْ تَنَبَّهَ القُدماءُ لهذه الظاهرةِ، فسيبويه يشيرُ إلى ما لها من أثرٍ دَلالِيٍّ عند حديثِهِ عَنْ الفاعلِ الذى يتعداهُ فِعْلُهُ إلى مفعولِهِ، حيثُ يكون التقديمُ لما يكونُ بيانُه أهمَّ وأولى[2].

أَمَّا عبدُ القاهرِ الجُرْجانيُّ فيقررُ أهميةَ التقديمِ، ويُنَبِّهُ إلى فوائدِهِ ولطائفِهِ، ويكشفُ عَنْ قيمته فِى أداءِ المعانى، فيقولُ : «هو بابٌ كثيرُ الفوائدِ، جَمُّ المحاسنِ، واسعُ التَّصَرُّفِ، بعيدُ الغايةِ، لا يزالُ يَفْتَرُّ لَكَ عَنْ بديعةٍ، وَيُفْضِى بِكَ إلى لطيفةٍ، ولا تزالُ ترى شعرًا يَرُوقُكَ مَسْمَعُهُ، وَيَلْطُفُ لَدَيْكَ مَوْقِعُهُ، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أَنْ رَاقَكَ وَلَطُفَ عِنْدَكَ، أَنْ قُدِّمَ فيهِ شَيْءٌ، وَحُوِّلَ اللَّفْظُ عَنْ مكانٍ إلى مكانٍ»[3].

التَّقْدِيْمُ فِى دِيوانِ الشَّرِيْفِ المُرْتَضَى :

والتقديمُ هو أكثرُ السِّماتِ التَّرْكيبيةِ انتشارًا فِى شعرِ الشريفِ المُرْتَضَى ؛ فقد وَرَدَ فِى ثلاثةٍ وثمانينَ وخمسمائةٍ وستةِ آلافِ (٦٥٨٣) مَوْضِعٍ، فِى سياقاتٍ مختلفةٍ عَلَى نَحْوٍ له دَلاَلَتُه. أى بنسبةٍ مئويةٍ تبلغُ (٤٧٪) تقريبًا من عددِ أبياتِ الدِّيوانِ.

وَقَدْ تَنَوَّعَتْ هذه السِّمَةُ التَّرْكِيْبِيَّةُ إلى أَنْوَاعٍ كثيرةٍ أَمْكَنَ تَقْسِيْمُها عَلَى ثَلاثَةِ أقْسَامٍ، هِيَ:

---

1 – يان موكاروفسكى : اللغة المعيارية واللغة الشعرية – تقديم وترجمة : ألفت كمال الروبى – مقال بمجلة فصول – المجلد الخامس – العدد الأول – ١٩٨٤م – ص ٤٢.

2 – ينظر سيبويه: الكتاب – تحقيق : عبد السلام هارون – دار القلم – القاهرة – ج ١ – ١٩٦٦م – ص ٣٤.

3 – ينظر سيبويه: الكتاب – تحقيق : عبد السلام هارون – دار القلم – القاهرة – ج ١ – ١٩٦٦م – ص ٣٤.

أولًا: تقديم شبه الجملة.

ثانيًا: التقديم فِى التركيب الإسنادى.

ثالثًا: تقديم الفضلات والمكملات.

وَسَأُلْقِى الضَّوْءَ - فيما يَلِى - عَلَى مَجَالاتِ التَّوْظِيْفِ الدَّلالِىِّ لِكُلِّ قِسْمٍ من الأقسَامِ السَّابِقَةِ، وما يَنْدَرِجُ تَحْتَهُ مِنْ أَنْوَاعٍ.

ومن الجدير بالإشارة فِى هذا السِّياقِ أَنَّ رَصْدِىَ لِظَاهِرَةِ التَّقْدِيْمِ عند الشَّرِيفِ الْمُرْتَضَى لَنْ يكونَ رَصْدًا شَكْلِيًّا فَحَسْبُ بَلْ سيكونَ رَصْدًا مَعْنِيًّا - أَيضًا - بالدَّلالَةِ النَاتِجَةِ عَن هذه الأشكالِ التركيبيةِ دُوْنَ غيرِهَا، كما أنَّنِى لَنْ أَنْشَغِلَ إلا بالتراكيبِ الجائزةِ نَحْوِيًّا ؛لأنَّ ما أوجبَتْهُ القاعدةُ لا يُعَدُّ انْحِرَافًا، وَيَفْقِدُ بِذَلِكَ قُدْرَتَهُ التَّأْثِيْرِيَّةَ، ولَنْ أَتَوَسَّعَ فِى عَرْضِ الأمثلةِ، ولكننى سأكتفى ببعضِها وفيها دَلالةٌ على ما وَرَاءهَا.

أولًا: تقديمُ شبه الجملة :

وشِبْهُ الجُمْلَةِ مُصْطَلَحٌ «يُرَادُ به الظرفُ والجارُّ والمجرورُ»[1]. وَثَمَّةَ ارتباطٌ معنوىٌّ لشبهِ الجملةِ بالحدثِ، وتمسكها بِهِ، كأنَّهـا جـزءٌ مِنْـهُ، لا يظهـرُ معناهـا إلا بِـهِ، ولا يكتملُ مَعْنَاهُ إِلاَّ بِهَا، وَهُوَ مَا يُسَمَّى بالتَّعَلُّقِ[2] وَمَا تَتَعَلَّقُ بِهِ شِبْهُ الْجُمْلَةِ مِنْ فِعْلٍ وَنَحْوِهِ هُوَ عَامِلُهَا الَّذِىْ يَعْمَلُ فيها النصبَ ظاهرًا أو تقديرًا، وَلِذَا «نَجِدُ أَنَّ رُتْبَتَهُ

---

1 - محمد إبراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية - مكتبة الآداب - القاهرة - الطبعة الثانية - ٢٠٠١ م - ص ١٤٤

2 - ينظر : فخر الدين قباوة : إعراب الجمل وأشباه الجمل - دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨١م - ص ٢٦١ .

التأخيرُ عَنْ عَامِلِهِ، هَذَاْ هُوَ الأصلُ فِيْ رُتْبَتِهِ» [1].

وَقَدْ جَاءَ تقديمُ شِبْهِ الجُمْلَةِ عَلَى عَامِلِهَاْ فِيْ شِعْرِ المُرْتَضَى فِيْ المَرْتَبَةِ الأُولى من بَيْنِ أَنْواعِ التَّقْدِيْمِ والتَّأْخِيْرِ عِنْدَهُ، حَيْثُ قُدِّمَتْ فِيْ واحدٍ وعشرينَ وثمانمائةٍ وخمسةِ آلافِ (٥٨٢١) مَوْضِعٍ، أَيْ بِنِسْبَةِ (٨٨٪) من تَقْدِيْمِ الأنواعِ الأخرى، وَقَدْ تَوَزَّعَتْ هـذه السِّمَةُ التَّرْكِيْبِيَّةُ عَلَى نَوْعَيْنِ، هُمَاْ :

النوعُ الأولُ : تقديمٌ تَتَوَسَّطُ فيه شِبْهُ الجُمْلَةِ التَّرْكِيْبَ :

النوعُ الآخر : تقديمٌ تَتَصَّدرُ فيه شبْهُ الجُمْلةِ التَّرْكِيْبَ

النوع الأول : تَقْدِيْمٌ تَتَوَسَّطُ فيه شِبْهُ الجُمْلَةِ التَّرْكِيْبَ :

وَقَدْ وَرَدَ تقديمُ شِبْهِ الجُمْلَةِ بِحيثُ تَتَوَسَّطُ فيه التَّرْكِيْبَ فِيْ واحدٍ وثمانينَ وخمسةِ آلافِ (٥٠٨١) موضعٍ، تَوَزَّعَتْ عَلَى أحدَ عشرَ نَوْعًا، وهى عَلَى النَّحْوِ الآتى مُرَتَّبَةً تَرْتِيبًا تَنَازليًّا حَسَبَ نِسْبَةِ ورودِ كُلٍّ مِنْهَا :

١ - تقديمُ شِبْهِ الجُمْلَةِ عَلَى المفعولِ بِهِ.

واحْتَلَّ المَرْتَبَةَ الأولى من بينِ أنواعِ تقديمِ شِبْهِ الجملةِ التى تتوسطُ التَّرْكِيْبَ حيثُ بلغَ تقديمُهُ اثنينِ وسبعينَ أربعمائةٍ وألفٍ (١٤٧٢) مَرَّةٍ.

ومنه قَوْلُ المُرْتَضَى فِيْ التَّشَوُّقِ إلى الوزيرِ أبى سعدِ بنِ عبدالرحيم : [2]

وهمــومُ صَــدْرٍ كُلَّــما دافَعْتُهَــا آلـــتْ - طِــوَالَ الــدَّهْرِ - لا

1- سوزان محمد فؤاد فهمى : شبه الجملة ، دراسة تركيبية تحليلية مع التطبيق على القرآن الكريم - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - الطبعة الأولى - ٢٠٠٣ م - ص ٣٧ .

2- الديوان : ١ / ١٨٤ (من الكامـل)

لا أستطيعُ لها الشَّكاية خِيْفَةً والهَمُّ لا يُشْكَى لِقَلْبِك أَجْرَحُ

وَقَدْ وَرَدَ البيْتَانِ السَّابِقَانِ فِى سياقِ حديثِ المُرْتَضَى إلى صاحبيه ذَامًّا لهما الزمانَ وهمومَهُ.

ويبدو لى أن السببَ فِى هذه الهمومِ هو انتزاعُ الخلافةِ من العلويينَ وهم أحَقُّ بها من غَيْرِهم، بدليلِ أنه وَصَفَ هذه الهمومَ بأنها لا تفارقُهُ، وستبقى – أبَدَ الدَّهرِ – تُلازِمُهُ، وأنها همومٌ لا يستطيعُ أَنْ يفصحَ عَنْها خِيفَةً أَىْ اتِّقاءً لبطشِ ذَوِى السُّلْطَةِ، وبدليلِ ورودِ كلمةِ (الهموم) فِى نصوصٍ شعريةٍ أخرى للمرتضى تحملُ هذا المعنى، مِنْ مثلِ قولِهِ :(1)

إِنَّ يومَ الطفوفِ رَنَّحَنِى حُزْ نًا عليكم وما شَرِبْتُ عُقَارَا
وإذا ما ذكرتُ منه الذى ما كنتُ أَنْسَاهُ ضُيِّقَ الأقطارَا
وَرَمَى بِى عَلَى الهمومِ وَأَلْقَى حَيْدًا عَنْ تَنَعُّمِى وازْوِرَارَا

فمنِ الواضحِ فِى هذا السِّيَاقِ أَنَّ كلمةَ (الهموم) فِى البيتِ الثالثِ سببُها ما نَزَلَ بآلِ البيتِ من قتلٍ وتَشْرِيْدٍ وسَلْبٍ للخلافةِ منهم وهمْ أحقُّ بها من غيرِهم.

وَقَدْ قَدَّمَ المُرْتَضَى الجارَّ والمجرورَ «لها» المُتَعَلِّقَيْنِ بالفعلِ «أستطيعُ» – بِمَا يَحْمِلانِ مِنْ ضَمِيْرٍ يعودُ عَلَى الهمومِ – عَلَى المفعولِ به «الشِّكايَةَ» الذى هو أولى بالتقديمِ، فقالَ : «لا أستطيعُ لها الشكايةَ خِيْفَةً»، لينبه عَلَى أَنَّ هذه الهمومَ التى سببُهَا ما نَزَلَ بآلِ البيتِ من قَتْلٍ وسلبٍ للخلافةِ منهم، وَهُمْ أَحَقُّ بها من غَيْرِهِم هى التى تَشْغَلُهُ وَتُؤَرِّقُهُ وتأخذُ عليه فِكْرَهُ.

وَمِنْ هذا النوعِ قولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فِى الشَّيْبِ(2)

صَدَّ عَنِّى كَارِهًا قُرْ بِى وَإِنْ كَانَ حَبِيبًا

1– الديوان : ٢/ ٥٤ (من الخفيف) ، وينظر ص ٢٠ : ٢١ ، ص١٣٥ :١٣٦ .

2– الديوان : ١/ ٧٣ (من مجزوء الرمل)

ورأى فِى الفـــــاحمِ الجَعْـــــــــدِ مـــــن الــــرأسِ مَــــشِيْبَا
كـــــشهابٍ غَابَـــــتِ الـــشُّهْــــــبُ ويأبـــــى أنْ يَغِيْبَــــا
أو كنـــــارٍ تَخْمُـــــدُ النـــــارُ ويـــــزدادُ لَهِيْبَــــا

والمُرْتَضَى فِى الأبياتِ السابقةِ يتحدثُ عَنْ شَيْبِهِ، ويكشفُ عَنْ أَنَّه كـانَ سـببًا فِى صدودِ محبوبِه عَنْه، فَقَدْ نَفَرَ مِنْهُ عندما رأى رَأْسَهُ قَدْ اشْتَعَلَ شيبًا كالنَّارِ التى لا تَخْمُدُ ولا تهدأُ، وَعَدَّ ذَلِكَ عَيْبًا فِيْه، وَمَا هُوَ بِعَيْبٍ !

لَمْ تَجِـــدْ ذَنْبًـــا وَلَكِـــنْ أَنـــْـتَ لَفَّقْـــتَ ذُنُوْبـــا(1)

وَقَدْ اِنْحَرَفَ المُرْتَضَى عَنْ النِّظَامِ النَّحْوِىِّ فِى البيتِ الثانى من هذه المقطوعـةِ، فقـالَ: «ورأى فِى الفَاحِمِ الجَعْدِ من الرَّأسِ مشيبًا» بتقديمِ شِبْهَىْ الجملةِ «فِى الفاحمِ الجعدِ» و «مِنَ الرأْس» المُتَعَلِّقَتَيْنِ بالفعلِ «أرى» عَـلَى المفعـولِ بِـهِ «مـشيبًا» الـذى هـو أولى بالتقديمِ ؛ وذلكَ ليؤكدَ بشبهِ الجملةِ الأولى أَنَّ شَعْرَهُ مَا زَالَ فَاحِمًا جَعْـدًا أىْ شـديدَ السَّوَادِ مُلْتَوِيًا، وَإِنَّمَا هِىَ بعضُ شَعْرَاتٍ بيضٍ قَدْ بَدَتْ بِهِ.

فعينُ المحبوبِ - إِذَنْ - هِى عينُ مَنْ يريـدُ أَنْ يُلفِّـقَ عيوبًـا وذنوبًـا، عَـيْنٌ تَـرَى القليلَ من الشَّيْبِ كثيرًا، تراه كالنَّارِ المشتعلةِ التى لا تخمدُ ولا تهدأُ ؛ ولذا فقـد نَكَّـرَ كلمةَ «شَيْبًا» للتكثيرِ. ثُمَّ هُوَ قد قَدَّمَ شبهَ الجملةِ الثانيةَ «من الرَّأْسِ» ليحددَ بِهِ مكانَ الرُّؤْيَةِ وهو شَعْرُ الرَّأسِ لا غيرُهُ.

ويبدو لى أَنَّ التركيبَ الإبـداعىَّ «ورأى فِى الفـاحمِ الجعـدِ مـن الـرأسِ مـشيبًا» يكشفُ عَنْ أَنَّ هذا المحبـوبَ مـا هـو إلا رمـزٌ للخلافـةِ الإسـلاميةِ المسلوبةِ مـن العلويينَ، فالمحبوبُ / الخلافةُ ترفضُ الشَّيْبَ / الضَّعْفَ، وإنْ كانَ قليلًا / بـسيطًا، وَتُعِدُّهُ كثيرًا ؛ لأنَّ الشَّيْبَ / الضَّعْفَ هو السببُ فِى ضياعِها، ولأنهـا لَـنْ تُـسْتَرَدَّ إلا

1- الديوان : ١/ ٧٣.

بالشَّبَابِ / القوةِ.

وَيُؤَكِّدُ هَذِهِ الدَّلالةَ الرَّمْزِيَّةَ ثلاثةُ أمورٍ، هِي : الأولُ ما قَالَـهُ المُرْتَـضَى فى قـصائدَ أُخْرَيَاتٍ من مثلِ قولِهِ :[1]

غَرامِـــيْ بغــيرِ ذواتِ الخَــدودِ ووجـدي بغــيرِ وصــالِ الغَـوانى

وَلِىْ شُـغُلٌ عــن هَــوَى الغَانيــاتِ ومــا الحــبُّ إلا فــراغُ الجَنَــانِ

وَمِثْلِ قَوْلِهِ : [2]

فَـلِىْ كَبِـدٌ تَـصْلَىْ بِغَـيْرِ خَرِيْـدَةٍ وَلِىْ جَـسَدٌ يَـبْلَىْ بِغَـيْرِ كَعَـابِ

الثاني: أن مفهوم الشعرِ ومهمَتَهُ -عند المرتضي - هي الدفاعُ عَنْ آلِ البيتِ ومنصارتِهِمْ. [3]

الثالث : كما يُؤَكِدُ المرْتَضَى نَفْسُهُ رَمْزِيَّـةَ اللُّغَـةِ بقولِـهِ : «إنَّ الـشَّاعرَ لا يَجِبُ أَنْ يُؤْخَذَ عَلَيْهِ فِى كَلامِهِ التَّحْقِيْقُ والتَّحْدِيْدُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَتَى أُعْتُبِرَ فى الشِّعْرِ بَطَـلَ جَمِيْعُـهُ، وكلامَ القومِ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّجَوُّزِ والتَّوَسُّعِ والإشارةِ الخَفِيَّةِ، والإيماءِ على المعاني تَارَةً من بُعْدٍ وأخرى من قُرْبٍ ؛ لأَنَّهُمْ لَمْ يُخَاطِبُوا بِشِعْرِهِمْ الفَلاسِفَةَ وأصحابَ المنطقِ، وإنما خَاطَبُوا من يَعْرِفُ أَوْضَاعَهُمْ، وَيَفْهَمُ أَغْرَاضَهُمْ ». [4]

٢- تقديم شبه الجملة عَلَى الفاعل :

واحتلَّ المرتبةَ الثانيةَ حَيْثُ قُدِّمَ سِتًّا وثلاثينَ أربعمائةَ وألفَ (١٤٣٦) مَرَّةٍ.

1- الديوان : ٣/ ٣٣٨ (من المتقارب) ، وينظر ص ٢٨ من هذا البحث .

2- الديوان : ١/ ٧٩ (من الطويل) ، وينظر ص ٢٩ من هذا البحث .

3-ينظر : هذا البحث صـ٧١.

4- الشريف المرتضى : الأمالى - تحقيق : أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - بيروت - لبنان - ١٩٩٨م - ٢/ ٩٥.

وَمِنْهُ قَوْلُ المرتضى[1] في الْغَدِيْرِ: [2]

وَإِنِّىْ لأَرْجُوْ أَنْ أعيشَ إِلَى الَّتِى تحدثُنَا عنها الظُّنونُ الصَّوائبُ

وَقَدْ كَنَّى الْمُرْتَضَى بقولِهِ : «التى تحدثُنَا عنها الظُّنونُ الصَّوائبُ» عَنْ «المهدي المنتظر»؛ لأنَّ الشيعةَ الإماميةَ تعتقدُ أَنَّ الإمامَ محمدَ بنَ الحسنِ العسكريَّ لَمْ يَمُتْ وإنما غُيِّبَ سنةَ ٣٢٩هـ عَنْ الأنظارِ وسيظهرُ يومًا ليملأَ الأرضَ عَدْلًا بعد أَنْ مُلِئَتْ ظُلْما. [3] ومعلومٌ أَنَّ أسلوبَ الكنايةِ هو «الأداةُ الفنيةُ الْمُسْتَسَاغَةُ للتَّعْبِيْرِ عَنْ المعْنَى، وذلكَ حِيْنَ يكونُ التعبيرُ الصريحُ المباشرُ كاشفًا لما ينبغي سترُهُ أو مُجَافِيًا للذَّوْقِ والخُلُقِ». [4]

فالشاعرُ فِيْ البيتِ السابقِ - إِذَنْ - يتمنى أَنْ يمتدَ به العمرُ إلى زمنِ المهديِّ، وَلِذَا فَقَدْ قَدَّمَ الجارَّ والمجرورَ «عنها» الْمُتَعَلِّقَيْنِ بالفعلِ «تُحَدِّثُ» من قوله «تحدثنا» عَلَى الفاعلِ «الظنونُ الصوائبُ» الذي هو أولى بالتقديم ليقصرَ حديثَ الظنونِ الصوائبِ عَلَى ظهورِ المهديِّ دُونَ سِوَاهُ، ومن ثَمَّ ليقصرَ أمنيتَهُ فِي أَنْ يعيشَ إلى زمنِ ظهورِهِ دُوْنَ غَيْرِهِ مِنَ الأزمانِ.

1- الديوان : ١/ ٣٧ (من الطويل).

2- الغديرُ هو وَادٍ بَيْنَ مكةَ والمدينةِ يسمى «غَدِيْرُ خُمٍّ» . والشيعةُ الإماميةُ يعتقدون بأَنَّ الرسولَ ﷺ نَصَّ على خلافةِ عليِّ بنِ أبى طالبٍ فى هذا الموقعِ عند رجوعِهِ من حجةِ الوداعِ فى اليومِ الثامنَ عشرَ من شهر ذى الحجةِ من العامِ العاشرِ للهجرةِ . وهم يحتفلون بهذا اليومِ كلَّ عامٍ ؛ وَيَنْظِمُون فيه الأشعارَ لا بِوَصْفِهِ مكاناً جغرافياً ،وإنما لأنه قد غَدَا - عِنْدَهُمْ - رَمْزاً لأحقيةِ العلويينَ فى الخلافةِ .

3- ينظر : موسى الموسى : الشيعة والتصحيح ، الصراع بين الشيعة والتشيع - مطابع الزهراء للإعلام العربي - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٩٨٩م - ص ٦١.

4- شفيع السيد : التعبير البياني ، رؤية بلاغية نقدية - دار الفكر العربي - القاهرة - الطبعة الثالثة - ١٩٨٨ م - ص ١٢٠.

٣- تقديم شبه الجملة عَلَى خبر الناسخ:

واحتلَّ تقديمُ شبهِ الجملةِ عَلَى خبرِ الناسخِ المرتبةَ الثالثةَ، حيثُ قُدِّمَ ثلاثًا وستمائةَ مَرَّةٍ.

ومنه قولُ المُرْتَضَى من قَصِيْدَةٍ يَشْكُرُ فِيْهَا الوزيرَ أَبَا سَعْدِ بنَ عبدِالرحيمِ عَلَىْ مِنَنِه العظيمةِ عَلَيْهِ: [1]

ولكــنَّ التَّقِيَّـــةَ لَمْ تَـــزَلْ بِـــي ... تَقُـــوْدُ إلى فِعَـــالٍ أَوْ كَـــلام

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ فِيْ سياقِ حديثِ المُرْتَضَى عَنْ تَضَرُّرِهِ من مديحِ قومٍ لئامٍ لا يَسْتَحِقُّونَ المديحَ، وأنَّ الأمرَ لو كان بيدِهِ لابتعدَ عَنْ أولئكَ اللِّئامِ وأقامَ فِيْ دارِ الكرامِ، ولكنها التَّقِيَّةُ التي قادَتْهُ ولا تَفْتَأُ تقودُهُ إلى أفعالٍ وأقوالٍ لا يَرْضَىْ عنها.

فالمُرْتَضَى - إِذَنْ - بَعْدَ أَنْ ينتهيَ من حديثِهِ عَنْ بُغْضِهِ لما يفعلُ أو يقولُ يستدركُ بـ «لكنَّ» ليزيلَ من ذهنِ المتلقى ما قَدْ يتوهمُهُ من أَنَّ المُرْتَضَى راضٍ عمَّا يفعلُ وسعيدٌ، وكأنَّهُ يجيبُ عَنْ سؤالٍ تَوَقَّعَهُ مِمَّنْ يسْمَعُهُ. وما غَصَبَكَ عَلَى هذا ؟ ثم ينحرفُ المرتضى عَنْ النِّظَامِ النحويِّ، ويُقَدِّمُ الجارَّ والمجرورَ «بي» المُتَعَلِّقَيْنِ بالفعلِ «تقودُ» عَلَى خبرِ لَمْ تَزَلْ «تقودُ إلى فعالٍ» ليؤكدَ تَمَكُّنَ التَّقِيَّةِ من نَفْسِهِ وزمامِ أمرِهِ، وأنه مُقَادٌ - لا مَحَالَةَ - بِهَا.

وَإِذَنْ، فَقَدْ كَشَفَ التَّرْكيبُ الإبداعيُّ «ولكنَّ التَّقِيَّةَ لم تزلْ بي تقودُ» عَنْ مبدإٍ مُهِمٍّ من مبادئِ الشِّيعةِ. وهو مبدأُ التَّقِيَّةِ، **«والتقيةُ كتمانُ الاعتقادِ عند الضرورةِ، والتظاهرُ بمذهبٍ يرضي القوةَ الحاكمةَ استجلابًا لِنَفْعِها أو خديعةً لها»[2]**، أو **«إنها تعني أن تقولَ شيئًا وتضمرَ شيئًا آخرَ أو تقومَ بعملٍ عباديٍّ أمامَ سائرِ الفرقِ**

1- الديوان ٣/ ٢٤٩ (من الوافر).

2- حنا الفاخوري ، وخليل الجر : تاريخ الفكر الفلسفي عند العرب - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة - الطبعة الأولي - ٢٠٠٢ م - ص ١٣٦ .

الإسلاميةِ وأنتَ لا تعتقدُ بِهِ ثُمَّ تؤديه بالصورةِ التى تعتقدُ به فِىْ بيتكَ»[1]. فالمُرْتَضَى بوصفِهِ شاعرًا شِيْعِيًّا عَلَوِيًّا كان «يمارسُ نشاطَ الشعرِ، وكلَّ الأنشطةِ الفكريةِ خِدْمَةً لأملٍ قَدْ آنَ تحقيقُهُ، وتطبيقًا لمبدإِ الشِّيْعَةِ فِى التزام (التَّقِيَّةِ)»[2] إذ نراه يُخْفِىْ – شَأْنُهُ شأنُ سائرِ الشِّيعةِ – اعتقادَهُ، ويجاملُ أعداءهُ، حَتَّى لا يُعَرِّضَ للخطرِ نَفْسَهُ أو يَلْقَى بأيدِهم حَتْفَهُ – يقولُ بعد هذا البيتِ.

تَلَقَّيْنَا مجاملةَ الأعادى وفِىْ الأحشاءِ وَقْدٌ كالضِّرَامِ

وفِىْ مطلعِ مقطوعةٍ يشكو فيها عدمَ تحققِ أمانيه يقولُ:[3]

يقولونَ لِىْ : لِمْ أَنْتَ بالذُّلِ راكدٌ؟ فقلتُ : لأنى فِى الحياةِ رَغُوْبُ

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ السابقُ فِىْ سياقِ حديثِ المُرْتَضَى عَنْ الحياةِ، وعَنْ رغبتِهِ فيها، ومن ثَمَّ فَقَدْ قَدَّمَ شبهَ الجملةِ «فِىْ الحياةِ» عَلَى خبر أَنَّ «رَغُوْبٌ» الذى تَتَعَلَّقُ بِهِ، فقالَ: «لأنى فِىْ الحياةِ رغوبُ» ليؤكدَ اختصاصَ الحياةِ، بِحُبِّهِ، ذلكَ الحبُّ الذى جَعَلَهُ يحتملُ فِىْ سبيلها الذُّلَّ والمَهَانَةَ.

ويُضَافُ إلى ذلكَ أَنَّ فى تأخيرِ خبرِ «أنَّ» عن معمولِهِ ما يجعلُ قافيةَ البيتِ تَتَّسِقُ مَعَ قافيةِ المقطوعةِ التى منها.

٤ – تقديم شبه الجملة عَلَى اسم الناسخ:

وَقَدْ جاءتْ هذه السمةُ التركيبيةُ فِىْ المرتبةِ الرابعةِ من تقديمِ شبهِ الجملةِ بحيثُ تتوسطُ التركيبَ، إِذْ قَدْ بَلَغَ عددُ ورودِها فِىْ شعرِ المُرْتَضَى اثنى عشرة وخمسمائة (٥١٢) مَرَّةٍ.

1– الشيعة والتصحيح – مرجع سابق – ص ٥٢ .

2– أحمد يوسف على: مفهوم الشعر عند شعراء العباسيين –الناشر:الأنجلو المصرية–القاهرة – ٢٠٠٤م– ط١ ص ١٤٣.

3– الديوان ١/ ٢٧ (من الطويل).

يقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فِي الافتخارِ:[1]

تَعَالَوْا نَعُدُّ الفخرَ مِنَّا ومنكُمُ ... لننظرَ أَوْلانَا برجعِ النَّقَائِصِ
فَمَا لَكُمُ مَجْدٌ سِوَى مالِ باخِلٍ ... ولا فيكُمُ مدحٌ سِوَى قَوْلِ خارِصِ

والبيتانِ السابقانِ يأتيانِ فِي سياقِ حديثِ المُرْتَضَى إلى بنى عَمِّه العباسيينَ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فيهما يخاطبُ بنى عَمِّه دَاعِيًا إِيَّاهُم لِعَقْدِ مُنَاظَرَةٍ بَيْنَهُم وبينَ قَوْمِهِ لِيَرَوا مَنْ مِنْهُم الذى يَتَحَلَّى بالنَّقَائِصِ، ثم يستأنفُ كَلامَهُ فِي البيتِ الثانى قائلًا لهُم: أَنْتُم لا تفتخرونَ إلا بِكَثْرَةِ أَمْوَالِكُم، وأنتم بها بخلاءُ، كما أَنَّكُم لا تَتَبَاهَوْنَ إلا بمدائحَ فيكم قَدْ قِيلَتْ، وهى من قولِ الكاذِبِينَ.

وَقَدْ قَدَّمَ المُرْتَضَى فِي الشطرِ الأولِ من البيتِ الثانى الجارَّ والمجرورَ «لَكُمْ» المُتَعَلِّقَيْنِ بخبرِ «ما» المحذوفِ عَلَى اسمِها «مجد»، فقال: «فما لكم مجدٌ»، ثم قَدَّمَ الجارَّ والمجرورَ «فيكم» المُتَعَلِّقَيْنِ بخبرِ «لا» المحذوفِ على اسمِها «مدح» فِي الشطرِ الثانى، فقالَ: «ولا فِيْكُمُ مَدْحٌ»، ليؤكدَ بِهَذَيْنِ التَّقْدِيمَيْنِ انتفاءَ أيةِ مَفْخَرَةٍ تَخُصُّ العباسيينَ وذلكَ مما يكشفُ عَنْ تحقيرِ المُرْتَضَى لهم وسخريتِهِ منهم، ويشيرُ إلى أنهم لاحَقَّ لهم فِي الافتخارِ، إِذْ إِنَّهُ لا مجدَ لديهم، وهذا مما يُنَفِّرُ المُتَلَقِّيْنَ مِنْهُم، ويوحى بعدمِ أحقيتِهم فِي الخلافةِ.

كما كَشَفَ التَّرْكِيْبَانِ الإِبْدَاعِيَّانِ: «فما لَكُمُ مَجْدٌ» و «ولا فيكمُ مَدْحٌ» عَنْ تَأَثُّرِ المُرْتَضَى بروحِ عَصْرِهِ السياسيةِ تَأَثُّرًا بَالِغًا إِذْ «سياسةُ القرنِ الرابعِ سياسةٌ طبقيةٌ، تُفاضِلُ بينَ الناسِ بمقدارِ منازلِهِم من طبقاتِ المجتمعِ، فليحافظِ السيدُ عَلَى التقسيمِ الطبقيِّ، وليفخرْ بقومِهِ، وَلْيَتَغَنَّ بأمجادِ أسرتِهِ وليمتدحْ آباءَهُ، وَلْيُذِلَّ الناسَ عليهم»[2]؛ ليشيرَ إلى أنهم أحقُّ بالخلافةِ الإسلاميةِ من غيرِهِم.

1- الديوان ٢/ ١٥٢ (من الطويل).

2- عبد الرازق محي الدين: أدب الشريف المرتضى - رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٥٦م - ص ١٨

ومن قصيدةٍ فِى مدحِ فخر الملكِ، يقولُ :[1]

إِنَّ لفخــــرِ الملـــــكِ عِــــنْـــــــــدِى نِعَــــمًا فُقْــــنَ الــــنِّعَمْ

وَقَدْ قَدَّمَ المُرْتَضَى فِى البيتِ السابقِ شِبْهَى الجملةِ : «لفخرِ الملكِ»، و«عندى» المُتَعَلِّقَتَيْنِ بخبرِ «إِنَّ» المحذوفِ عَلَى اسمِها «نِعَمًا»، فقالَ : «إِنَّ لفخرِ الملكِ عندى نِعَمًا»؛ ليؤكدَ بشبهِ الجملةِ الأولى اختصاصَ فخرِ الملكِ بتفضلِه بالنعمِ الكثيرةِ، إِذْ قد نَكَّرَ كلمةَ «نِعَمًا» ليفيدَ أنها نعمٌ كثيرةٌ لا تُحْصَى، كما وَصَفَها بجملةِ «فُقْنَ النعَّمَ» ليؤكدَ هذا المعنى.

وَقَدْ قَدَّمَ المُرْتَضَى شبهَ الجملةِ الأخرى «عندى» عَلَى اسمِ «إِنَّ»؛ ليحددَ الشخصَ الذى يَخُصُّهُ فخرُ الملكِ بنعَمِهِ وفضائِلِهِ، وَأَنَّهُ هُوَ المُرْتَضَى نَفْسُهُ.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ – أَيْضًا – قَوْلُهُ :[2]

وَمَــا لِحَيَــاةٍ بَعْــدَ فَقْــدِكِ لَــذَّةٌ وَلَــيْسَ لِعَــيْشٍ بَعْــدَ بَيْنِــكِ طِيْــبُ

وهذا البيتُ مِنْ مقطوعةٍ يتحدثُ فيها المُرْتَضَى عن رحيلِ محبوبتِهِ / الخلافةِ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فيه يخبرُ بأنه لَمْ يَعُدْ يجد لَذَّةً للحياةِ بِفَقْدِهَا، كَمَا صَارَ لا يَتَمَتَّعُ بِعَيْشٍ لِبَيْنِها.

وَقَدْ قَدَّمَ المرْتَضَى فِى الشَّطْرِ الأَوَّلِ مِنَ الْبَيْتِ شِبْهَى الجملةِ «لِحَيَاة»، «بَعْدَ فَقْدِكِ» المتَعَلِّقَتَيْنِ بِخَبَرِ «مَا» المَحْذُوفِ عَلَى اسْمِهَا «طِيْبُ» أَمَّا فِى الشَّطْرِ الثَّانِى فَقَدْ قَدَّمَ شِبْهَى الجملةِ «لِعَيْشٍ»، «وَبَعْدَ بَيْنِكِ» المتَعَلِّقَتَيْنِ بِخَبَرِ «لَيْسَ» المَحْذُوفِ عَلَى اسْمِهَا كَمَا عَطَفَ جُمْلَةَ : «وَلَيْسَ لِعَيْشٍ بَعْدَ بَيْنِكِ طِيْبُ» عَلَى جُمْلَةِ : «وَمَا لِحَيَاةٍ بَعْدَ فَقْدِكِ لَذَّةٌ»؛ لِيُؤَكِّدَ أَنَّ الحياةَ بَعْدَ رَحِيلِ المحبوبةِ / الخلافةِ ما هى إلا شَقَاءٌ وَعَنَاءٌ.

وَمِنَ الملاحظِ أَنَّ هاتَيْنِ الجُمْلَتَيْنِ المعطُوفَتَيْنِ مُتَّفِقَتَانِ تَمَامًا فى البِنَاءِ التَّركيبىِّ، حَيْثُ إِنَّ كُلًّا مِنْهُمَا يتكونُ من أَدَاةٍ ناسِخَةٍ : «مَا» فى الأولى، و«لَيْسَ» فى الثانيةِ، ثُمَّ

---

1 – الديوان (/ ٢٧٦.(مجزوء الرجز).

2 – الديوان ١ / ٢٨ (من الطويل).

شبهِ جُمْلةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بخبرٍ محذوفٍ لهذه الأداةِ الناسخةِ ثم ظرفِ الزَّمَانِ : «بَعْدَ»، والمضافِ إليه، والضميرِ المجرورِ بالإضافةِ «الكاف» ثم اسْمِ الأداةِ الناسخةِ المؤخرِ «لَذَّةٌ» فى الأولى «طِيبٌ» فى الثانيةِ.

كَمَا أَنَّهُمَا – إلى جانبِ الاتفاقِ فى الْبِنَاءِ التَّرْكِيْبِيِّ – مُتَّفِقَتَانِ فى الدَّلالَةِ ؛ فالحياةُ هى العَيْشُ، والفقدُ يرادِفُهُ البَيْنُ، واللَّذَّةُ تَعْنِى الطِّيْبَ.

وهذا الاتفاقُ فى التركيبِ والدَّلالةِ يجعلُ الجملتينِ ملفوفتينِ تأخذُ كُلٌّ منهما برقبةِ الأخرى فى جَرْسٍ بَدِيْعٍ ومعنىً جَلِيٍّ.

٥- تقديم شبه الجملة عَلَى الخبر :

وَقَدْ احتلَّ المرتبةَ الخامسةَ من بينِ أنواعِ تقديمِ شبهِ الجملةِ التى توسطتْ التركيبَ، حَيْثُ قُدِّمَتْ فِىْ تسعةَ عَشَرَ وأربعمائةِ موضعٍ.

ومنه قولُهُ فِىْ مطلعِ مقطوعةٍ فِىْ الشَّيْبِ :[1]

نَصِيْبِيَ مِنْكِ اليومَ هَجْرٌ وَبِغْضَةٌ ... وَمَالَكِ إِلاَّ فِى السوادِ نَصِيْبُ

وَقَدْ وَرَدَ هذا البيتُ فِىْ سياقِ حديثِ الْمُرْتَضَى عَنْ نفورِ محبوبتِهِ / الخلافةِ منه بسببِ شَيْبِهِ، وَلِذَا فَقَدْ إِنْحَرَفَ عَنِ النِّظَامِ النَّحْوِيِّ، وقالَ : «نصيبى مِنْكِ اليومَ هَجْرٌ» بتقديمِ شِبْهَى الجملةِ «مِنْكِ» و«اليومَ» عَلَى مُتَعَلِّقِهِما المصدرِ / الخبرِ «هَجْرٌ» ؛ ليؤكدَ – خلالَ تقديمِ شِبْهِ الجملةِ الأُوْلَى – اختصاصَ محبوبتِهِ / الخلافةِ وَحْدَهَا بِهَجْرِهِ ثُمَّ يحددَ زمانَ هَجْرِهَا له بِوَقْتِ شَيْبِهِ وَكِبَرِهِ، وَذَلِكَ بتقديمِ شبهِ الجملةِ الثانيةِ كما يُوْحِى هذا التقديمُ – أيضًا – بأنها كانتْ تواصلُهُ قَبْلَ اليومِ ، أَيْ أَيَّامَ شَبَابِهِ وَفُتُوَّتِهِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ فِىْ مطلعِ قصيدةٍ كَتَبَهَا إلى أَخِيْهِ الرَّضِيِّ :[2]

طريقُ المعالى عامرٌ لى قَيِّمُ ... وَقَلْبِى بِكَشْفِ الْمُعْضِلاتِ مُتَيَّمُ

1- الديوان ١/ ٣٤ (من الطويل).

2- الديوان ٣/ ١٩٤ (من الطويل).

وَلِيْ هِمَّــةٌ لا تَحْمِــلُ الـضَّيْمَ مَــرَّةً　　عَزَائِمُهَــا فِى الْخَطْــبِ جَـيْشٌ عَرَمْـرَمُ

أُرِيْـدُ مِـنَ الْعَلْيَـاءِ مَـا لا تَنَالُــهُ الـسُّـ　　ـيُوفُ المَـوَاضِى وَالْوَشِــيْجُ المُقَــوَّمُ[1]

والْمُرْتَضَى فِي الأبياتِ يُصَوِّرُ عِشْقَهُ لِلمـ... وَقُوَّةَ عَزِيْمَتِهِ، وَلِـذَا فَقَـدْ اِنْحَـرَفَ فِي البيتِ الأوَّلِ مِنْهُمَا عَنْ النِّظَامِ النَّحْوِيِّ، و... «وَقَلْبِىْ بِكَـشْفِ المعـضلاتِ مُيَتَّمُ» بتقديمِ شِبْهِ الجملةِ «كَشْفِ المعضِلاتِ» عَلَى مُتَعَلِّقِهِا اسمِ الفاعلِ / الخبرِ «مُيَتَّمٌ»؛ لِيُشِيْرَ إلى أنه من أهلِ الحزمِ والعزمِ والمعالى لا يُشْغَفُ بِعِشْقِ امْرَأَةٍ، وإنما شَغَفُهُ بإزالةِ الغُممِ وَكَشْفِ المصائبِ.

٦- تقديم شبه الجملة عَلَى النعت :

وَقَدْ احتلَّ المرتبةَ السادسةَ من بينِ أنواعِ تقديمِ شِبْهِ الْجُمْلَةِ بحيثُ تتوسطُ التركيبَ، إِذْ قُدِّمَتْ مائتينِ وخمسينَ (٢٥٠) مَرَّةً.

وَمِنْه قولُ الْمُرْتَضَى فِى الافتخارِ :[2]

أمـــا الرَّسُـــوْلُ فقـــد أَبـــانَ وَلاءَهُ　　لَــوْ كـــانَ ينفـــعُ جـــائِرًا أَنْ يُنْــذَرَا[3]

أَمْــضَى مَقَــالًا لَمْ يَنُلْــهُ مُعَرِّضًــا　　وَأَشَـــادَ ذِكْـــرًا لَمْ يُـــشِدْهُ مُغَـــرِّرَا[4]

وَثَنَـــى إِلَيْـــه رِقَـــابَهُمْ وَأَقَامَـــهُ　　عَلَـــمًا عَـــلَى بـــابِ النَّجَـــاةِ مُـــشَهَّرَا

وَلَقَــدْ شَــفَى يــومُ الغــديرِ معــاشِرًا　　ثَلِجَـــتْ نُفُوْسُـــهُمْ وَأَدْوَى مَعْـــشَرَا

والْمُرْتَضَى فِىْ هذه الأبياتِ يتحدثُ عَنْ تصريحِ الرسول ﷺ بتَوْلِيَةِ الإمامِ عَلِيٍّ ﷺ الخلافةَ من بَعْدِهِ – وذلك فِىْ يوم الغديرِ – وأنه بيدِهِ أمرُ العبادِ إِنْ شَـاءَ عَـذَّبَ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا وَصَفَحَ.

1- الوشيج : الرمح.

2- الديوان ٢/ ٣٦ (من الكامل).

3- الجائر : هو من مال عن القصد والطريق .

4- الْمُعَرِّضُ : هو من يستخدمُ التَّوْرِيَةَ فى كلامِهِ ولا يصرحُ بقولِهِ . الْمُغَرِّرُ : هو المخادعُ الْمُطْمِعُ بالباطلِ.

وَلِذَا فَقَدْ اِنْحَرَفَ الْمُرْتَضَى عَنْ النِّظَامِ النَّحْوِيِّ فِي البيتِ الثالثِ فقالَ : «وَثَنَى إِلَيْه رِقَابَهُمْ» بتقديمِ شبهِ الجملة المُتَعَلِّقَةِ بالفعلِ «ثَنَى» عَلَى المفعولِ بِهِ، وَذَلِكَ ليؤكدَ اختصاصَ الإمامِ عَلِيٍّ – والأئمةِ الاثنى عَشَرَ مِنْ بَعْدِهِ – بِأَمْرِ تَعْذِيبِ أعدائِهِ فِي النَّارِ يومَ القيامةِ. ثُمَّ اِنْحَرَفَ فِي الشطرِ الثانى من البيتِ نفسِهِ، وقَدَّمَ شِبْهَ الجملةِ «عَلَى بابِ النجاةِ» المتَعَلِّقَةَ بالفعلِ «أقامَ» مِنْ قَوْلِهِ «أقامَهُ» عَلَى النعتِ «مُشَهَّرًا»، فقالَ : «وأقامه علمًا عَلَى بابِ النجاةِ مُشَهَّرًا»؛ لِيُنَبِّهَ السامعينَ عَلَى أنه – أيضًا – بيدِهِ النَّجاةُ. فَهُوَ وَإِنْ كانَ يُعَذِّبُ أَعْدَاءهُ يومَ القيامةِ يُنْجِي شِيْعَتَه وأنصارَهُ منها. وهي فكرةٌ شِيْعِيَّةٌ قد كَشَفَ عنها التركيبُ الإبداعيُّ إذ يروي الكُلَيْنِيُّ عَنْ أبى عبدِالله أَنَّهُ قالَ «إِنَّ الدنيا والآخرةَ للإمامِ يَضَعُهَا حَيْثُ يشاءُ، وَيَدْفَعُهَا إلى مَنْ يَشَاءُ»(1).

٧- تقديم شبه الجملة عَلَى الحال :

وَقَدْ احتلَّ المرتبةَ السابعةَ من بينِ أنواعِ تقديمِ شبهِ الجملةِ بحيث تتوسطُ التركيبَ، إذ قُدِّمَتْ سَبْعًا وعشرينَ ومائةَ (١٢٧) مَرَّةٍ.

يقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فِي مدحِ الملكِ جلالِ الدَّوْلَةِ :(2)

يا مليكَ الورى وَمَنْ عَقَدَ اللـ ... ـهُ بإقبالِهِ العزيزِ لِوَاءَ
والذي أخجلَ الملوكَ قديمًا ... وحديثًا تكرُّمًا وَمَضَاءَ
إن قَرَنَّاهُمُ إِلَيْكَ جَمِيْعًا ... كُنْتَ صُبْحًا لنا وكانوا مساءَ

والمُرْتَضَى فِي الأبياتِ السابقةِ يَتَوَجَّهُ بخطابِهِ الشِّعْرِيِّ إلى الملكِ جلالِ الدولةِ مُبَيِّنًا عِظَمَ منزلتِهِ، وتمامَ قَدْرِهِ، وعلوَ شأنِهِ بينَ الملوكِ، فهو ملكُ الخلقِ طُرًّا، لأنه أفضلُ الملوكِ قاطبةً.

1- ابن اسحاق الكُلَيْنِيْ الرَّازِي : الكَافِي فى الإمامةِ – صححه وعلق عليه: على أكبر الغفارى – دار الكتب الإسلامية طهران – إيران – الطبعة الثالثة – (د ت) ١/ ٤٠٩.

2- الديوان ١/ ١٦، ١٧ (من الخفيف).

وَقَدْ قَدَّمَ الْمُرْتَضَى شبهَ الجملةِ «إِلَيْكَ» المُتَعَلِّقَةَ بالفعلِ «قَرَنَ» من قولِهِ «قَرَنَّاهُمْ» – والتى بها ضميرٌ يعودُ عَلَى الملكِ جلالِ الدولةِ – عَلَى الحالِ «جميعًا» التى هى أولى بالتقديمِ – والتى تبينُ هيئةَ غيرِهِ من الملوكِ – ؛ ليبينَ المنزلةَ العظيمةَ التى يحتلُها جلالُ الدولةِ والتى تعلو فوقَ منزلةِ أىِّ مَلِكٍ.

٨- تقديم شبه الجملة عَلَى نائب الفاعل :

وتحتلُ هذه السِّمَةُ التَّرْكِيبِيَّةُ المَرْتَبَةَ الثامنةَ حيثُ قُدِّمَتْ شبهُ الجملةِ عَلَى نائبِ الفاعلِ مائةً وَسِتَّ عشرةَ (١١٦) مَرَّةً.

يقولُ الْمُرْتَضَى فِى قصيدةٍ فِى مدحِ فخرِ الملكِ :(١)

دِمَنٌ لَوْ رَنَتْ إِليهن عينا ... كَ قُبَيْلَ الفراقِ قُلْتَ النجومُ

ومغانٍ من النحولِ كأروا ... حٍ ولكن ليستْ لَهُنَّ جُسُومُ

مَامَرَرْنَا إلا بِهِنَّ – وَمِنْهُنْ ... نَ قِفَارًا – سِيْقَتْ إلينا الهمومُ

والْمُرْتَضَى فِى الأبياتِ السابقةِ يتحدثُ عَنْ ديارِ الأحبةِ / آلِ البَيْتِ – قُبَيْلَ فراقِ أَهْلِها عنها – ويصورُها بأنها نجومٌ ثم يُشَبِّهُهَا فِى البيتِ الثانى بأنها قد غَدَتْ بعدَ الفراقِ أرواحًا بلا أجسادٍ، ثم يأتى البيتُ الثالثُ ليصورَ مَبْلَغَ حُزْنِهِ عند رؤيتِها، وَقَدْ خَلَتْ من أَهْلِهَا.

وَقَدْ قَدَّمَ الْمُرْتَضَى الجارَّ والمجرورَ «إلينا» المُتَعَلِّقَيْنِ بالفعلِ «سِيْقَتْ» عَلَى نائبِ الفاعلِ «الهمومُ» الَّذِي هو أَوْلَى بالتَّقْدِيمِ، فقالَ : «سِيْقَتْ إلينا الهُمُومُ»، ليؤكدَ اختصاصَ قَوْمِهِ / العلويينَ وَحْدَهُم بالهمومِ عند رؤيةِ آثارِ ديارِ الأحبابِ / آلِ البَيْتِ.

٩- تقديم شبه الجملة عَلَى المفعول المطلق:

وَقَدْ بَلَغَ وُرُوْدُ هذه السِّمَةِ التركيبيةِ فِى الديوانِ ثمانيًا وستينَ (٦٨) مَرَّةً.

١- الديوان ٣/ ١٨١ (من الخفيف).

ومنه قولُ المُرتَضَى فِى الافتخارِ :[1]

تَرَكُـوْا المَعَـاذِرَ للجبـانِ وَحَلَّقُـوْا ... فِىْ شَـامِخٍ عَـالِى الرَّجَـا تَحْلِيْقَـا

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ فِىْ سياقِ افتخارِ المُرْتَضِى بقومِهِ، وأَنَّهُم مَلَكُوا الفخارَ، ولا فَخَارَ لِغَيرِهِمْ ؛ فَهُمْ – إِنْ تَسَابَقَ الناسُ إلى المَكْرُمَاتِ – السَّابِقُونَ، وَهُمْ – إذا دُعُوْا ليومِ عَظِيْمَةٍ – المُلَبُّوْنَ.

وَقَدْ اِنْحَرَفَ المرتضى فِىْ البيتِ السَّابِقِ، وَقَدَّم الجَارَّ والمجرورَ «فِىْ» المُتَعَلِّقَيْنِ بالفعلِ «حَلَّقَ» من قولِهِ «حَلَّقُوا» عَلَى المفعولِ المطلقِ «تَحْلِيْقًا»؛ لِيُحَدِّدَ أولًا نوعيةَ مَسَاعِيْهِم، وأنها لا تكونُ إلا فِىْ تحقيقِ جلائلِ الأمورِ وعظائمِ الأعمالِ ثم يُؤَكِّدُهَا – ثانيًا – بالمفعولِ المطلقِ. وَذَلِكَ مِمَّا يتناسبُ وسياقَ فَخْرِهِ.

١٠ – تقديم شبه الجملة عَلَى التمييز :

وَقَدْ احتلتْ هذه السمةُ التركيبيةُ المرتبةَ العاشرةَ، حيثُ وردتْ فِىْ تسعةٍ وخمسينَ (٥٩) موضعًا.

يقولُ المُرتضى من قصيدةٍ يجيبُ بها عَلَى قصيدةٍ كَاتَبَهُ بها أبو سَعْدٍ عَلِىُّ بنُ محمدِ بنِ خلفٍ ليُعَزِّيَهُ فِىْ وَفَاةِ وَالِدِهِ :[2]

كَـمْ فِـيْكُمُ مِـنْ طَـالِعٍ شَرَفَ الْعُـلاَ ... أَوْ قَـامِعٍ شَرَفَ الْعِـدَا أو قـاهِرِ

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ فِىْ سياقِ حديثِهِ عَنْ حُبِّهِ لـ «بنى خلف»، وأَنَّهُم بإخلاصِهم لَهُ – والقرابةُ لا تَجْمَعُهُمْ – أَقَارِبُهُ. ثُمَّ يذكرُ لَهُمْ أَنَّ حُبَّهُمْ بَاقٍ فِىْ قَلْبِهِ لاْ يَزُوْلُ.

وَقَدْ أَرَادَ الشَّاعِرُ – فِىْ هذا السِّيَاقِ – أَنْ يُؤَكِّدَ لَهُمْ أَنَّهُم جَدِيْرُوْنَ بِهَذَا الحُبِّ، فكانَ الْبَيْتُ السابقُ المُصَدَّرُ بـ «كَمْ» الخبريةِ التى تفيدُ التكثيرَ، المُبْهَمَةِ التى تحتاجُ إلى تمييزٍ يَعْقُبُهَا مباشرةً، وكانَ انحرافُ الشاعرِ عَنْ النِّظَامِ النَّحْوِىِّ حيثُ فَصَلَ بين

1 – الديوان ٢/ ٣٢٠ (من الكامل).

2 – الديوان : ٢/ ٧٤ (من الكامل).

«كَمْ» وتمييزِها بالجارِّ والمجرورِ «فِيْكُمْ» المُتَعَلِّقَيْنِ باسم الفاعلِ «طالع»، فقـالَ «كَـمْ فيكمُ من طالعٍ شَرَفَ الْعُلاْ»؛ ليؤكدَ أنَّهُمْ يستحقونَ كُلَّ الحُبِّ والتقديرِ. فكثيرٌ مِنْهُمْ – لاْ رَيْبَ – ذَوَوْ مَقَاْمٍ رَفِيْعٍ، أَبْطَاْلٌ يَقْهَرُوْنَ الأَعْدَاْءَ.

١١ – تقديم شبه الجملة عَلَى المفعول لأجله:

وَقَدْ جاءتْ هذه السِّمَةُ التركيبيةُ فِي المرتبةِ الأخيرةِ، حيثُ بلغَ عددُ ورودِها تِسْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً.

يقول المُرْتَضَى من قصيدةٍ يُعَزِّيْ فيها أَبَا عَلِيٍّ الحسنَ بنَ حَمْدٍ فِيْ وَفَاةِ وَالِدَتِهِ:[1]

فَـنَحْنُ نَبْكِـيْ عَـلَىْ آثَـارِهِمْ جَزَعًـا نَقُـوْلُ: لاْ تَبْعُـدُوا عَنَّـا، وَقَـدْ بَعُـدُوْا

وَقَدْ وَرَدَ هذا البيتُ فِيْ سياقِ حديثِهِ عَنْ كثرةِ من فَقَدَهُمْ من الكرامِ ويفتقدُهُمْ. والمُرْتَضَى – فِيْ البيتِ – يَأْسَى لنفسِهِ أَنَّهُ لم يستطعْ أَنْ يَرُدَّ سِهَامَ المنيةِ التـى أصابَتْهُمْ فِيْ الصَّمِيْمِ تَحْتَ بَصَرِهِ، وَلَمْ يَعُدْ يَمْلِكُ لَهُمْ إِلاَّ دُمُوْعًـا مُنْهَمِـرَةً، لَعَلَّهـا تُطْفِـئُ النَّـارَ الموقدةَ فِيْ صَدْرِهِ، ولكنها لا تفيدُ؛ فَهُمْ – لا محالةَ – رَاْحِلُونَ.

وَقَدْ قَدَّمَ المُرْتَضَى المسندَ إليه (المبتدأ) عَلَى خَـبَرِهِ الفعلـيِّ فقـالَ «وَنَحْـنُ نَبْكِـيْ» ليؤكدَ أنهم – لا شك – يبكونَ، ثُمَّ إِنْحَرَفَ، وقَدَّمَ شبهَ الجملةِ «عَـلَى آثَـارِهِمْ» عَـلَى المفعولِ لأجلِهِ «جَزَعًا» فقالَ «فنحنُ نَبْكِيْ عَـلَى آثَـارِهِمْ جَزَعًـا»؛ ليـشيرَ إلى سببِ بكائِهِمْ، وهو أَنَّهُمْ يَبْكُوْنَ لِفَقْدِ سَاَدةٍ كِرَاْمٍ لاْ رُجُـوْعَ لَهُـمْ يقـولُ المُرْتَـضَى فِيْ مـديحِ جلالِ الدَّوْلَةِ[2]

وَكَـمْ لِيَ فِيْ مَـدْحِي عُـلاْكَ قَـصَاْئِدٌ فَـضَلْنَ افتخـارًا نَظْـمَ كُـلِّ مُقَـصِّدِ
يَـسِرْنَ عَـلَى الأكـوارِ شَرْقًـا ومغربًـا ويقطعَـنَ فينـا كُـلَّ بَـرٍّ وَفَدْفَـدِ[3]

١- الديوان ١/ ٢٢٠ (من البسيط).

2- الديوان: ١/ ٢٨٨ (من الطويل).

3- الأكوار: جمع الكور وهو الرَّحْلُ. والفَدْفَدُ: الصحراءُ.

وَيُطْرِبْنَ مَنْ أَصْغَىٰ لَهُنَّ بِسَمْعِهِ كَمَا أَطْرَبَتْ ذَا الخمرِ ألحانُ مَعْبَدِ
فَإِنْ غَرَّدَ الشَّادِيْ بِهِنَّ تَنَغُّمًا تَنَاسَيْتَ تغريدَ الحَمَامِ المُغَرِّدِ

وَقَدْ وَرَدَتْ هذه الأبياتُ فِيْ سياقِ حديثِ المُرْتَضَى عَنْ القصائدِ الكثيرةِ التي نَظَمَها فِيْ مدحِ جلالِ الدَّوْلةِ والتي وَصَفَهَا بأنَّها أفضلُ مِنْ نَظْمِ كُلِّ نَاظِمٍ، وأنَّها – لجمالِها – تطوفُ البلادَ شرقًا وغربًا، وتقطعُ الفيافِيْ والبراري، وأنها تُطْرِبُ مَنْ يَسْتَمِعُ إليها كما تُطْرِبُ ألحانُ مَعْبَدَ السَّكْرَانَ، وإذا تَرَنَّمَ الشادي بها يُنْسِي تغريدَ الحمامِ.

وَقَدْ انْحَرَفَ الشاعرُ فِيْ البيتِ الرابعِ، وقَدَّمَ الجارَّ والمجرورَ «بهنَّ» المُتَعَلِّقَيْنِ بالفعلِ «غَرَّدَ» عَلَى المفعولِ لأَجْلِهِ «تَنَغُّمًا»؛ لأنه فِيْ سياقِ الحديثِ عَنْ قَصَائِدِهِ فِيْ جلالِ الدولةِ وَوَصْفِهَا، وهو مشغولٌ بِنَعْتِهَا وَتَفْضِيْلِهَا عَلَى مَا عَدَاهَا من أشعارٍ، فَطَبَعِيٌّ أَنْ يُقَدِّمَ شِبْهَ الجملةِ –بما تحملُ من ضميرٍ يعودُ عَلَى القصائدِ– عَلَى غَيْرِها مِنْ مُكَمِّلاتِ الجُمْلَةِ.

النوع الثاني: تقديم تتصدر فيه شبه الجملة التركيب:

وَقَدْ وَرَدَ هذا التقديمُ فِيْ سبعمائةٍ وأربعينَ (٧٤٠) مَوْضِعًا، وَتَنَوَّعَ إلى نَوْعَيْنِ، هُمَا:

١ – فِيْ الجملة الاسمية:

وَقَدْ وَرَدَ تقديمُ شبهِ الجملةِ عَلَى المبتدإ بحيثُ تَصَدَّرَتْ التَّرْكِيْبَ فِيْ خمسمائةٍ وتسعينَ (٥٩٠) موضعًا من شعر المُرْتَضَى.

ومن هذا التقديمِ قولُ المُرْتَضَى فِيْ مطلعِ قصيدةٍ قصيرةٍ فِيْ النَّسِيْبِ[1]

زُرْتُ هِنْدًا وَمِنْ ظَلامٍ قميصي لا بوعدٍ، ومن نجادٍ ردائي
واعتنقنا وبيننا جَفْنُ مَاضٍ فِيْ فَرَاشِ الرُّؤوسِ أَيُّ مَضَاءِ

والمُرْتَضَى فِيْ البَيْتَيْنِ السَّابِقَيْنِ يَصِفُ زِيَارَةً مِنْهُ إلى حَبِيبَتِهِ هِنْدٍ، كما يَصِفُ هَيْئَتَهُ

1- الديوان: ١/ ٢٣ (من الخفيف).

حالَ الزِّيَارَةِ، وما كانَ من الحَبِيْبَيْنِ. فالزِّيَارَةُ كانَتْ فِيْ الظلامِ الحالكِ، كما أنها لم تكنْ فِيْ الحسبانِ، والزائرُ كان مُدَجَّجًا بالسِّلاحِ، وَلَمْ يَقَعْ بَيْنَ الحَبِيْبَيْنِ ما يَسُوءُ.

وَقَدْ اِنْحَرَفَ المُرْتَضَى فِيْ البيتِ الأولِ عَمَّا يقتضيه النِّظَامُ النحويُّ، فحركَ الجارَّ والمجرورَ: «من ظلامٍ» المُتَعَلِّقَيْنِ بِخَبَرٍ مَحْذُوْفٍ إِلَى الأمامِ لِيَتَقَدَّمَا عَلَى المبتدإِ «قميصي» ويتصدرَا التركيبَ، فقالَ: «ومن ظلامٍ قميصي»؛ وذلك ليؤكدَ أَنَّهُ قَدْ زارَ هِنْدًا فِيْ غَسَقِ الليلِ حتى لكأنَ قميصَهُ الذى يَلْبَسُهُ قد قُدَّ من ظلامٍ، وهذا مما يوحى بأنَّ زيارتَه لِمَحْبُوْبَتِهِ قَدْ كَانَتْ حُلمًا ولم تكنْ وَاقِعًا.

ثُمَّ هُوَ فِيْ الشطرِ الثانى من البيتِ نفسِهِ قد اِنْحَرَفَ عَنْ النِّظَامِ النَّحْوِيِّ، وقَدَّمَ الجَارَّ والمجرورَ «مِنْ نِجَادٍ» المُتَعَلِّقَيْنِ بِخَبَرٍ مَحْذُوْفٍ عَلَى المبتدإِ «رِدَائِي»، فقالَ: «وَمِنْ نِجَادٍ رِدَائِي»؛ لِيُقَرِّرَ ويؤكدَ فِيْ نَفْسِ المُتَلَقِّى أَنَّهُ كَانَ – حِيْنَ الزِّيَارَةِ – مُكْتَمِلَ السِّلاحِ، وَكَأَنَّ رِدَاءَهُ مَصْنُوعٌ مِنْ حَمَائِلِ السُّيُوفِ، وهذا يوحى لمتلقيه بأنه قَدْ خَرَجَ مُهَيَّأً تَهَيُّؤًا كَامِلًا لِخَوْضِ حَرْبٍ من أجلِ حبيبتِهِ هِنْدٍ.

كما أنَّ فى تأخيرِ المبتدإِ «رِدَائى» عن مُتَعَلِّقِ الخبرِ المحذوفِ – بالإضافةِ إلى الدَّلالةِ السابقةِ – ما مَكَّنَ المرتضى من أَنْ يحافظَ على إيقاعِ البيتِ ويجعلَ قافيتَهُ تَنْسَجِمُ مَعَ قَافِيَةِ المقطوعةِ الَّتِى مِنْهَا.

وَهُوَ فِي البيتِ الثانى قد اِنْحَرَفَ الانْحِرَافَ ذَاتَهُ، فقَدَّمَ الظَّرْفَ «بَيْنَ» المُتَعَلِّقَ بِخَبَرٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيْرُهُ «مَوْجُوْدٌ» عَلَى المبتدإِ، فقالَ: «وبيننا جَفْنُ مَاضٍ»؛ ليقررَ ويؤكدَ أنَّ السيفَ الرقيقَ الحادَّ كانَ – بلا شَكٍّ – يفصلُ بينَ المُرْتَضَى وحبيبتِهِ وكأنَّ حبيبتَهُ هِنْدًا لا تُزَارُ ولا تُنَالُ إلا بالسَّيْفِ. فهذا التركيبُ يشيرُ كسابقةِ إلى استعدادِ المُرْتَضَى للحربِ من أجلِ حبيبتِهِ.

وَيَبْدُو لِيْ أَنَّ هِنْدًا – هَاهُنَا – مَا هِيَ إلا رَمْزٌ لِلْخِلافَةِ الإسْلامِيَّةِ المَسْلُوبَةِ مِنَ الْعَلَوِيِّيْنَ بِالسَّيْفِ، وَالَّتِى لَنْ تُنَالَ إلا بِالسَّيْفِ.

وَفِى رِثَاءِ جَدِّهِ الحسينِ بنِ عَلِيٍّ بنِ أبى طالبٍ يقولُ [1]

نَصَرْتُكُمْ قَولًا عَلَى أننى لآمِلٌ بالسيفِ أَنْ أنصُرَا

وبينَ أضلاعِىَ سِرٌّ لكُم حُوشِىَ أَنْ يَبْدُو وَأَنْ يَظْهَرَا

أنظُرُ وقتًا قِيلَ لى بُحْ بِهِ وَحُقَّ للموعودِ أَنْ يَنظُرَا

وَقَدْ قَدَّمَ المُرْتَضَى فِى البيتِ الثانى من الآبياتِ السَّابقةِ الظَّرْفَ «بَيْنَ» المُتَعلِّقَ بِخَبَرٍ مَحْذُوفٍ عَلَى المبتدإِ «سِرٌّ»، فقالَ : «وَبَيْنَ أَضْلاعِىَ سِرٌّ لَكُم». وَلِكَىْ أَقِفَ عَلَى ما يَرْمِى إليه الشاعرُ من وراءِ هذا التَّقْدِيمِ، فلابُدَّ مِنْ أَنْ أَتَبَيَّنَ مَعْنَى الأبْيَاتِ لأعْرِفَ السِّرَّ الَّذِى يَحْتَفِظُ بِهِ المُرْتَضَى ولا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبُوحَ بِهِ، وعَلَى مَنْ نَصَرَهُمْ قولًا ؟ وعَلَى مَنْ يَأْمُلُ أَنْ يَنْصُرَهُم بالسَّيْفِ ؟ وما الْوَقْتُ الَّذِى يَنْتَظِرُهُ المُرْتَضَى، والَّذِى فِيهْ يُمْكِنُ أَنْ يَبُوحَ بِسِرِّهِ ؟

وَلِكَى أَتَبَيَّنَ مَعْنَى الأبيَاتِ فلا مَفَرَّ من رَبْطِهَا بِسِيَاقِ الْقَصِيدَةِ الَّتِى وَرَدَتْ فِيهَا. فالقصيدةُ – كما قلتُ قبلُ – فِى رِثَاءِ جَدِّهِ الحُسَيْنِ فِى يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وهى تَبْدَأُ بالبكاءِ عَلَى أطلالِ ديارِ آلِ البيتِ، وذلكَ فِى خمسةِ أبياتٍ، ثم تنتقلُ إلى نَدْبِ الحسينِ وآهلِهِ ندبًا كُلُّهُ لَوْعَةٌ وَحَسْرَةٌ عَلَى ما أَصَابَهُمْ مِنْ قَتْلٍ وَتَشْرِيدٍ فِى سَبْعَةِ أَبْيَاتٍ أُخْرَى، وَبَعْدَهَا ينتقلُ المُرْتَضَى فِى قصيدتِهِ إلى بنى حَرْبٍ «بنى أمية» ذامًّا لَهُم، واصفًا إياهم بأنَّهُم قد تاهُوا عَنْ الحَقِّ، وَضَلُّوا الطَّرِيقَ إِلَى الإسلامِ، . . . ، وأنَّهُم قَدْ انتَزَعُوا الخلافةَ مِنْ «بنى عَلِىٍّ» غَصْبًا. والحقُّ يومًا لابُدَّ أَنْ يَرْجِعَ إلى أَصْحَابِهِ، وَيُقْبِلَ الأَمْرُ الَّذِى أَدْبَرَ. وفِى ذَلِكَ يقولُ المرتضى: [2]

وَنَلْتُمُوهَا بَيْعَةً فَلْتَةً حتى ترى العينُ الذى قُدِّرَا

1- الديوان : ٢/ ٤٣، ٤٤ (من السريع) .

2- الديوان : ٢/ ٤٣ .

....

....

فيرجــــعُ الحـــــقُّ إلى أَهْلِـــــهِ ويقبـــــلُ الأمــــرُ الـــــذى أَدْبَــــرَا

وَبَعْدَ هذا الحديثِ الممتدِ فِىْ عشرينَ بيتًا إلى «بنى أميةَ» ينتقلُ – أخيرًا – إلى مخاطبةِ «بنى عَلَى» (العلويينَ) وهو السياقُ الذى وَرَدَ بِهِ التقديمُ – مادحًا إيَّاهُمْ، قائلًا لَهُمْ:

لَقَدْ نَصَرْتُكُمْ قَوْلًا عَلَى الأمويينَ، وآملُ أَنْ أَنْصُرَكُمْ بالسَّيْفِ عَلَى العباسيينَ، لأنكم أَحَقُّ منهم – أيضًا – بالخلافةِ، ولكننى لا أستطيعُ أَنْ أبوحَ بهذا وَأَكْتُمُهُ سِرًّا بينَ ضُلُوْعِىْ خَشْيَةَ بَطْشِهِم وأنتظرُ يومَ ظهورِ المهدىِّ لأفصحَ عَنْهُ.

فالشاعرُ فى البيتِ الأولِ من أبياتِ الشاهدِ قد اِنْحَرَفَ وحذفَ شِبْهَىْ جملةٍ ومفعولًا بِهِ. أما شبهُ الجملةُ الأولى فهى «عَلَى الأمويينَ» التى تَتَعَلَّقُ بالفعلِ «نَصَرَ» من قولِهِ «نَصَرْتُكُم» وَقَدْ حَذَفَهَا تحقيرًا لَهُمْ. وأما شِبْهُ الجُمْلَةِ الأُخْرىَ فَهِىَ «عَلَى العباسيينَ» التى تَتَعَلَّقُ بالفعلِ «أنصر» وَقَدْ حَذَفَهَا خَوْفًا من بَطْشِهِمْ. . وأما المفعولُ بِهِ فَهُوَ الضميرُ «كُمْ» المحذوفُ من الفعلِ «أَنْصُرَا» لضيقِ صَدْرِ المُرْتَضَى عَنْ إطالةِ الكلامِ. وفِىْ البيتِ الثانى قَدَّمَ شبهَ الجملةِ عَلَى المبتدإِ، فقالَ: «وبينَ أَضْلاَعِىَ سِرٌّ لَكُمْ»؛ وَذَلِكَ ليقررَ ويؤكدَ فِىْ أذهانِ سَامِعِيْهِ أَنَّ سِرَّ آلِ البيتِ من أبناءِ الإمامِ عَلَىٍّ ﷺ – وهو أَنَّهُمْ أَحَقُّ بالخلافةِ من العباسيينَ ومن غَيْرِهِمْ – دفينٌ بينَ ضلوعِهِ مضمرٌ اتقاءَ لِشَرِّ الحكامِ. فَلاَتَ حِيْنَ ظُهُوْرِهِ.

وَإِذَنْ يَتَّضِحُ «أَنَّ للشِّعْرِ دَوْرًا خاصًا بالشاعرِ، فهو عالمُهُ الأَوْلُ الذى يتنفسُ فيه ويشكو ويبوحُ»[1]

---

1 – أحمد يوسف على: مفهوم الشعر عند شعراء العباسيين – مرجع سابق – صـ ٣٩.

ويقول المُرْتَضَى[1]

بَيْنِي وبينَ عَوَاذِلِي ... فِيْ الحُبّ أطرافُ الرِّمَاحِ
أنا خارجيٌّ فِيْ الهَوَى ... لا حُكْمَ إلا لِلملاحِ

وهذه نتفةٌ يخبرُ فيها المُرْتَضَى عَنْ استعدادِهِ لحربِ عواذلِهِ فِي الحُبّ، كَمَا يُخْبِرُ بأنَّ له مذهبًا فِي الهوى كمذهبِ الخوارجِ فِي الدينِ، وأنَّ مَذْهَبَهُ طاعةُ الملاحِ لا غيرِهِمْ.

ويبدو لى أنَّ الحُبَّ الذى يقصدُهُ المُرْتَضَى هو حُبُّ الحكمِ والخلافةِ لا حُبُّ المرأةِ، بدليلِ أنه قد اختارَ فِيْ النُّتْفَةِ مفرداتٍ وتراكيبَ تُوْحِى لنا بهذا. فـ «أطرافُ الرِّماحِ» مركبٌ إضافِيٌّ يوحى بالحربِ والدَّمارِ، و«أنا خارجى» مركبٌ إسنادىٌ يشيرُ إلى الخوارجِ، أولئكَ الذين خرجوا عَلَى عَلِيٍّ بنِ أبى طالبٍ حينَ قَبُولِهِ التحكيمَ بينه وبين معاويةَ بنِ أبى سفيانَ فِيْ موقعةِ صفين (٣٧ هـ - ٦٥٨ م) ؛ لأنهم «رَأَوْا أَنَّ الفصلَ فِيْ موضوعِ خلافةِ النبيِّ لا يصحُّ أَنْ يُوْكَل إلى البشرِ، وقالوا : لا حكمَ إلا لله»[2]، كما يشيرُ إلى أنَّ للشاعرِ مذهبًا كمذهبِ الخوارجِ، وكلمةُ «حكم» تَشِيْ بالحكمِ والخلافةِ.

كَمَا يبدو لى أَنَّ المُرْتَضَى قَدْ رَمَزَ بقولِهِ : «عواذلى» إلى أعدائِهِ / الخلفاءِ العباسيينَ، وأنه لم يقصدْ بكلمةِ «الملاح» النساءَ الحسناواتِ، بلْ يَرْمُزُ بِهَا إِلَى أَئِمَّةِ الشِّيْعَةِ الاثنى عَشْرِيَّةِ.

ومن ثَمَّ فَهُوَ قَدْ قَدَّمَ فِي الْبَيْتِ الأَوَّلِ من النُّتْفَةِ شِبْهَى الجُمْلَةِ «بَيْنِي وَبَيْنَ عَوَاذِلِي» و«فِي الحُبِّ» المتَعَلِّقَتَيْنِ بِخَبَرٍ مَحْذُوْفٍ عَلَى المبْتَدإِ «أَطْرَافُ الرِّمَاحِ»؛ لأنَّ فِيْ تَقْدِيْمِهِ لِشِبْهِ الجُمْلَةِ الأُوْلَى تَحْدِيْدًا وَحَصْرًا لِمَنْ سَتَقَعُ بَيْنَهُمْ الحَرْبُ، كَمَا أَنَّ فِيْ تَقْدِيْمِهِ لِشِبْهِ الجُمْلَةِ الأُخْرَى «فِي الحُبِّ» إِشَارَةً إِلَى السَّبَبِ الَّذِى مِنْ أَجْلِهِ سَتَقُوْمُ الحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَوَاذِلِهِ.

فالشَّاعِرُ بِهَذَا التَّقْدِيْمِ - إِذَنْ - يُقَرِّرُ فِيْ أَذْهَانِ سَامِعِيْهِ أَنَّ هُنَاكَ حَرْبًا ضَرُوْسًا سَتَقَعُ لا مَحَالَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَوَاذِلِه / أعدائِهِ، بِسَبَبِ الحُبِّ / الحُكْمِ.

1- الديوان : ١ / ٢١١ (من مجزوء الكامل) .

2- تاريخ الفكر الفلسفى عند العرب - مرجع سابق - ص ١٥ .

ولا يخفَى أنَّ في إشارةِ المُرتَضى لفرقةِ الخَوارجِ ما يُوحِي بثقافةِ المُرتَضى الدِّينيَّةِ ولا غَرْوَ من ذلك، فقد كانَ إمامَ الطالبيينَ في عَصْرِهِ وَفَقِيهَهُم، وَهُوَ لَيْسَ شَاعِرًا فَحَسْبُ بَلْ شَاعِرًا وَعَالمًا. «وَالْعِلم وَالشِّعْرُ مَظْهَرَانِ لِعَقْلٍ مُنَظَّمٍ مُبْدِعٍ مُتَأَمِّلٍ، يَعْتَمِدُ عَلَى المقَدِّمَاتِ الصَّحِيْحَةِ لِلْوصُولِ إِلَى النَّتَائِجِ الصَّحِيْحَةِ»[1]

وَمِنْ قَصِيْدَةٍ في الافتخارِ يقولُ[2]

مِنَّا النبيُّ والوصيُّ صِنْوُهُ   ثم البتولُ والحسينُ والحسنْ[3]

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ السابقُ في سياقِ افتخارِ المُرْتَضَى بقومِه ومن ثم فقد قَدَّمَ الجَارَّ والمجرورَ «مِنَّا» المُتَعَلِّقَيْنِ بِخَبَرٍ مَحْذُوفٍ عَلَى المبْتَدَإِ «النبيُّ»؛ لِيُؤَكِّدَ أَنَّ قَوْمَهُ قومٌ مصطفونَ، إِذْ قَدْ اصْطَفَاهُم اللهُ وَفَضَّلهُمْ عَلَى بقيةِ خَلْقِهِ بأنْ اختارَ منهم النبيَّ (محمدًا)، والوصيَّ (عَلِيَّ بنَ أبي طالبٍ) الذي أوصى له الرسولُ - عَلَى حدِّ زعمِ الشيعةِ - بالخلافةِ من بَعْدِهِ، كما اختارَ منهم فاطمةَ الزهراءَ وَوَلَدَيْها الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ.

والتقديمُ في البيتِ السابقِ يفيدُ - أيضًا - مَعَنى الاختصاصِ فهو قَدْ قَدَّمَ شبهَ الجملةِ «مِنَّا»، لأنَّ بها ضميرًا يعودُ عَلَى قومِهِ، وأرادَ الشاعرُ أَنْ يَخُصَّهُمْ بأنَّ منهم لا مِنْ غَيرِهِم النبيَّ والوصيَّ والبتولَ والحسينَ والحسنَ.

وفي الافتخارِ يقولُ:[4]

وفي بَيْتِيَ النُّبُوَّةُ مَا عَدَتْنِيْ   وَقَانُوْنُ الإمامةِ في نِصَابِيْ

1- أحمد يوسف علي: دوائر النقد الأدبي - الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ٢٠٠٤م - صـ ٩٢.

2- الديوان: ٣/ ٣٤٧ (من الرجز).

3- المقصودُ بالوصِي هو الإمامُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ؛ لأنَّ الرسولَ قد أوصى له - على حَدِّ زَعْمِ الشيعةِ - بالإمامةِ مِنْ بعدهِ، والمقصودُ بالبتولِ: فاطمةُ الزهراءُ بنتُ النبيِّ ﷺ

4- الديوان ١/ ١٠٠ (من الوافر).

وَقَدْ وَرَدَ هذا البيتُ فِي سياقِ افتخارِ المُرْتَضَى عَلَى أعدائِهِ. وَهُوَ – فِي هذا السياقِ – لَنْ يَجِدَ معنىً أَنْسَبَ مِنْ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِأَنَّ النُّبُوَّةَ كانتْ فِي بيتِهِ وَلَمْ تتعداهُ إلى غيرِهِ، وَأَنَّ الإمامةَ من حَقِّ آبائِهِ وأجدادِهِ. «فالشيعةُ الإماميةُ تعتقدُ أَنَّ الخلافةَ فِي «عَلِيٍّ» بَعْدَ رسولِ اللهِ « ﷺ » ومن بعدِ «عَلِي» فِي أولادِهِ حتى الإمامِ الثاني عشرَ الذي هو محمدُ بنُ الحسنِ العسكريِّ الملقبُ بالمهديِّ»(1)

وَلِذَلِكَ فَقَدْ انْحَرَفَ المُرْتَضَى عَمَّا يَقْتَضِيْهِ النِّظَامُ النَّحْوِيُّ، وَقَدَّمَ الجارَّ والمجرورَ «فِي بَيْتِي» المُتَعَلِّقَيْنِ بخبرٍ محذوفٍ على المبتدإِ، فقالَ : «وَفِي بِيْتِيْ النُّبُوَّة مَا عَدَتْنِي»؛ ليحددَ الإطارَ المكانيَّ للنبوةِ، وَلِيَشِيَ بِأَنَّهَا – لاَ رَيْبَ – فِي بيتِهِ وَلَمْ تَخْرُجْ مِنْهُ إِلَىْ سِوَاْهُ. فالتقديمُ – إِذَنْ – مفيدٌ مَعْنَيَيْ الاخْتِصَاصِ والتَّوْكِيدِ بالإضافةِ إلى تحديدِهِ الإطارَ المكانيَّ للحدثِ.

ومن قصيدةٍ فِي تهنئةِ القائمِ بن القادرِ بتوليه الخلافةَ، يقولُ :(2)

غَرَامِيْ بغيرِ ذواتِ الخدودِ	ووجدي بغيرِ وصالِ الغَوَانِيْ
وَلِيْ شُغُلٌ عَنْ هَوَى الغانياتِ	وما الحبُّ إلا فَرَاغُ الجَنَانِ
ومن أجلِ وَسْوَاسِ هذا الغرامِ	أقامَ العزيزُ بِدَارِ الهوانِ
ولولا الهوى ما رأيتَ الشُّجاعَ	يَقْنِصُ فِي حومةٍ للجبانِ
وَلِيْ عِوَضٌ بِوِجُوْهِ الصَّوابِ	مشرقةٌ عَنْ وجوهِ الحسانِ
فَأَغْنَى من البيضِ بيضُ الضِّرَابِ	وَأَغْنَى من السُّمْرِ سُمْرُ الطِّعَانِ

وَفِي الأبياتِ يَتَوَجَّهُ الشَّاعِرُ بِخِطَابِهِ الشِّعْرِيِّ إلى لائِمَيْهِ عَاتِبًا عَلَيْهِمَا، وَمُوَبِّخًا إِيَّاهُمَا عَلَى عَذْلِهِمَا لَهُ فِي الحُبِّ ؛ لأنه لَنْ يَسْتَجِيْبَ لِعَذْلِهِمَا. فهو لَمْ يَعْشَقْ امْرَأَةً كسائرِ

---

1 – الشيعة والتصحيح – مرجع سابق – ص٩ .

2 – الديوان ٣/ ٣٣٨ (من المتقارب) .

الخَلْقِ وإنما هو يعشقُ شَيْئًا آخرَ غيرَها. إنه يعشقُ السيوفَ والرِّمَاحَ.

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ الثانى من الأبياتِ السابقةِ فِى سياقِ حديثِه عَنْ عشقِهِ لغيرِ الجميلاتِ ؛ ولذا فقد قَدَّمَ الشاعرُ الجَارَّ والمجرورَ «لِى» المُتَعَلِّقَيْنِ بِخَبَرٍ مَحْذُوفٍ عَلَى المبتدإِ «شُغُلٌ»، فقالَ : «وَلِى شُغُلٌ عَنْ هوى الغانياتِ»؛ ليؤكدَ أنه – لا شَكَّ – مشغولٌ عَنْ هوى الفاتناتِ بهوًى آخرَ، ولا مكانَ لَهُنَّ عِنْدَهُ، فما الحبُّ – عَلَى حَدِّ رأى المُرْتَضَى – إلا فَرَاغُ الجَنَانِ من كُلِّ شيءٍ سوى المَحْبُوبِ.

وَقَدَّمَ الشاعرُ – أيضًا – فِى البيتِ الخامسِ الجَارَّ والمجرورَ «لِى» المتَعَلِّقَيْنِ بِخَبَرٍ مَحْذُوفٍ عَلَى المبتدإِ «عِوَضٌ»، فقالَ : «وَلِى عِوَضٌ بوجوه الصَّوَابِ»؛ ليؤكدَ أَنَّهُ – لا ريبَ – لَدَيْهِ البديلَ عَنْ حُبِّه للْحَسْنَاوَاتِ بِحُبٍّ ما هو خَيْرٌ مِنْهُنَّ، بِحُبِّ السَّيْفِ والرُّمْحِ.

وفِى مطلعِ قصيدةٍ فِى الافتخارِ، يقولُ :[1]

عِتَابٌ لِدَهْرٍ لا يَمَلُّ عِتَابِى ... وَشَكْوَى إِلَى مَنْ لا يَرُدُّ جَوَابِى
وأطلبُ مَا أَعْيَا الرجالَ طِلابُهُ ... فَيَا لَلْحِجَا كَمْ ذا يكونُ طِلابِى
وَبِى مَا أَذُودُ الناسَ عَنْ بابِ عِلمهِ ... وَكُلُّ أُسَاتِى جَاهِلُونَ بِمَا بِى
فَلِى كَبِدٌ تَصْلَى بِغَيْرِ خَرِيدَةٍ ... وَلِى جَسَدٌ يَبْلَى بِغَيْرِ كَعَابِ

والشاعرُ فِى الأبياتِ يَعْتِبُ عَلَى الدَّهرِ عَتْبًا ضياعَ أملِهِ فِى تحقيقِ مطلبِهِ، ويشكو إليه ذَلِكَ، ولكنه دهرٌ أَصَمٌّ أعجمٌ لا يجيبُ ولا يتكلمُ، ثم يخبرُ بأَنَّ مَطْلَبَهُ فِى الحياةِ عسيرٌ..

ولذا فقدْ اِنْحَرَفَ الشاعرُ عَنِ النِّظَامِ النَّحْوِىِّ الَّذِى يقتضى تقديمَ المبتدإِ النكرةِ طَالَمَا وُصِفَ بجملةٍ فِعْلِيَّةٍ، فقالَ «فَلِى كَبِدٌ تَصْلَى بِغَيْرِ خَرِيدَةٍ» وكانَ ينبغى أَنْ يقولَ «وَكَبِدٌ تَصْلَى بِغَيْرِ خَرِيدَةٍ لِى»؛ وَذَلِكَ ليؤكدَ أَنَّ النَّارَ التى تشتعلُ فِى كَبِدِهِ، وَأَنَّ جَسَدَهُ الذى يَبْلَى سببُهما عدمُ تحقيقِ مطلبِهِ لا التفكيرُ فِى المرأةِ.

---

1 – الديوان : ١/ ٧٩ (من الطويل).

ومن قصيدة في الرثاء يقول: [1]

لهُـــنَّ بِبَوْغَـــاءِ الطُّفُـــوفِ أَعِـــزَّةٌ   سُـقُوا المـوتَ صِرْفًـا صِـبْيَةً وَكُهُـولا [2]

والمُرْتَضَى في هذا البيتِ يؤكدُ – خلالَ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ «لَهُنَّ» المتعلِّقَينِ بِخَبَرٍ مَحْذُوفٍ على المبتدإِ «أَعِزَّةٌ» – اختصاصَ العلويينَ بأنهم قد قُتِلُوا على أرضِ كَرْبَلاءَ.

وهو قد عَطَفَ كَلِمَةَ «كُهُولًا» على كلمةِ «صِبْيَةً»؛ لِيُشِيْرَ إلى أنَّ الأعداءَ يومَ كَرْبَلاءَ لم يُفَرِّقُوا بينَ كبيرٍ وصغيرٍ في القَتْلِ ؛ فالقتلُ قد شَمِلَ جميعَ العلويينَ.

٢- فِيْ الجملة الفعلية :

وَقَدْ وَرَدَ تقديمُ شبهِ الجملةِ فِي الجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ بِحَيْثُ تَصَدَّرَتْ التَّرْكِيْبَ فِيْ مائةٍ وَخَمْسِيْنَ (١٥٠) مَوْضِعًا.

يقولُ المُرْتَضَى فِيْ مطلعِ قصيدةٍ فِيْ رثاءِ الشَّرِيفِ أبي عَلِيٍّ عُمَرَ بنِ محمدِ بنِ عُمَرَ: [3]

عَـلَى مِثْلِـهِ تُـذْرِي العيـونُ دِمَـاءَ   فَـلاَ يَحْتَـشِمْ بـاكٍ عليـه بُكَـاءَ

وَقَدْ خلقَ الشاعرُ فِيْ هذا البيتِ تركيبًا أسلوبيًا استطاعَ أن يعبرَ به عَمَّا يجيشُ فِيْ صَدْرِهِ من معانٍ ومشاعرَ نحو هذا الشريفِ، حَيْثُ نَرَاهُ قَدْ قَدَّمَ الجَارَّ والمجرورَ "عَلَى مِثْلِهِ" المتعلِّقَيْنِ بالْفِعْلِ "تُذْرِي" عَلَى الفعلِ والفاعلِ والمفعولِ "تُذْرِي الْعُيُونُ دِمَاءَ"؛ لِيُبَيِّنَ المنْزِلَةَ الْكَرِيْمَةَ الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا الشَّرِيْفُ الْفَقِيْدُ، فَجَدِيْرٌ بـالْعَيْنِ – إِذَنْ – الَّتِي تَذْرِفُ دَمْعًا – كَمَا هِيَ طَبِيْعَتُهَا – أَنْ تَذْرِفَ الدَّمَ بَدَلًا مِنَ الدَّمْعِ عَلَى رَحِيْلِ ذَلِكَ الشَّرِيْفِ وَرَحِيْلِ مَنْ كَانَ مِثْلَهُ فِيْ أَحْوَالِهِ وَصِفَاتِهِ، وَخَلِيْقٌ بِالرِّجَالِ أَنْ يَبْكُوْه دُوْنَ حَيَاءٍ أَوْ خَجَلٍ.

1- الديوان ٣/ ٧٨ (من الطويل).

2- البوغاء : دقيق التراب . الطف والطفوف : مكان بأرض كربلاء .

3- الديوان ١/ ١٥ (من الطويل).

وَمِنْ قَصِيْدَةٍ فِي الطَّيْفِ يقولُ : [1]

أَلا لَيْتَ عَيْشًا ماضيًا عنك بالحِمَى - وَإِنْ لَمْ يَعُدْ ماضٍ - عليكَ يعودُ
ويا زَوْرَنَا لَمَّا سَمَحْتَ بِزَوْرَةٍ سَمَحْتَ بها وَهْنًا وَنَحْنُ هُجُودُ
عَلَى غَفْلَةٍ جَاءَ الْكَرى بَاعِثًا لَنَا بِلا مَوْعِدٍ والزَّائِرُوْنَ هُمُودُ

وَقَدْ وردَتْ الأبياتُ السابقةُ فِيْ سياقِ التمني، فالمُرْتَضَى يتمنى أن ترجعَ أيامُ الوصالِ واللقاءِ – كما كانتْ فِيْ الماضي – بينه وبينَ محبوبتِهِ / الخلافةِ، ولكنْ قَدْ عَزَّ اللِّقَاءُ، وصارَ طيفًا يأتيه نائمًا.

وَقَدْ قَدَّمَ المُرْتَضَى الجَارَّ والمجرورَ "عَلَى غفلةٍ" المتَعَلِّقَيْنِ بِالْفِعْلِ "جَاءَ" عَلَى الفعلِ والفاعلِ "جاءَ الكَرَى"، فقالَ : "عَلَى غفلةٍ جاءَ الكرى" ؛ ليشيرَ إلى أنَّه قَدْ يَئِسَ من لِقَاءِ المحْبُوبَةِ / الخلافةِ، وَلَمْ يكنْ – أَبَدًا – يتوقعُ أَنْ تَأْتِيَهُ، حَتَّى وإنْ كانَ مَجِيْؤُهَا له فِيْ الحُلم، فقد جاءتْ عَلَى حينِ غَفْلَةٍ منه، وعدمِ توقعٍ أو انتظارٍ، جاءت وكان مجيؤُهَا باعثًا للأملِ فِيْ نفوسِهم بأنَّ الحُلم قَدْ يَصِيرُ حَقِيْقَةً، والأمْنِيَةَ قَدْ تَتَحَقَّقُ.

وفِيْ مَطْلَعِ قصيدةٍ فِيْ الشَّيْبِ يقولُ : [2]

فِيْ كُلِّ يومٍ أَرَى عَجِيْبًا جَرَّ عَلَى مَفْرِقِي المشِيْبا

وَقَدْ قَدَّمَ المُرْتَضَى الجَارَّ والمجرورَ "فِيْ كُلِّ يَوْمٍ" المُتَعَلِّقَيْنِ بالفعلِ "أَرَي" عَلَى الفعلِ والفاعلِ والمفعولِ "أَرَى عَجِيبًا" ؛ لِيُنَبِّهَ عَلَى كَثْرَةِ الأشياءِ العجيبةِ التى تَمُرُّ عَلَيْهِ، والتى كانتْ سببًا فِيْ ابيضاضِ شَعْرِهِ.

وفِي القصيدةِ نَفْسِها يقولُ : [3]

ومن خُطُوبٍ يَزُرْنَ قَلْبِي شِبْتُ وَمَا آنَ أَنْ أَشِيْبَا

1- الديوان ١/ ٢٢٦ (من الطويل).

2- الديوان ١/ ٦٧ من مخلع البسيط .

3- الديوان ١/ ٦٧ .

والمُرْتَضَى فِى هذا البيتِ قَدْ خَلَقَ تركيبًا إبداعيًا مُنْحَرِفًا عَنِ النَّسَقِ المعيارىِّ، فقالَ: "وَمِنْ خُطُوْبٍ يَزُرْنَ قَلْبِى شِبْتُ" بتقديمِ الجَّارِّ والمجرورِ "من خطوبٍ" المتَعَلِّقَيْنِ بالفعلِ "شَابَ" عَلَىْ الفعلِ والفاعلِ "شِبْتُ" ؛ وذلكَ ليؤكدَ أَنَّ المصائبَ التى توالتْ عليه هى وَحْدَهَا السببُ فِىْ مَشِيْبِهِ قَبْلَ أَوَانَ مَشِيْبِهِ ؛ ولأنه لو التزمَ بـ (النَّسَقِ المعيارىِّ) فقالَ : " شِبْتُ من خطوبٍ يزرنَ قَلْبِى" مَا استطاعَ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ هذا المعنى، وَلأَوْحَى التركيبُ المعيارىُّ بأنَّ هناكَ أسبابًا متعددةً وَرَاءَ بلوغِهِ الشَّيْبَ، وهو مَعْنىً بَعِيْدٌ عَنْ ذِهْنِ المُرْتَضَى.

ومن قصيدةٍ فِى الافتخارِ يقولُ [1]

وَبِجَدِّنَا وَبِصُنْوِهِ دُحِيَتْ عَنِ الـ ـبيتِ الحرامِ وَزُعْزِعَتْ أَصْنَامُهُ

والمُرْتَضَى فِى البيتِ السابقِ يفتخرُ بالرسولِ ﷺ وبالإمامِ عَلِىٍّ بنِ أبى طالبٍ (ﷺ)، إِذْ "الصِّنْوُ هُوَ النظيرُ والمثلُ "[2] والمقصودُ بِهِ – هاهنا – الإمامُ عَلِىٌّ، وَمِنْ ثَمَّ فقدْ قَدَّمَ الجَّارَّ والمجرورَ وما عُطِفَ عَلَيْهِمَا " وَبِجَدِّنَا وَبِصِنْوِهِ " المتَعَلِّقَيْنِ بالفعلِ "دُحِيَتْ" عَلَى الفعلِ وَمُتَعَلِّقِهِ وما عُطِفَ عَلَيْهِ " دُحِيَتْ عَنْ البيتِ وَزُعْزِعت أَصْنَامُهُ"؛ ليؤكدَ اخْتِصَاصَ الرسولِ والإمامِ عَلِىٍّ بأنهما هُمَا اللذانِ هَدَّمَا أصنامَ الكعبةِ لا غيرُهُمَا، كما أَنَّ فِىْ تَقْدِيْمِهِمَا عَلَى جميعِ عناصرِ التركيبِ مَا يُوْحِى بِعِظَمِ منزلتِهِمَا فِىْ نفسِ المُرْتَضَى، فهو قَدْ أَبَى إلا أَنْ يُصَدِّرَ بهما التركيبَ وَيُقَدِّمَهُمَا عَلَى بَقِيَّةِ عَنَاصِرِهِ، كَمَا أَنَّهُمَا مُقَدَّمَانِ عَلَى سَائِرِ الخَلْقِ.

1- الديوان ٣/ ١٦٢ (من الكامل).

2- إبراهيم أنيس ورفاقه : المعجم الوسيط – أشرف على الطبع : حسن على عطية ، محمد شوقى أمين – الطبعة الثانية – ١٩٧٢م – ص ٥٥٢ .

ومن أمثلةِ ذلكَ فِي شعرِ المُرْتَضَى قولُهُ فِي مطلعِ قصيدةٍ فِي الغديرِ: [1]

عَلَىٰ مِثْلِ هذا اليومِ تُحْنَى الرَّوَاجِبُ ... وَتُطْوَى بِفَضْلٍ حِيْزَ فيه الحقائبُ [2]

وقد وردَ هذا البيتُ فِي سياقِ حديثِ المُرْتَضَى عن يومِ الغديرِ مبينًا فَضْلَهُ، وَمِنْ ثَمَّ فإنَّ قَوْلَهُ: "تُحْنَى الرَّوَاجِبُ" كنايةٌ عن التقديرِ والاحترامِ، وَقَوْلَهُ: "تُطْوَى. . . الحقَائِبُ" كنايةٌ عن الاستعدادِ للاحتفالِ بهذا اليومِ.

وَإِذَنْ، فالمُرْتَضَى يؤكدُ – خلالَ تقديمِ شبه الجملةِ "على مثلِ هذا اليومِ" على الفعلِ ونائبِ الفاعلِ "تُحْنَى الرَّوَاجِبُ" – أَنَّ يومَ الغديرِ وَمَا كانَ على صِفَتِهِ من الأيامِ جَدِيرٌ بأنْ تُحْنَى له الأصابعُ احترامًا وتقديرًا، وجديرٌ – أيضًا – بأنْ تُجَهَّزَ له الحَقَائِبُ بالزَّادِ والمتاعِ استعدادًا للاحتفالِ به؛ وَمَا ذَلِكَ إلا لِفَضْلِهِ على العلويينَ.

ثانيًا: التقديم فِي التركيب الإسنادي:

١ –تقديم المبتدإ عَلَى خَبَرِهِ الْفِعْلِي فِي شِعْرِ المُرْتَضَى:

وَقَدْ وَرَدَ تقديمُ المسندِ إليه عَلَى خبرِهِ الْفِعْلِيِّ فِي شِعْرِ المُرْتَضَى تسعينَ وثلاثمائةَ (٣٩٠) مَرَّةٍ، وَقَدْ تَنَوَّعَ المبتدأُ المُقَدَّمُ فِي الدِّيوانِ، فجاءَ ضَمِيْرًا كما جاءَ اسمًا ظَاهِرًا، وجَاءَ مَنْفِيًّا كما جاءَ مُثْبَتًا، وجاءَ المُسْنَدُ إِلَيْهِ كَذَلِكَ بِلَفْظَي "مِثْلُ وَغَيْرُ".

أ– تقديمُ المبتدإِ المثبتِ عَلَى خبرِهِ الْفِعْلِيِّ:

وَقَدْ وَرَدَ تقديمُ هذه السِّمَةِ التركيبيةِ تِسْعًا وستينَ وثلاثمائةَ (٣٦٩) مَرَّةٍ. وَمِنْهَا قولُ المُرْتَضَى فِي قصيدةٍ يَرْثِيْ فيها جَدَّهُ الحسينَ (ﷺ): [3]

آلَ يَاسِيْنَ وَمَنْ فَضْـ ... ـلُهُمُ أَعْيَا اللَّبِيْبَا

أَنْتُمُ أُنْسِي لَدَىْ الحَشْـ ... ـرِ إِذَا كنتُ نَجِيْبَا

1– الديوان: ١/ ٣٥ (من الطويل).

2– الرواجب: مفاصل الأصابع، ومفردها الراجبة.

3– الديوان ١/ ٧١ (من مجزوء الرمل).

والشعراءُ – كَما هُوَ مَعْلومٌ – لا يَقِفُوْنَ فِىْ رثائِهم عند وصفِ الأحزانِ والآلامِ فَحَسْبُ، وإنما نجدُهُم قد تَجاوزوا ذَلِكَ إلى رَصْدِ الصِّفَاتِ والمِيْزَاتِ التى من شأنِها أَنْ تُعْلِىَ من قَدْرِ مَيِّتِهِمْ. " فَهُمْ يَصِفُونَ الميِّتَ بِجَمِيْعِ الْفَضَائِلِ الَّتِى يُفَاخِرُونَ بها بأسلوبٍ يتضحُ فيه التَّفَجُّعُ والتَّلَهُّفُ، وَيَنْعَوْنَ الصِّفَاتِ الَّتِى كَانَ يَتَّصِفُ بِهَا، وَكَأَنَّهَا ذَهَبَتْ بذهابِهِ، وَانْدَثَرَتْ بِمَوْتِهِ"(1).

وَلِذَا نجدُ الْمُرْتَضَى فِىْ هذا المقطعِ يتوجَّهُ إلى آلِ البيتِ بخطابِهِ الشِّعْرِىِّ، ليقولَ لهم : أنتمْ يا آلَ النبىِّ لَكُمْ من الفضلِ والكرمِ ما يعجزُ الحَصِيْفُ عَنْ عَدِّهِ وَحَصْرِهِ، وأنتمْ تعلمونَ الغيبَ وَحْدَكُم دُوْنَ سِوَاكُمْ. . . والذى سَوَّغَ للمرتضى أَنْ يبوحَ بهذا المعنى هو انحرافُهُ فِىْ تَرْكِيْبِهِ عَنْ النِّظَامِ النَّحْوِىِّ، حيثُ قالَ : " أَنْتُمْ كَشَفْتُمْ الغُيُوبَا " بتقديمِ المبتدإِ " أَنْتُم" عَلَى خبرِهِ الْفِعْلِىِّ ؛ لِيُفِيْدَ اخْتِصَاصَهمْ بِكَشْفِ الْغَيْبِ، ولأنَّهُ لو التزمَ بِمَا هُوَ مقررٌ فِىْ علمِ التراكيبِ، فقالَ " كَشَفْتُمُ الغيوبَا " لأوحى التَّرْكِيْبُ المِعْيَارِىُّ بأَنَّ معرفةَ الْغَيْبِ لا تَقْتَصِرُ عَلَى أئمةِ الشِّيْعَةِ وَحْدَهُمْ وإنما يُشَارِكُهم فِىْ ذلكَ آخَرُونَ. وهذا المعْنَى لا يُرِيْدُهُ الْمُرْتَضَى.

فالتَّرْكِيْبُ الإبْدَاعِىُّ – إِذَنْ – يَكْشِفُ عَنْ عَقِيْدَةٍ لَدَى الشِّيْعَةِ الإماميةِ، وَهِىَ أَنَّ أئمتَهُمْ يعلمونَ الْغَيْبَ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْ إمامِهم جعفرٍ الصادقِ، أَنَّهُ قالَ : " إِنَّ الإمامَ إِذا شاءَ أَنْ يعلمَ عَلِمَ "(2).

ويقولُ الْمُرْتَضَى من قصيدةٍ فِىْ رثاءِ الحسينِ (ﷺ) :(3)

---

1 – مصطفى عبد الشافي الشوري: شعر الرثاء في العصر الجاهلى، دراسة فنية – الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٩٥م – ص٩٧.

2 – الكافى فى الإمامة – مرجع سابق – ١/ ٢٥٨ .

3 – الديوان ٢/ ٩٥ (من السريع) .

مَتَى أَرَى حَقَّكُمْ عَائِدًا ... إِلَيْكُمْ فِي السِّرِّ والجَهْرِ
حتى متى أُلْوَى بِمَوْعُودِكُمْ ... أُمْطَلُ مِنْ عَامٍ إلى شَهْرِ
لولا هَنَاتٌ هُنَّ يَلْوِينَنِي ... لَبُحْتُ بِالمكتُومِ مِنْ سِرِّي[1]
ولم أَكُنْ أقنعُ فِي نَصْرِكُمْ ... بِنَظْمِ أَبْيَاتٍ مِنَ الشِّعْرِ

ويستهلُ المُرْتَضَى قصيدتَهُ بالبكاءِ عَلَى أطلالِ ديارِ آلِ البيتِ ثم ينتقلُ إلى نَدْبِ جَدِّهِ الحسينِ وَمَنْ قُتِلَ مَعَه فِي كَرْبَلاءَ، ذَاكِرًا أَنَّ الأمويينَ قَدْ اسْتَوْلَوْا عَلَى إِرْثِ العلويينَ فِي الخلافةِ غَصْبًا ولم يَحْفِلُوا بما جاءَ فِي القرآنِ، إذ يقولُ[2]

واطَّرَحُوا النَّهْجَ وَلَمْ يَحْفِلُوا ... بِمَا لَكُمْ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ
واسْتَلَبُوا إِرْثَكُمْ مِنْكُمُ ... مِنْ غَيْرِ حَقٍّ بِيَدِ القَسْرِ

ثم تأتى الأبياتُ السَّابِقَةُ، وفيها يَتَمَنَّى المُرْتَضَى – خِلالَ الاستفهامِ – أَنْ يَسْتَرِدَّ العلويونَ حَقَّهُم فِي الخلافةِ من العباسيينَ، ويستبطئُ عَوْدَةَ هذا الحَقِّ، ثُمَّ يخبرُ بأَنَّ هُنَاكَ هَنَاتًا هى التى تَمْنَعُهُ من البوحِ بهذا الحقِّ (السِّرِّ)، ولولاها لَمَا اكتفَى بمناصرةِ العلويينَ عَلَى بنى أُمَيَّةَ شِعْرًا.

وَلِذَا فَقَدْ اِنْحَرَفَ المُرْتَضَى فِي البيتِ الثالثِ من الأبياتِ السابقةِ، وَقَدَّمَ المبتدأَ " هُنَّ " عَلَى خَبَرِهِ الفِعْلِيِّ " يَلْوِينَنِي " فقالَ " لولا هَنَاتٌ هُنَّ يَلْوِينَنِي " ولم يقلْ " لولا هَنَاتٌ يَلْوِينَنِي "؛ ليؤكدَ أَنَّ خَوْفَه من العباسيينَ يَقِفُ – لا مَحَالَةَ – سَدًّا مَنِيعًا بينه وبينَ البوحِ بِسِرِّهِ هذا.

وَقَدْ صَوَّرَ المُرْتَضَى بَطْشَ الحكامِ العباسيينَ بأنها هَنَاتٌ – أَىْ أمورٌ بسيطةٌ – للاستخفافِ بهم، وبقوتِهم. ثم أَكَّدَ أَنَّ هذه الهناتَ هى التى تمنعُهُ من الإفصاحِ عَنْ حَقٍّ

---

1 – الهَنَاتُ : جَمْعُ (الهَنَة) وَهِىَ الشئُ الصغيرُ.
2 – الديوان : ٢/ ٩٣ .

العلويينَ فِي الخلافةِ، وَتَجْعَلُهُ سِرًّا لا يمكنُ الْبَوْحُ به ؛ ليشيرَ بذلكَ إلى تَفَرُّقِ الشِّيْعَةِ وَضَعْفِهِم، وَلِيُعْطِيَهُم – فِي الوقتِ نَفْسِهِ – الأَمَلَ فِي استردادِ هذا الحَقِّ إنْ هُم اتَّحَدُوا.

فَمُهِمَّةُ الشِّعْرِ – إِذَنْ – وَوَظِيْفَتُهُ عِنْدَ المرْتَضَى هي الدِّفَاعُ عَنْ آلِ الْبَيْتِ وَمُنَاصَرَتُهُم ؛أَيْ إِنَّ الشِّعْرَ يَرْتَبِطُ عِنْدَهُ "بِمَوْقِفٍ عَقَائِدِيٍّ هو الفكرُ الشِّيْعِيُّ المتَعَلِّقُ بالماضي الآمِلُ في المستقبلِ ؛ الماضي حَيْثُ الأوائلُ من الرُّوَادِ الَّذِيْنَ عَانُوا الكثيرَ مِنْ أجلِ حَقِّهِم السِّيَاسِيِّ وَلَمْ يَجْنُوا إلا القليلَ، والمستقبلِ باعتبارِهِ فُسْحَةَ الأملِ في تحقيقِ الحُلم والتَّخَلُّصِ من الماضي بمآسيهِ وتأسيسِ ماضٍ جديدٍ في ضَوْءِ حاضرٍ أَفْضَلَ "[1]

يقولُ الْمُرْتَضَى من قَصِيْدَةٍ يُعَزِّيْ فِيْهَا القَاضِي أَبَا الْقَاسِم عبدَالعزيزِ بنَ محمدٍ الْعَسْكَرِيَّ فِيْ وَلَدٍ لَهُ غَرِقَ :[2]

لا تَشُكَّنَّ بالَّذِيْ قَسَمَ الأَعْـ مَارَ فاللهُ قَسَّمَ الأَعْمَارَا

وَقَدْ وَرَدَ هذا البيتُ فِيْ سياقِ الشَّكِّ والإنكارِ. فالقاضي أبو القاسم حِيْنَ غَرِقَ ابنُهُ أنكَرَ المصيبةَ، وَلَمْ يَتَقَبَّلَهَا، فاحتاجَ الخبرُ إلى بيانِ أنَّها من عندِ اللهِ لا غيْرِهِ ؛ ليزولَ هذا الإنكارُ وذاكَ الشَّكُّ.

وَلِذَا فقد قَدَّمَ الْمُرْتَضَى المبتدأَ " الله " عَلَى خبرِهِ الفِعْلِيِّ، فَقَالَ : " اللهُ قَسَّمَ الأعمارَا " ولم يقلْ " قَسَّمَ اللهُ الأعمارَا " ليفيدَ اختصاصَ اللهِ (سبحانه وتعالى) بتقسيمِ الأعمارِ وَحْدَهُ، كَمَا أَنَّ هذا التقديمَ لا يَخْلُو من إفادَةِ التوكيدِ والتقريرِ، " لِأَنَّ الحقيقةَ هي أَنَّ الاختصاصَ مُتَضَمِّنٌ للتوكيدِ "[3] وهو – أيضًا – يُوْحِي بِتَعْظِيْمِهِ (سُبْحَانَهُ). وفِيْ هذا كُلِّهِ ما يدعو القاضي إِلَى التَّعَزِّي والصَّبْرِ عَلَى المِصِيبَةِ الَّتِي لَحِقَتْ بِهِ.

1- أحمد يوسف علي : مفهوم الشعر عند شعراء العباسيين – مرجع سابق – ص ٦٥ .

2- الديوان : ٢/ ٤٨ (من الخفيف).

3- محمد أبو موسى : خصائص التراكيب ، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني – مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الخامسة – ٢٠٠٠م – ص ٢٢٨ .

ب - تقديم المسند إليه، لفظ (مِثْلُ أو غَيْرُ) عَلَى خَبَرِهِ الْفِعْلِيِّ :

وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ السِّمَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ فِي عشرةِ مَوَاضِعَ.

يقول المُرْتَضَى [1]

صَبَرْتَ وَمِثْلُكَ لا يَجْزَعُ وَنَاءَ بِهَا صَدْرُكَ الأَوْسَعُ

هذا البيتُ مطلعُ قصيدةٍ يمدحُ فيها المُرْتَضَى أحدَ الهاشميينَ وَيُعَزِّيَهُ فِي فَقِيْدَةٍ لَهُ. فَسِيَاقُ القصيدةِ - إِذَنْ - سياقُ مدحٍ وذكرٍ لمناقبِ أَحَدِ آلِ البيتِ. " وَمَعَانِي المدِيْحِ تحتاجُ إِلَى تَقْرِيْرٍ وَتَقْوِيَةٍ لِتَأْنَس بِهَا النَّفْسُ، وَلِتَكُوْنَ فِي الصِّيَاغَةِ المطْبُوْعَةِ دَلِيْلَ صِدْقِ الشَّاعِرِ في إِحْسَاسِهِ " [2] ؛ وَلِذَا فَقَدْ قَدَّمَ المُرْتَضَى المسندَ إِلَيْهِ لفظَ " مثل " عَلَىَ خَبَرِهِ الْفِعْلِيِّ، فَقَالَ " وَمِثْلُكَ لاَ يَجْزَعُ " ؛ لإِفَادَةِ التَّوْكِيْدِ.

ويقولُ عَبْدُالقاهرِ الجُرْجَانِيُّ : " وَمِمَّا يُرى تقديمُ الاسمِ فيه كاللازمِ : " مِثْلُ " و " غَيْرُ "، فِي نَحْوِ قَوْلِهِ:

مِثْلُكَ يَثْنِي الحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غَرْبِهِ

وَقَوْلِ النَّاسِ : " مِثْلُكَ رَعَىَ الحَقَّ والحُرْمَةَ "، . . . وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا لا يُقْصَدُ فيه بـ "مثل" إلى إنسانٍ سوى الذي أُضِيْفَ إِلَيْهِ، ولكنهم يَعْنُوْنَ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ مِثْلَهُ فِي الحَالِ والصِّفَةِ، كَانَ مِنْ مُقْتَضَى القياسِ وَمُوْجَبِ العُرْفِ والْعَادَةِ أَنْ يَفْعَلَ مَا ذَكَرَ أَوْ أَنْ لا يَفْعَلَ " [3]

فَالشَّاعِرُ - إِذَنْ - قَدْ اسْتَعْمَلَ كَلِمَةَ " مِثْل " كِنَايَةً عَنْ الشَّخْصِ الهَاشِمِيِّ الَّذِيْ يُخَاطِبُهُ، وَلَمْ يَقْصِدْ أَبَدًا أَنْ يُعَرِّض بِشَخْصٍ أخرَ عَلَى صِفَتِهِ فِي الصَّبْرِ والثَّبَاتِ فَقَوْلُهُ : " مِثْلُكَ لاَ يَجْزَعُ" مَعْنَاهُ " أَنْتَ لاَ تَجْزَعُ "، لأَنَّ لفظَ " مثل " مُرَادٌ بِهِ الضميرُ الَّذِيْ

1- الديوان : ٢/ ١٩٣ (من المتقارب).

2- خصائص التراكيب : مرجع سابق - ص ٢٢٢ .

3- عبدالقاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز - مرجع سابق - ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

أُضِيفَ إِلَيْهِ.

فَالْمُرْتَضَى يخاطبُ ذَلِكَ الهَاشِمِيَّ، ويقولُ لَهُ : لَقَدْ صَبَرْتَ أَنْتَ عَلَىٰ مصيبتِكَ، وَلاَ محَالَةَ أَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ، وَمَنْ كَانَ يُمَاثِلُكَ فِيْ صِفَاتِكَ كَانَ هَذَا شَأْنَهُ. وَقَدْ اسْتَطَاعَ قَلْبُكَ أَنْ يَنْهَضَ بِهَذِهِ المصِيْبَةِ.

وفِيْ قصيدةٍ يهنئُ فيها القائمَ بنَ القادرِ بالخلافةِ يقولُ المُرْتَضَى[1]

وَغَيْرُكَ ينـدمُ فِيْ فَائِتٍ وَلَيْسَ لَـهُ غَيْرُ عَضِّ البَنَانِ

والمُرْتَضَى لَمْ يُرِدْ فِيْ هذا البيتِ أَنْ يُعَرِّضَ بِشَخْصٍ آخَرَ غيرِ الخليفةِ القائمِ بنِ القادرِ، لِيَصِفَهُ بالنَّدَمِ عَلَى ما فَاتَه، وإنما أَرَادَ أَنْ يَنْفِيَ عَنِ القائمِ عينِهِ صفةَ النَّدَمِ عَلَى ما فَاتَه، فَكَنَّى عنه بكلمةِ "غَيْرُكَ"، فقالَ : "وَغَيْرُكَ يَنْدَمُ فِيْ فَائِتٍ" وهو يقصدُ أَنْ يقولَ : "وَأَنْتَ – أَيُّها الخليفةُ – لا تندمُ فِيْ فائتٍ" وَقَدْ وَرَدَ البيتُ فِيْ سِيَاقِ التَّهْنِئَةِ والمديحِ، ولذا فَقَدْ قَدَّمَ المُرْتَضَى المبتدأَ عَلَى خَبَرِهِ الْفِعْلِيِّ، فقالَ : "وَغَيْرُكَ يندمُ"؛ ليقوىَ المعنى ويؤكِّدَهُ، وكأنهُ بهذا التقديمِ يقولُ : أَنتَ – أيها الخليفةُ القائمُ – لا تندمُ – لا محالةَ – عَلَى ما فَاتَكَ، حيثُ لا ينفعُ النَّدَمُ.

جـ – تقديم المسند إليه المنْفِي عَلَى خَبَرِهِ الْفِعْلِي :

وَقَدْ وردتْ هذه السِّمَةُ التَّرْكِيْبِيَّةُ فِيْ سَبْعَةِ مواضعَ. ومنها قولُهُ فِيْ قصيدةٍ يهنئُ فيها جلالَ الدولةِ بعيدِ الفطر :[2]

يُعَنِّفُنِـي قَوْمِي بِـأَنِّي أُطِيْعُكُمْ وَلَمْ يُرْضِكُمْ إلا الـذِي هُوَ أَطْوَعُ
ولم يَلْحُنِي فِيْ نُصْحِكُمْ غَيْرُ كَاشِحٍ وإلاَّ امرؤٌ فِيْ الغِشِّ بالغيبِ مُوْلَعُ
ولـو أَنْصَفُوا لَمْ يَعْذِلُونِيَ فِيْ هَوَى لقلبِـيَ لا يُلْوَىْ وَلاَ هُوَ يَنْزَعُ

والناظرُ فِي الأبياتِ السابقةِ يجدُ أَنَّ سياقَها سياقُ تحقيرٍ، فالمُرْتَضَى يخاطبُ فيها

1- الديوان : ٣/ ٣٣٩ (من المتقارب).

2- الديوان : ٢/ ١٨٩ (من الطويل).

الملكِ وَيَتَمَرَّدَ ؛ ومن ثَمَّ فَقَدْ نَكَّرَ المسندَ إليه " قوم " للتقليلِ مِنْ شَأْنِهِم. ثُمَّ هُوَ يخبرُ بِأَنَّ أولئكَ العاذلِينَ اللائمينَ عَلَى حُبِّ الملكِ وطاعتِهِ مَا هُم إِلاَّ قومٌ حاقدُوْنَ يضمرونَ العداوةَ له - أي لِلملِكِ-، وَأَنَّهُم قد أخطؤوا حين لاَمُوْهُ عَلَى حُبِّه لجلالِ الدَّوْلَةِ ؛ لأنَّ حُبَّ الملكِ ثابتٌ فِيْ قَلْبِهِ لاَيَزوْلُ، وَمَاْ عَدَاهُ زَائِلٌ.

وَلِذَا فقد اِنْحَرَفَ المُرْتَضَى فِي البيتِ الثالثِ فِي الأبياتِ السابقةِ وَقَدَّمَ المسندَ إِلَيْه المنفِيَّ، فقال: " وَلاَ هُوَ يَنْزَعُ" ؛ لينفِيَ عَنْ قَلْبِهِ الْكَفَّ والانتهاءَ عَنْ حُبِّ جلالِ الدولةِ، ويثبتَ لَهُ الْكَفَّ عَنْ حُبِّ أَيِّ شيءٍ آخَرَ.

د - تقديم المستند إليه لفظ " ما كل" عَلَى خَبَرِهِ الْفِعْلِي :

وَقَدْ وردتْ هذه السِّمَةُ التَّرْكيبيةُ فِيْ أربعةِ مواضعَ من شعرِ المُرْتَضَى.

وَمِنْ هذه المواضعِ قَوْلُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ كَتَبَهَا إلى الوزيرِ أبي سعدِ بنِ عبدِالرحيم يعتذرُ فيها عَنْ عَدَمِ زِيَارَتِهِ لَهُ علي الرَّغْمِ مِنْ قُرْبِ الدِّيَارِ :[1]

وَلَوْلا هَنَاةٌ كُنْتُ أَقْرَبَ مَنْزِلًا   وَمَا كُلُّ سِرٍّ فِيْ جَوَانِحنَا نُبْدِي.

والمُرْتَضَى فِيْ هذا البيتِ يخاطبُ الوزيرَ أبا سَعْدٍ ذاكرًا السببَ فِيْ عدمِ زيارتِهِ (المُرْتَضَى) له، مُخْبِرًا بأنَّ هناكَ هَنَاتًا هى التى تمنعُهُ من الزِّيارةِ.

ويبدو لى أَنَّ هذه الهناتَ هى –كما ذكرتُ قَبْلُ –بطشُ الحكامِ العباسيينَ، وأَنَّ هذا السِّرَّ الذى لا يستطيعُ المُرْتَضَى أَنْ يُفْصِحَ عَنْهُ هُوَ أَحَقِّيَّةُ الْعَلَوِيِّيْنَ بالخلافةِ مِنْ غَيْرِهِم.

وَقَدْ اِنْحَرَفَ المُرْتَضَى عَنْ النِّظامِ النَّحْوِيِّ، وقَدَّمَ المبتدأَ / لفظَ العمومِ المنفيِّ " ما كُلّ " ؛ ليؤكدَ أَنَّ هذا السِّرَّ لا يمكنُ البوحُ بِهِ، وأَنَّ هناكَ من الأسرارِ ما يمكنُ إِفْشَاؤُها وعدمُ سَتْرِهَا.

---

1 - الديوان ١/ ٢٧٧ (من الطويل)

٢ - تقديم المسند :

تَمْهِيْدٌ :

و" المسندُ يُرَادُ بِهِ فِى النَّحْوِ خبرُ المبتدإ فِىْ الجملةِ الاسميةِ والفعلُ فِى الجملةِ الفعليةِ "[1] والفعلُ مقدَّمٌ وجوبًا عَلَى فاعلِهِ أَمَّا الخبرُ فيجوزُ تقديمُهُ فِىْ مواضعَ بعينِها عَلَى مبتدئِهِ عَلَىْ أَنَّ الأصلَ تأخيرُهُ.

وَإِذَنْ، فسوفَ أستبعدُ تقديمَ الفعلِ فِى الجملةِ الفعليةِ لأَنَّ تقديمَهُ واجبٌ، وتقديمَ شبهِ الجملةِ المتَعَلِّقَةَ بالخبرِ المحذوفِ فِى الجملةِ الاسميةِ لأنها رُصِدَتْ وَدُرِسَتْ فِىْ مبحثِ تقديمِ شبهِ الجملةِ. وستقتصرُ الدراسةُ عَلَى تقديمِ الخبرِ المفردِ عَلَى المبتدإِ المعرفةِ أو ما هو فِىْ حكمِ المعرفةِ.

تقديمُ الخبرِ وما أَصْلُهُ الخبرُ عَلَى المبتدإِ فِىْ شِعْرِ المُرْتَضَى

وَقَدْ وَرَدَ تقديمُ الخبرِ وما أصلُهُ الخبرُ عَلَى المبتدإِ فِىْ شِعْرِ المُرْتَضَى سَبْعًا وسبعينَ (٧٧) مَرَّةً، توزَّعَ عَلَى نَوْعِيْنِ :

أ - تقديمُ الخبرِ عَلَى المبتدإِ.

ب - تقديمُ خبرِ الناسخِ عَلَى اسْمِهِ.

١ - تقديم الخبر عَلَى المبتدإ :

قُدِّمَ الخبرُ عَلَى المبتدإِ اثنينِ وأربعينَ مَرَّةً.

ومِنْ هذا التقديمِ قولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فِىْ يوم الْغَدِيْرِ[2]

وَنَحْنُ الرُّؤُوْسُ والشَّوَىْ أَنْتُمُ لَنَا ... وَمِنْ دُوْنِنَا أَتْبَاعُنَا والأَصَاحِبُ

وَقَدْ وَرَدَ هذا البيتُ فِىْ سياقِ حديثِ المُرْتَضَى عَمَّا نزل بَآلِ البيتِ من بعدِ يوم الطَّفِّ من تشريدٍ. . . فقد كانوا قبلَ هذا اليومِ مُتَّحِدِيْنَ مُجْتَمِعِيْنَ ثُمَّ صَارُوا - بَعْدَهُ - مُتَمَزِّقِيْنَ مُتَفَرِّقِيْنَ. وهو فِىْ البيتِ السابقِ يتوجَّهُ بخطابِهِ الشعريِّ إلى بنى أُمَيَّةَ

---

1 - معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية - مرجع سابق - ص ١٤٢

2 - الديوان ١ / ٣٦ (من الطويل) .

مُقَارِنًا بَيْنَهُم وَبَيْنَ آلِ البيتِ، مُصَوِّرًا أَنَّ آلَ البيتِ هم رَأْسُ كُلِّ شيءٍ، وَأَنَّ أعداءَهُمْ من بنى أمية هُمُ الأطرافُ.

وَقَدْ قَدَّمَ المُرْتَضَى فِي هذا السياقِ الخبرَ "الشَّوَى" عَلَى المبتدإِ " أنتم "، فقالَ : "والشَّوَى أَنْتُمُ " ؛ وذلكَ للتعجيلِ بتحقيرِ الأُمَوِيِّينَ.

٢ - تقديم خبر الناسخ عَلَى اسمه :

وَقَدْ قُدِّمَ خبرُ الناسخِ عَلَى اسمِهِ خَمْسًا وَثَلاثِيْنَ مَرَّةً.

ومن هذا التقديمِ قولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ يُعَزِّى فيها القاضى أبا القاسمِ عبدَالعزيزِ ابنَ محمدٍ العَسْكَرِيَّ فِي وَلَدٍ له غَرِقَ :[1]

لَيْسَ عارًا هذا المصابُ وكانَ الضْـ ـضَعْفُ عَنْهُ بَيْنَ الأجالدِ عارًا

وَقَدْ وَرَدَ هذا البيتُ فِي سياقِ حديثِ المُرْتَضَى عَنْ أَنَّ الموتَ لا يُبْقِى عَلَى أحدٍ سَيِّدٍ وَمَسُوْدٍ. فَهُوَ مِنْ سُنَنِ الحياةِ. وما المرءُ إلا طائرٌ سَكَنَ العُشَّ قليلًا ثُمَّ طارَ ؛ فليسَ عيبًا أَوْ عارًا - إِذَنْ - أَنْ نُصابَ بوفاةِ أَحَدِ أَوْلادِنا، وإنما العيبُ والعارُ ألاَّ نَصْبِرَ عَلَى مصيبتِنَا وَنَحْنُ مِنْ أُولِي الصَّبْرِ، وَلِذَا، فقدْ اِنْحَرَفَ المُرْتَضَى عَنْ النِّظَامِ النَّحْوِيِّ، وَقَدَّمَ خبرَ ليسَ وهو " عَارًا " عَلَى اسْمِهَا (وهو اسمُ الإشارةِ "هذا") لإظهارِ أَلَمِهِ النَّفْسِيِّ وَضِيْقِهِ الشَّدِيْدِ مِنْ المعَزَّي لِقِلَّةِ صَبْرِهِ عَلَي مصيبَتِهِ علي الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هذا لَيْسَ من شِيْمَتِهِ.

ثالثًا: تقديم الفضلات والمكملات :

وَقَدْ تَقَدَّمَتْ الفضلاتُ عَلَى أركانِ الجملةِ الأساسيةِ أو تقَدَّمَ بعضُهَا عَلَى بعضٍ فِي شعرِ المُرْتَضَى خَمْسًا وتسعين ومائتى (٢٩٥) مَرَّةٍ.

عَلَى أَنَّ ثمة أنواعًا من الفضلاتِ لم يَرِدْ تقديمُها فِي شعرِ المُرْتَضَى إلا نادرًا، مثلُ : تقديم المفعول به عَلَى الفعل، وعَلَى المفعول المطلق، وتقديم المفعول المطلق عَلَى الفاعل،

---

١ - الديوان : ٢/ ٤٨ (من الخفيف).

وتقديم المفعول لأجله عَلَى الفعل، ولذا لَمْ أَقُمْ بإحصائِها ودراستِها فيما أنا بصددِهِ.

وها هى ذى الأنواعُ المتكَرِّرَةُ فِىْ تقـديمِ الفـضلاتِ عنـد المُرْتَـضَى مرتبـةً تَرْتِيبًا تَنَازُلِيًّا حَسَبَ نِسَبِ وُرُودِهَا فِىْ شِعْرِهِ.

١ - تقديم المفعول به الظاهر عَلَى الفاعل :

والأصلُ فِى الفاعلِ أن يتقَدَّمَ عَلَى المفعولِ به ؛ لأنه عُمْدَةٌ يُفْتَقَرُ إليه فِى الكلامِ، والمفعولَ فَضْلَةٌ يُسْتَغْنَى عَنْه فِيه، والْعُمْدَةُ أَحَقُّ بالتقديمِ ؛ ولأنه كالجزءِ من الفعلِ فينبغى ألا يُفْصَلَ بينهما بشيءٍ [1] هَـذَا، وَقَـدِ انْحَرَفَ المُرْتَـضَى عَنْ هـذا الأصلِ المُفْتَرَضِ، وقَدَّمَ المفعولَ به الظاهرَ عَلَى الفاعـلِ فِىْ سبعةٍ وأربعينَ ومـائتى (٢٤٧) موضعٍ لأسرارٍ دَلاليةٍ.

يقولُ المُرْتَضَى فِىْ مطلعِ قصيدةٍ في رثاءِ أحدِ الْعَلَوِيِّيْنَ : [2]

صَــبْرًا، ففِـىْ الــصَّبْرِ الجميـــ ــــلِ يَهُـونُ فينـا مـا يهـونُ
لا تَجْـــزَعَنَّ لكائــــنٍ ماضٍ وَخُــذْ مَــا لاَ يَكُـوْنُ
وَدَعِ الحنيـــنَ فإنَّـــهُ مَــا رَدَّ مُفْتَقَــدًا حَنِيـنُ

والمُرْتَضَى فِىْ هذه الأبياتِ يُعَزِّى صاحبَهُ، ويدعوُهُ إلى الصَّبْرِ والتَّجلدِ، مبينًا له أَنَّ الحنينَ للفقيدِ لا يُرْجِعُهُ، ولذا فقد قَدَّمَ المفعولَ به "مُفْتَقَدًا" عَلَى الفاعلِ "حنين" فِى البيتِ الثالثِ، فقالَ : "مَا رَدَّ مُفْتَقَدًا حنينُ" ليفيدَ أَنَّ ذلكَ الفقيدَ لَنْ يعودَ عَنْ طريـقِ الحنينِ أو عَنْ طريقِ غَيْرِهِ مِمَّا يُسَاعِدُ المصَابَ عَلَى أَنْ يصبرَ عَلَى مصيبتِهِ ؛ لأنـه لا جَدْوَى من البكاءِ.

ومنه - أيضًا - قولُ المُرْتَضَى: [3]

1- ينظر : سعد الدين التفتازانى : المطول -مطبعة : أحمد كامل- ١٣٣٠هـ -ص ٢٠١ .

2- الديوان / ٢٩٢ (من مجزوء الكامل).

3- الديوان : ٣/ ٣٦٥ (من الطويل).

وَزَارَتْ وِسَـادِيْ فِيْ الظَّـلامِ خَرِيْـدَةٌ   أراهـا الْكَـرَى عَيْنِـي ولَـسْتُ أَرَاهَـا

وَقَدْ وَرَدَ هذا البيتُ فِيْ سياقِ حديثِ الْمُرْتَضَى عَنْ طيفٍ زَارَهُ ؛ ولذا فقد اِنْحَرَفَ الْمُرْتَضَى عَنِ النِّظَامِ النَّحْوِيِّ، وقَدَّمَ المفعولَ به الظاهرَ " وِسَادِي " عَلَى الفاعل " خَرِيْدَةٌ "، فقالَ : " وزارتْ وسادِي فِي الظلامِ خريدةٌ " ؛ لِيُنَبِّهَ عَلَى أَنَّ الزيارةَ كانت حُلمًا وَأَنَّ المرأةَ لَيْسَتْ امرأةً حقيقيةً، ولتأكيدِ هذا المعنى أتى بِشِبْهِ الجملةِ " فِي الظلامِ " مُقَدَّمَةً هي الأخرى عَلَى الفاعلِ.

٢- تقديم الحال عَلَى صَاحِبِهَا :

والأصلُ فِي الحالِ أَنْ يُذْكَرَ عُقَيْبَ ذِيْ الحالِ[1] ولكنَّ الْمُرْتَضَى اِنْحَرَفَ عَنْ هذا الأصلِ الْمُفْتَرَضِ وقَدَّمَ الحالَ عَلَى صاحبِها فِيْ سِتَّةٍ وَعِشْرِيْنَ مَوْضِعًا.

يقولُ الْمُرْتَضَى من قصيدةٍ يُعَزِّي فيها عميدَ الرُّؤَسَاءِ أَبَا طالبٍ بنَ أيوبَ فِيْ وَلَدٍ سَقَطَ عليه السَّقْفُ فماتَ، وَسَلِمَ أخوتُه :[2]

ونجـا سَـالِمًا مـن الهَـوْلِ مـن دَا   وَى نَجَـاءً مِنْـهُ الفُـؤَادَ الوَجِيْعَـا

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ فِيْ سياقِ حديثِ الْمُرْتَضَى إلى ابنِ أيوبَ حَاثًا له عَلَى الصَّبْرِ، مُذَكِّرًا إيَّاه بأنَّ اللهَ - وإنْ أخذَ أحدَ بَنِيْهِ - فقد تَرَكَ له البَاقِيْنَ جميعَهُمْ مِمَّنْ يُحِبُّ وَيَهْوَى، وَتَرَكَهُ هو أيضًا فَعَلَيْهِ - إِذَنْ - أَنْ يتركَ الحزنَ إلى السرورِ، ولا يذرفَ الدَّمْعَ عَلَى مَنْ مَضَى.

وَلِذَا، فقد اِنْحَرَفَ الْمُرْتَضَى عَنْ النِّظامِ النَّحْوِيِّ، وقَدَّمَ الحالَ " سالمًا " عَلَى صاحبِها "مَنْ دَاوَى الفؤادَ الوَجِيْعَا" للتعجيلِ بالمسرَّةِ، حيثُ عَجَّلَ الشاعرُ ذِكْرَ ما يفرحُ وَيَسُرُّ، وهو قولهُ : "سالمًا" ؛ لِيَحُثَّهُ عَلَى الصَّبْرِ والتَّخَلِّي عَمَّا هُوَ فِيْهِ مِنْ حُزْنٍ.

1- ينظر المطول - مرجع سابق - ص ٢٠٢.

2- الديوان ٢/ ٢٠٧ (من الخفيف).

وَمِنْ تقديمِ الحالِ عَلَى صاحِبِها، قَوْلُهُ : [1]

وَكَمْ لَيَالٍ مَضَتْ لِيْ فِيْ خُنَاصِرَةٍ   ينامُ فيها قريرًا مَنْ يُؤَرِّقُني

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ السابقُ فِيْ سياقِ المقدمةِ الغزليةِ لقصيدةٍ فِيْ مديحِ جلالِ الدَّوْلةِ والمُرْتَضَى يُصَوِّرُ فِيْ هذه المقدمةِ الغزليةِ عِشْقًا سَكَنَ قَلْبَهُ فَأَشْقَاهُ. فَهُوَ قَدْ أَحَبَّ ظالمًا لا ينصفُ، وَقَاسِيًا لاَ يَرْحَمُ، إِنَّهُ يَعِدُ وَمَا الوفاءُ مِنْ طَبْعِهِ، وَيُسِيءُ إِلَىْ مَنْ مُلِّكَ أَمْرَهُ.

وَلِذَا، فَقَدْ اِنْحَرَفَ المُرْتَضَى عَنِ النِّظَامِ النَّحْوِيِّ، وقَدَّمَ الحالَ "قريرًا" عَلَى صاحِبِها " من يُؤَرِّقُنِيْ " فقالَ " ينامُ فيها قريرًا مَنْ يُؤَرِّقُنِيْ" ؛ ليناسبَ سياقَ الأبياتِ التى وَرَدَ فيها، وَلِيُنَبِّهَ عَلَى أَنَّ محبوبَهُ / الخلافةَ تنامُ قريرةَ العينِ خَالِيةَ البالِ. فالشاعرُ مَهْمُوْم – أَبَدًا – بِخَلٍّ بَاتَ يَشْغَلُهُ.

٣- تقديم النَّعْتِ الجُمْلَةِ عَلَى النَّعْتِ المفردِ:

ويقتضى النِّظَامُ النَّحْوِيُّ فِي النَّعْتِ أَنْ يكونَ مُفْرَدًا لا جملةً كخبرِ المبتدإ، ويجوزُ أَنْ يأتِيَ جملةً وإذا نُعِتَ بمفردٍ وجملةٍ فالأولى أَنْ يَتَقَدَّمَ المفردُ ؛ لأنه يُوَافِقُ القَاعدةَ المِعْيَارِيَّةَ، وَلكنَّ المبدعَ قد ينحرفُ عَنْ هذه القاعدةِ، ويُقَدِّمُ النعتَ الجملةَ عَلَى النعتِ المفردِ لهدفٍ دَلاَلِيٍّ.

وَقَدْ وَرَدَ تقديمُ النَّعْتِ الجُمْلَةِ عَلَى النَّعْتِ المفردِ فِيْ شعرِ المُرْتَضَى فِي اثنينِ وعشرينَ (٢٢) موضعًا.

ومن هذا التقديمِ قولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فِيْ رثاءِ جَدِّهِ الحسينِ: [2]

قَدْ قُلْتُ للقومِ حُطُّوا من عمائِمِهِمْ   تَحَقُّقًا بِمُصَابِ السَّادَةِ الصِّيْدِ

نُوْحُوْا عَلَيْه ؛ فهذا يومُ مَصْرَعِهِ   وَعَدِّدُوا إِنَّهَا أيامُ تَعْدِيْدِ

1- الديوان ٣/ ٣٣٤ (من البسيط) .

2- الديوان ١/ ٢٩٣ (من البسيط) .

فَـلِىْ دُمُــوْعٌ تبــارى الْقَطْــرَ وَاكِفَــةٌ   جَـادَتْ وَإِنْ لَمْ أَقُـلْ : يـا أدمعِـى جُـوْدِى

والأبياتُ تفيضُ أسىً ولوعةً لمقتلِ الحسينِ فِيْ كَـرْبَلاءَ. فالمُرْتَـضَى فِى الأبيـاتِ- يخاطبُ قَوْمَهُ حاثًّا لَهُمْ عَلَى البكاءِ عَلَى فقدِ الحسينِ، طالبًا منهم أن يُعَـدِّدُوا مناقبَـهُ فِىْ هذا اليومِ.

وَقَدْ اِنْحَرَفَ المُرْتَضَى فِى البيتِ الثالثِ من الأبياتِ السابقِة عَن النِّظَامِ النَّحـوِىِّ، وقَدَّمَ النَّعْتَ الجُمْلَةَ " تُبَارِى الْقَطْرَ " عَلَى النَّعْتِ المفردِ "واكفـةٌ" فقـالَ : " فَـلِىْ دُمُـوْعٌ تُبَارِى القطرَ واكفةٌ" ؛ ليشيرَ إلى كثرةِ دموعِهِ، وكأنه أرادَ أَنْ يقـولَ لقومِـهِ : إنْ كنـتُ أدْعُوْكُمْ إلى بكاءِ الحسينِ، فأنا قُدْوَتُكُمْ فِىْ ذَلِكَ، وَدُمُوْعِى تنافسُ المطرَ كَثْـرَةً، وهـى تسيلُ وتجودُ بها عندها من غيرِ أَنْ يطلبَ إليها ذلكَ ؛ وذلكَ لِيَحُثَّ قَوْمَهُ عَـلَى بكـاءِ الحسينِ وليناسبَ التركيبُ سياقَ المعنى فِىْ النَّصِّ الشِّعْرِىِّ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ من قصيدةٍ فِى الغزلِ : (1)

أُحِــبُّكُمُ، وَبَيْــتِ اللهِ، حَتَّــى   يُقَـالَ : بِـهِ - وَمَـا صَـدَقُوا - جنـونُ
وَكَــمْ أَنْكَــرْتُ حُبَّكُــمُ فَنَـادَى   بِــهِ دَمْــعٌ يبــوحُ بِــهِ هَتُــونُ

المُرْتَضَى فى البيتينِ يصورُ مبلغَ عِشْقِهِ لإمرأةٍ / خلافةٍ فَارَقَتْهُ. وَهُوَ فـيهما يَتَوَجَّـهُ بخطابِهِ الشِّعْرِىِّ إلى محبوبتِهِ / الخلافةِ مُقْسِمًا لها بالكعبةِ أَنَّـهُ يُحِبُّهَـا حُبًّـا لَـيْسَ مِثْلَـهُ حُبٌّ. فَهُوَ حُبٌّ مَلَكَ عَلَيْهِ قَلْبَهُ وَعَقْلَهُ حتى يقالَ : إِنَّ الجنونَ قَدْ مَسَّهُ، ومخبرًا إياهـا أنه كثيرًا ما أخفِىْ حُبَّهُ وَقَدْ فَضَحَهُ دَمْعُهُ.

فسياقُ البيتِ الثانى - إِذَنْ - هو سياقُ الحديثِ عَنْ إنكارِهِ الحُبَّ، وإخفائِهِ لَـهُ ؛ وَلِذَا فَقَدْ اِنْحَرَفَ المُرْتَضَى عَنْ النِّظَامِ النَّحْوِىِّ، وَقَدَّمَ النعتَ الجملةَ " يبوحُ بِـهِ " عَـلَىْ النعتِ المفردِ "هَتُونُ" ؛ لأَنَّ وَصْفَ الدَّمْعِ فِىْ هذا السياقِ بِأَنَّهُ هو الذى فَـضَحَ حُـبَّ

1- الديوان ٣/ ٢٩٦ (من الوافر) .

الشاعرِ للمرأةِ أَوْلَىْ مِنْ وَصْفِهِ بأَنَّـهُ دمعٌ غزيـرٌ. فالـشاعرُ قَـدَّمَ فِيْ التركيـبِ وَأَخَّـرَ ليناسبَ التركيبُ سياقَ المعنى، وكأنَّ الـشاعرَ أَرَادَ بهـذا التَّقْـدِيْمِ أَنْ يُـبَرِّرَ لمحبوبتِـهِ الخلافةِ أَنَّهُ لا ذنبَ لَهُ فِيْ إفشاءِ حُبِّهِ وإنما اللَّوْمُ عَلَى دَمْعِهِ.

الفَصْلُ الثَّانِي

الإنشاءُ الطلبيُّ

تمهيد :

لَقَدْ قَسَّمَ الْبَلاغِيُّوْنَ الْكَلامَ إِلَى قِسْمَيْنِ : خَبَرٍ وَإِنْشَاءٍ. وَالْخَبَرُ – عِنْدَهُمْ – هُوَ الْكَلامُ الَّذِيْ يَكُوْنُ لَهُ مَضْمُوْنٌ يُمْكِنُ أَنْ يَتَحَقَّقَ فِي الْوَاقِعِ أَوْ لا يَتَحَقَّقَ، فَإِنْ تَحَقَّقَ هَذَا الْمَضْمُوْنُ وَاقِعًا كَانَ الْكَلامُ صِدْقًا وَإِنْ لَمْ يَتَحَقَّقْ كَانَ الْكَلامُ كَذِبًا، فَعِنْدَمَا نَقُوْلُ: "كَتَبَ التِّلْمِيْذُ الدَّرْسَ" تَكُوْنُ الْجُمْلَةُ قَدْ تَضَمَّنَتْ حُكْمًا – هُوَ الْكِتَابَةُ – مَنْسُوْبًا إِلَى التِّلْمِيْذِ. . وَهَذَا الْحُكْمُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُوْنَ صَادِقًا إِذَا صَدَّقَهُ الْوَاقِعُ أَوْ يَكُوْنَ كَاذِبًا إِذَا كَذَّبَهُ الْوَاقِعُ.

أَمَّا الإِنْشَاءُ فَلَيْسَ لَهُ مَضْمُوْنٌ يُمْكِنُ الْحُكْمُ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِنَا لِلتِّلْمِيْذِ : "اكْتُبِ الدَّرْسَ"، فَإِنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ لا تَتَضَمَّنُ شَيْئًا يُمْكِنُ الْحُكْمُ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا هِيَ مُجَرَّدُ إِنْشَاءِ كَلامٍ أَيْ إِنَّ الإِنْشَاءَ هُوَ الْكَلامُ الَّذِيْ لا يُمْكِنُ الْحُكْمُ عَلَيْهِ بِالصِّدْقِ أَوِ الْكَذِبِ.

وَيَنْقَسِمُ الإِنْشَاءُ إِلَى قِسْمَيْنِ : إِنْشَاءٍ طَلَبِيٍّ وَإِنْشَاءٍ غَيْرِ طَلَبِيٍّ، وَالإِنْشَاءُ الطَّلَبِيُّ هُوَ مَا **"يَسْتَدْعِيْ مَطْلُوْبًا غَيْرَ حَاصِلٍ وَقْتَ الطَّلَبِ"**[1] وَلَهُ خَمْسُ صُوَرٍ هِيَ : التَّمَنِّيْ، وَالأَمْرُ، وَالنَّهْيُ، وَالاسْتِفْهَامُ، وَالنِّدَاءُ.[2]

أَمَّا الإِنْشَاءُ غَيْرُ الطَّلَبِيِّ فَهُوَ مَا لا يَسْتَدْعِيْ مَطْلُوْبًا فِي الأَصْلِ، وَيَشْمَلُ الْقَسَمَ بِأَدَوَاتِهِ وَالتَّعَجُّبَ وَأَفْعَالَ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ وَالتَّرَجِّيْ وَصِيَغَ الْعُقُوْدِ.

---

1 -الخطيب القزويني : الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ،المسمي بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح –شرح وتعليق الشيخ : عبد المتعال الصعيدي- مكتبة الآداب –القاهرة – الطبعة الأولى – ٢٠٠٠م- جـ٢- صـ٢٤.

2 - ينظر : السكاكي:مفتاح العلوم–دار الكتب العلمية – بيروت –(د.ت) – ص٤٢.

هَذَا، وَقَدْ اهْتَمَّ الْبَلاغِيُّوْنَ بِدِرَاسَةِ الإِنْشَاءِ الطَّلَبِيِّ وَأَهْمَلُوْا دِرَاسَةَ الإِنْشَاءِ غَيْرِ الطَّلَبِيِّ ؛ وَذَلِكَ لأَنَّ أَسَالِيْبَ الإِنْشَاءِ الطَّلَبِيِّ قَدْ تَرِدُ فِي الْكَلامِ مُفَرَّغَةً مِنْ مَعَانِيْهَا الْحَقِيْقِيَّةِ وَمَمْلُوْءَةً بِمَعَانٍ وَدَلالاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ يَقْتَضِيْهَا السِّيَاقُ[1]. أَمَّا أَسَالِيْبُ الإِنْشَاءِ غَيْرِ الطَّلَبِيِّ فَقَدْ أَهْمَلُوْهَا لِسَبَبَيْنِ هُمَا[2]:

١ - أَنَّ أَكْثَرَ هَذِهِ الأَسَالِيْبِ أَخْبَارٌ نُقِلَتْ إِلَى مَعْنَى الإِنْشَاءِ.

٢ - أَنَّهَا لا تُسْتَعْمَلُ إِلا فِي مَعَانِيْهَا الْحَقِيْقِيَّةِ الَّتِي وُضِعَتْ لَهَا، فَالْقَسَمُ هُوَ الْقَسَمُ، وَالتَّعَجُّبُ كَذَلِكَ وَالْمَدْحُ وَالذَّمُّ وَبَقِيَّةُ الْبَابِ.

وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ الإِنْشَاءَ غَيْرَ الطَّلَبِيِّ لَوْنٌ يَبْعُدُ عَنِ اهْتِمَامِ الْبَاحِثِ فِي عِلم الأُسْلُوْبِ، أَمَّا الإِنْشَاءُ الطَّلَبِيُّ فَهُوَ دَاخِلٌ فِيْهِ

الإِنْشَاءُ الطَّلَبِيُّ فِي شِعْرِ الْمُرْتَضَى :

وَقَدْ جَاءَتْ الأَسَالِيْبُ الإِنْشَائِيَّةُ فِي شِعْرِ الْمُرْتَضَى فِي مائَتَيْنِ وَأَلْفَيْ (٢٢٠٠) مَوْضِعٍ، وكانَ الاستفهامُ أكثرَها ظهورًا يليه الأمرُ فالنداءُ فالنهيُّ ثم التمني.

وَسَأَتَنَاوَلُ فِيما يَلِي من صَفَحَاتٍ هذه الأساليبَ ملقيًا الضَّوْءَ عليها، وعارضًا صورةً لطبيعةِ مجيئِها في الديوانِ مُدَعَّمَةً بالإحصاءاتِ، وموضحًا بالتفصيلِ أَوْجُهَ التَّوْظِيفِ الدَّلاَلِيِّ لها.

وهذا – أولًا – جدولٌ يبينَ نَوْعَ الأُسْلُوبِ، وعددَ ورودِهِ في الديوانِ.

1- ينظر : المطول – مرجع سابق – ص ٢٢٤.

2- ينظر : محمد أبو موسى : دلالات التراكيب ، دراسة بلاغية – مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٩٨٧م- ص ١٩٢ ، وعبد القادر حسين : فن البلاغة – مطبعة الأمانة – القاهرة – ١٩٧٧م – ص ١١٦.

م	نوع الأسلوب	العدد
١	الاستفهام	٨٦٩
٢	الأمر	٦١٠
٣	النداء	٤٠٤
٤	النهى	٢٢٤
٥	التمنى	٩٣
المجموع		٢٢٠٠

أولًا الاستفهام :

والاسْتِفْهَامُ بِنْيَةٌ طَلَبِيَّةٌ تَتَمَثَّلُ إِنْتَاجِيَّتُها الوضعيةُ فى طلبِ العلمِ بشيءٍ لَمْ يكنْ معلومًا من قبلُ بأدواتٍ مخصوصةٍ. . وهذه الأدواتُ هى : (**الهمزة - هل - من - ما - أى - كم - كيف - أين - أنى - متى - أيَّان**).

وقد يَخْرُجُ الاستفهامُ فى لغةِ الأدبِ عن دَلالَتِهِ الْوَضْعِيَّةِ إِلَى دَلالاتٍ مَجَازِيَّةٍ يُحَدِّدُهَا السياقُ الذى يردُ فيه، إِذْ « **تَوَسَّعَتْ العربُ فأخرجتْ الاستفهامَ عن حقيقتِهِ لمعانٍ أو أَشْرَبَتْهُ تلكَ المعانى** »[1]

«**والاستفهامُ المجازىُّ لا يخرجُ عن الاستفهامِ خروجًا تامًا حيثُ يظلُّ احتمالُ النقضِ أو الجوابِ قائمًا**»[2]

1- جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن – مكتبة مصطفي البابي الحلبي – مصر – ١٩٥١م– جـ٢– صـ٨٢.

2- د/ حسنى عبدالجليل يوسف : أساليب الاستفهام فى الشعر الجاهلى – مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة – طبعة ٢٠٠١م – ص ١٠ .

الاستفهامُ فى ديوانِ الشَّرِيْفِ المُرْتَضَى :

ولقد كانَ أُسْلُوْبُ الاسْتِفْهَامِ أَحَدَ السِّمَاتِ التَّرْكِيْبِيَّةِ فى شعرِ المُرْتَضَى حيثُ وَرَدَ فى شعرِهِ فى ثمانمائةٍ وتسعةٍ وستينَ (٨٦٩) موضعًا فى سياقاتٍ مختلفةٍ، دالًا فى هذه السياقاتِ على أسرارٍ ولطائفَ.

وأدواتُ الاستفهامِ التى وَرَدَتْ فى ديوانِ المُرْتَضَى هى : (مَنْ - كَيْفَ - مَا - الهمزةُ - أينَ - هَلْ - أَيّْ - كَمْ - مَتَىْ - أَنَّى).

وفيما يلى جدولٌ إحصائىٌّ لأعدادِ ورودِ هذه الأدواتِ فى الدِّيوانِ، ويلى هذا الجدولَ عرضٌ وتفصيلٌ لهذه الأدواتِ، وذلكَ على النَّحْوِ الآتى :-

م	نوع الأداة	العدد
١	من	١٤٩
٢	كيف	١٤٢
٣	ما	١٣٢
٤	الهمزة	١١٤
٥	أين	١٠٤
٦	هل	٨٧
٧	أى	٥٩
٨	كم	٣٦
٩	متى	٢٩
١٠	أنى	١٧
المجموع		٨٦٩

١ -الاستفهام بـ " مَنْ " :

والأداةُ " مَنْ " يُسْتَفْهَمُ بها عَنِ العاقلِ "[1]، مثلُ قوله تعالى " فأمَّا عادٌ فاسْتَكْبَرُوا فِي الأرضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً". [2]

وَقَدْ فُرِّغَتْ هذه الأداةُ في شعرِ المُرْتَضَى من دَلالَتِها الوضعيةِ على الاستفهامِ إلى دَلالاتٍ بَدِيْلةٍ تَخَلَّقَتْ خِلالَ السِّيَاقِ الَّذِى غُرِسَتْ فيه.

والأنماطُ الَّتِي اسْتَخْدَمَ فِيْهَا المُرْتَضَى " مَنْ " كثيرةٌ، مِنْهَا :

أ- " مَنْ " مع " اسم مُعَرَّفٍ بأل" :

يقولُ المُرْتَضَى مِنْ قَصِيْدَةٍ فِيْ عَزَاءِ الوزيرِ مجدِ الدِّيْنِ فِيْ مَوْتِ أَبِيْهِ: [3]

مَنْ ذَا المعِيْنُ عَلَى مُصَابٍ فَادِحٍ هَجَمَ البُيُوتَا

وَالاسْتِفْهَامُ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ يُصَوِّرُ مَبْلَغَ فَدَاحَةِ المصَابِ الَّذِى أَلَمَّ بالوزيرِ مَجْدِ الدِّيْنِ، إذ المُرْتَضَى في البيتِ يسألُ ملتمسًا مُعِيْنًا على هذا المصابِ، مما يشيرُ إلى أنه ليسَ بقادرٍ - وَحْدَهُ - على تَحَمُّلِهِ وذلكَ مِمَّا يوحى بِعِظَمِ المصابِ وَهَوْلِهِ.

ب- " من " مع اسم الفاعل" :

يقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ في الفخرِ: [4]

مَنْ مُنْصِفِى من حكمِ أعوجَ جائرٍ أَعْيَتْ نعوتُ خِصَالِهِ المنطيقا ؟

وقد وَرَدَ البيتُ السابقُ في سياقِ حديثِ المُرْتَضَى عن مساوئِ الحكمِ، ومن ثَمَّ فَهُوَ - فِي الْبَيْتِ - فِيْ مُوَاجَهَةِ هَذَا الْحُكْمِ الجَائِرِ الَّذِى يَعْجَزُ الْبَلِيْغُ عَنْ وَصْفِ

---

1 -ينظر : محمد بن علي الجرجاني :الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة -تحقيق د. عبد القادر حسين -دار النهضة -مصر -(د.ت)صـ١٠٩،١٠٨ .

2- سورة فصلت : آية ١٥ .

3- الديوان : ١ / ١٣٠ (من مجزوء الكامل) .

4- الديوان ٢/ ٣٢٤ (من الكامل) .

مَسَاوِئِهِ، وَإِحْسَاسِهِ بالظُّلم الْوَاقِع عَلَيْهِ مِنْهُ، وَالْعَجْزِ أمَامَهُ، يَسْأَلُ مُلْتَمِسًا أَحَدًا يُنْصِفُهُ مِنْ هَذَا الْحُكْمِ الأَعْوَجِ الظَّالِمِ والاستفهامُ يوحى بشدةِ تَأَلُّمِ الشاعرِ من ظلمِ الحكمِ تألمًا جعلَهُ يَطْلُبُ الْمُنْصِفَ وَالْمُنْقِذَ مُتَمَنِّيًا وُجُودَهُ.

وَمِنْ قَصِيْدَةٍ فِى مَدْحِ فَخْرِ الْمُلْكِ يَقُوْلُ: [1]

مَـنْ مبلـغٌ فخـرَ الملـوكِ رِسَـالةً ... أَعْيَـتْ عَـلَىَّ يقولهـا المجهـودُ ؟
أَتُـرَى لَيَـالىَّ اللـواتى طِـبْنَ لِي ... فى ظِلِّـكَ الـوافى عـلى تعـودُ ؟
ومتـى أزورُ ربيـعَ أَرْضِـكَ زَوْرَةً ... وَعَـلَىَّ مـن نسجِ الربيـعِ بـرودُ ؟

وَقَدْ وَرَدَتْ الأَبيَاتُ السَّابقَةُ فى سِيَاقِ تَبليغِ فَخرِ الملوك برسَالَتِه الشعريةِ، وَمن ثم فالاستفهَامُ فى البَيتِ الأولِ يمثلُ طَلَبًا لِمَن يُبَلِّغُ عَن الشاعرِ رسَالَتَهُ، وَهوَ يفيدُ – فى الوَقتِ ذَاتِهِ – تَقديرًا لِهَذَا المبلغِ، والتماسًا منه أَنْ يُبَلِّغَ مَا كُلِّفَ بتَبليغِهِ كَمَا يَنبَغى أن يَكونَ.

أما الاستفهَامَانِ فى البَيتَينِ التاليَينِ " أَتُرَى لَيَالىَّ تَعودُ "، " وَمَتَى أَزورُ " فَيَكشفَا عَن أَنْ الشاعرَ يَتَمَنى مستَبعدًا أن تَعودَ أيامُ الوصَالِ التى نَعِمَ فيهَا بِظِلِّ مَمدوحِهِ، وَبِزِيَارَةِ أَرْضِهِ. وَقَد اُسْتُشِفَ مَعنَى الاستبعَادِ لِمَضمونِ هَذه الرسَالَةِ من نَعْتِهِ لَهَا فى البَيتِ الأَولِ بجملَتَى " أَعْيَتْ عَلَىَّ "، و " يَقُولُهَا المَجهودُ "، إِذْ إِنْ النعتَ يشيرُ إِلَى عِلَّةِ استفهَامِهِ وَطَلَبِهِ، وَأنه لَيسَ بقَادرٍ عَلَى أَنْ يُبَلِّغَ رسَالَتَهُ إِلى مَمدوحِهِ، وَذَلكَ مما يشعرُ بصعوبَةِ تحققِ مَا فيهَا.

جـ – "من" مع الفعل المضارع:

يَقولُ الْمُرْتَضَى من قَصيدَةٍ فى الافتخَارِ وَذَمِّ الأعدَاءِ: [2]

فَقُـلْ لِمَعَـاشِرٍ رَجَمُـوا حِمَـامِى ... أَرُوْنِـى مَـن ينـوبُ بِكُـمْ مَنَـابِى ؟
وَمَـنْ يَـشْفِيْكُمُ كَلِـمًا وَكَلْـما ... لَـدَى غَمَـرَاتِ خَطْـبٍ أو خِطَـابِ ؟

1- الديوان ١/ ٢٢٢ (من الكامل).

2- الديوان : ١/ ١٠١ (من الوافر).

وقد وَرَدَ البيتان فى سياقِ حديثِ المُرْتَضَى عن أخطاءِ قومٍ يعيشُ بينهم، ومن ثم فهو فى البيتينِ يخاطبُ كلَّ فردٍ من أفرادِ أُمَّتِهِ مُلْتَمِسًا منه أَنْ يُخْبِرَ أولئكَ الذينَ ظَنُّوا مَوْتَهَ وَتَمَنَّوْهُ، نافيًا لهم - عن طريقِ الاستفهامِ - أَنْ يجدوا أحدًا ينوبُ بينهم مَنَابَه، ويتحدثُ بلسانِهم ساعةَ الخطابِ، ويدافعُ عنهم عند الخطبِ.

وقد عَبَّرَ المُرْتَضَى بالاستفهامِ عن دلالةِ النفىِّ ؛ لِيَحُثَّ أولئكَ القومَ الذينَ تمنوا موته على التفكيرِ والتدبرِ حتى يتبينوا خطأَهُمْ فيقلعوا عنه.

٢ - الاستفهام بـ " كَيْفَ " :

وُضِعَتْ الأداةُ " كيف " للدَّلالةِ على الاستفهامِ، وقد تَخْرُجُ عن هذه الدَّلالةِ إلى دَلالاتٍ بديلةٍ، فتأتى بمعنى التَّعَجُّبِ أو النفىِّ او التَّوْبِيخِ. [1]

وقد خرجَ الاستفهامُ بـ (كيف) فى شعر المُرْتَضَى عن دَلالتِهِ الوضعيةِ إلى دَلالاتٍ بديلةٍ، وجاءَ على أنماطٍ كثيرةٍ، منها :

أ - كيف مع الفعل المضارع:

يقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فى رثاءِ جَدِّهِ الحسينِ : [2]

وكيفَ أَسْتَشْفِيْ لكُمْ رحمةً وَأَنْتُم الرحمةُ للمجْرِمِ

والمُرْتَضَى فى البيتِ السابقِ يتعجبُ -خلالَ الاستفهامِ - منكرًا أَنْ يَطْلُبَ الرَّحْمَةَ لآلِ البيتِ ؛ لأنهم هم الذين يشفعونَ للمجرمِ ليُرْحَمَ.

---

1 - ينظر : ابن هشام : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب - تصحيح محمد محى الدين عبدالحميد - مكتبة محمد على صبيح - القاهرة - (د. ت) -ص ٢٠٥ ؛ ابن فارس: الصاحبى فى فقه العربية - تحقيق: السيد أحمد صقر - مطبعة عيسى البابى الحلبى - القاهرة - ١٩٧٧م ص ٢٤٣، ٢٤٤

2 - الديوان : ٣/ ٢٦٨ (من السريع).

وفكرةُ الشَّفَاعة التى تَضَمَّنَها البيتُ فكرةٌ شِيْعِيَّةٌ سبقَ وأن تحدثتُ عنها. (1)

ب - "كيف" مع الفعل الماضى :

وَمِنْ قَصِيْدَةٍ فِىْ تَذَكُّرِ بَنِى أُمَيَّةَ، وَرِثَاءِ جَدِّهِ الحُسَيْنِ، يقولُ: (2)

وكيــفَ جَحَــدْتُمُ لَهُــمُ حقوقًــا تَبِيْــنُ عَــلَىْ رِقَــابِكُمُ اخْتِطَاطــا ؟

وقـد وَرَدَ البيـتُ الـسابقُ فى سياقِ حـديثِ المُرْتَـضَى إلى بنـى أميـةَ ومـن ثَـمَّ فالاستفهامُ فيه يَتَضَمَّنُ إنكارًا لفعلٍ وقعَ، وتوبيخًا عليه لماذا وقعَ ؟ وما كـان ينبغـى أن يقعَ، فالمُرْتَضَى فى البيتِ ينكرُ على بنى أميةَ أَنْ يجحدوا حقَّ آلِ البيتِ فى الخلافـةِ، وهو حقٌّ واضحٌ جليٌّ لاخفاءَ فيه.

٣ - الاستفهام بـ " مَاْ " :

وَيُسْتَفْهَمُ بالأَدَاةِ " مَاْ " عَمَّا لا يعقلُ وَعَنْ صفاتِ مَنْ يَعْقِلُ. (3)

وقد فُرِّغَتْ هذه الأداةُ من دَلالَتِها الوضعيةِ إلى دَلالاتٍ بديلةٍ فى شعر المُرْتَـضَى وَفْقَ ما يقتضيه السياقُ.

وقد جاءتْ هذه الأداةُ فى شِعْرِ المُرْتَضَى عَلَى أنماطٍ مِنْهَا :

أ - "ما" مع الفعل المضارع :

يقولُ المُرْتَضَى مِنْ قَصِيْدَةٍ فِىْ رِثَاءِ بَعْضِ أَهْلِهِ: (4)

وقــالوا : قــد مَرَنْــتَ عــلى الرَّزَايــا فقلــتُ لَهُــمْ : وَمَــا يُغْنِــى مِرَانِــى؟

---

1 - ينظر ص ١٨ ، ١٩ ، من هذا البحث.

2 - الديوان ٢/ ١٧٨ (من الوافر).

3 -) ينظر : ابن مالك : عمدة الحافظ وعدة اللافظ - تحقيق : د / عبدالمنعم أحمد هريدى - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٧٥م - ص ٢٧٩، المبرد : المقتضب - تحقيق : محمد عبدالخالق عضيمة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر - ١٣٩٩ هـ - جـ٤ - ص ٢١٧ / ٢١٨ .

4- الديوان ٣/ ٣٢١ ، ٣٢٢ (من الوافر).

وفى الأيـــامِ مُطرِقَــةٌ صَــمُوتٌ   تَقَمَّـــصُ بالـــشُّجَاعِ وبالجبـــانِ

والمُرْتَضِى فى البيتينِ يَقُصُّ حوَارًا دَارَ بينه وبينَ صَحْبِهِ، فيقولُ : بأنَّ أصحابَه قد أَخْبَرُوه بأنه قد غَدَا – من كثرةِ المصائبِ التى توالتْ عليه – ذا خِبْرَةٍ، فيجيبهم نافيًا – حلالَ الاستفهامِ – أنْ تَنْفَعَهُ خبرتُهُ ؛ لأنَّ مصائبَ الأيامِ تتوالى على الإنسانِ سواءٌ كان شجاعًا أم جبانًا. فالبيتُ الثانى تعليلٌ للاستفهامِ المنفىِّ فى البيتِ الأولِ.

والاستفهامُ المنفىُّ يَتَضَمَّنُ – أيضًا – الألمَ والحسرةَ لما أصابَهُ من مَصَائِبَ.

ب – " ماذا " مع اسم مُعرف بالألف واللام.

وَمِنْ قَصِيْدَةٍ فى عَزَاءِ جلالِ الدَّوْلَةِ فى وفاةِ ابنتِهِ، يقولُ :(1)

مـاذا البكـاءُ عـلى الـذى وَلَّى وَقَـدْ   جُعِلَـتْ لـه جنـاتُ عَـدْنٍ مَنْـزِلًا ؟

وَعَـلَى مَ نُـسْقَى الـصابَ فيـه ؟ وإنـه   يُسْقَى هنـاك – كـما يـشاءُ – السَّلْـسَلا

والمُرْتَضِى فى البيتِ السابقِ يَتَعَجَّبُ –عن طريقِ الاستفهامِ – من بكاءِ جلالِ الدَّوْلَةِ على ابنتِهِ منكرًا فِعْلَهُ، ويطلبُ منه الصبرَ على فراقِها ، فَقَدْ جُعِلَتْ جَنَّاتُ عَدْنٍ مَثْوىً لَهَا.

ثُمَّ يستفهمُ ثانيةً منكرًا، فيقولُ " وَعَلَى مَ نُسْقَى الصابَ" أى : علامَ نُسْقَى المرَّ، والمعنى : نحنُ لا ينبغى أنْ نحزنَ وَنُسْقَى المُرَّ من حُزْنِنَا ، وفقيدتُنَا تُسْقَى فى الجنانِ السلسبيلَ.

ولا يَخْفَى تَأَثُّرُ المُرْتَضِى فى البيتينِ بالقرآنِ الكريمِ فى أفكارِهِ وَلُغَتِه. يقولُ تعالى : " إِنَّ الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ. جَزَاؤُهُم عِنْدَ رَبِّهِم جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ خَالِدِيْنَ فيها أَبَدًا" (2) والمركبُ الإضافىُّ " جَنَّاتُ عَدْنٍ" يَرِدُ كثيرًا فى القرآنِ.

---

1 – الديوان : ٣/ ٦٤ (من الكامل).

2 – سورة البينة : آية ٧/ ٨ .

٤ – الاستفهام بـ" الهمزة " :

يقولُ الخطيبُ القزوينيُّ :" فالهمزةُ لطلبِ التَّصْدِيْقِ، كَقَوْلِكَ "أقامَ زيدٌ ؟ وأزيدٌ قائمٌ " أو التَّصوُّرِ كقولك : " أَدِبْسٌ [1] في الإناءِ أم عَسَلٌ ؟ "[2]

وقد استخدمَ المُرْتَضَى همزةَ الاستفهامِ استخدامًا مجازيًا وَفْقَ ما يقتضيه السياقُ. كما جاءتْ الهمزةُ في شِعْرِهِ على أنماطٍ كثيرةٍ، منها:

أ – " الهَمْزَةُ " مَعَ " لَيْسَ " :

يقولُ المُرْتَضى من قصيدة في الافتخار: [3]

فَقُلْ لِمَنْ ضَلَّ مغرورًا يفاخرني وَمَا لَهُ مثلُ عُجْمِي لا ولا عَرَبي
ألَيسَ بينَ نبيٍّ مُرْسَلٍ خُتِمَتْ بهِ النبيونَ أو صِهْرٍ لَهُ نَسَبِي

وقد وَرَدَ البيتانِ السابقانِ في سياقِ الافتخارِ، والشاعرُ يقصدُ بِمَنْ يُفَاخِرُهُ الْعَبَّاسِيِّيْنَ، ولم يصرحْ بهم تَقِيَّةً لهم، وَمِنْ ثَمَّ فهو في البيتينِ يخاطبُ كُلَّ فردٍ من أفرادِ أُمَّتِه بفعلِ الأمرِ " قُلْ " طالبًا إِلَيْهِ أَنْ يخبرَهم بحقيقةِ نَسَبِهِ مُقَرِّرًا – خلالَ الاستفهامِ – أنه ينتسبُ إلى خَاتمِ النبيينَ محمدٍ ﷺ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، وَهَذَا التَّقْرِيْرُ يَتَطَلَّبُ ضِمْنًا حُدُوْثَ مُقْتَضَاهُ وجزائِهِ، وهو الإقرارُ بأحقِّيَّتِه – أي المُرْتَضَى باعتباره رمزًا العلويين – بالخلافةِ مِمَّنْ يفاخرُهُ، والمعنى : أليسَ بينَ نبيٍّ مُرْسَلٍ خُتِمتْ به النبيونَ أو صِهْرٍ له نسبي، فتكونَ لي الخلافةُ.

فالاستفهامُ التقريريُّ يكشفُ عن فكرِ الشيعةِ الإماميةِ التي "تعتقدُ أَنَّ الخلافةَ في عليٍّ بعدَ رسولِ الله ﷺ ومن بعدِ عليٍّ في أولادِهِ حتى الإمامِ الثاني عشر الذي هو

---

1 – الدِّبْسُ : عَسَلُ التَّمْرِ.

2 – الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة – مرجع سابق – جـ٢ – ص ٣٠.

3 – الديوان ١/ ١١٩ (من البسيط).

محمدُ بنُ الحسنِ العسكريُّ الملقبُ بالمهديِّ" [1]

ب - " الهمزة " مع " الفعل المضارع " :

وَمِنْ قصيدةٍ فى رثاءِ جَدِّهِ الحسينِ ﷺ، يقولُ [2]

أَأُسْقَى نَمِيْرَ المَاءِ ثُمَّ يَلَذُّ لِيْ ... وَدُوْرُكُمُ - آلَ الرسولِ - خَلَاءُ ؟

ولقد استفهمَ الشاعرُ عن الفعلِ " أُسْقَى " وعطفَ عليه الفعلَ " يَلَذُّ " ؛ ليكشفَ عن فعلينِ لا ينبغى أن يَقَعَا، فهو ينفى - خلالَ الاستفهامِ - مُسْتَبْعِدًا أن يشربَ الماءَ العذبَ ثم يطيبُ له طعمُهُ حالةَ كونِ آلِ الرسولِ قد رحلوا عن ديارِهم فصارتْ خَلَاءً.

فالنفىُ مرتبطٌ بجملةِ الحالِ : " ودورُكُمُ - آلَ الرسولِ - خلاءُ " أى إنَّ الشاعرَ لَنْ يهنئَ بشربٍ أو يسعدَ بعيشٍ طالما رَحَلَ آلُ البيتِ عن ديارِهم، مما يوحى بأنَّ الشاعرَ سيلذُّ له العيشُ فى غيرِ هذه الحالِ، أىْ عندما يعودُ آلُ البيتِ إلى ديارِهم / الخلافةِ.

جـ - " الهمزة " مع " الظرف " :

وَمِنْ قصيدةٍ فى رثاءِ جَدِّهِ الحسينِ ﷺ، يقول : [3]

أنحوَ بنى رسولِ اللهِ فِيْكُمْ ... تَقُوْدُوْنَ المُسَوَّمَةَ السِّلَاطَا [4]

وقد وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سياقِ حديثِ المُرْتَضَى إلى الأمويينَ؛ ولذا فقدْ تضمنَ الاستفهامُ فى البيتِ إنكارًا وتعنيفًا، فهو ينكرُ عليهم - خلالَ الاستفهامِ - أنْ يقودوا الخيلَ الشديدةَ لقتالِ أبناءِ الرسولِ ﷺ، ويتصلُ هذا الإنكارُ بالمركبِ الظرفىِّ "نحو بنى رسول الله " الواقعِ حالًا من المفعولِ به " المَسَوَّمَةَ السِّلاطا "، فالفعلُ "يقودُ" يمكنُ أنْ يكونَ فى غيرِ هذه الحالِ.

---

1 - الشيعة والتصحيح - مرجع سابق - ص ٩ .

2 - الديوان : ١ / ١٣ (الطويل) .

3 - الديوان : ٢ / ١٧٧ . (من الوافر) .

4 - المُسَوَّمَةُ : الَّتِى عَلَيْها عَلامَةٌ .السِّلاطُ : الشِّدَادُ ..

د - "الهَمزة" مع "المصدر" :

وفى مطلع قصيدةٍ فى الشيبِ، يقولُ : [1]

أَشَيْبًا وَلَمَّا تَمْضِ خَمْسُونَ حِجَّةً ولا قَارَبْتُنِى ؟ إِنَّ هذا من الظُّلْمِ

والاسمُ الواقعُ بعد "همزةِ الاستفهامِ" مفعولٌ مطلقٌ لفعلٍ محذوفٍ، والتقديرُ "أَأَشِيْبُ شيبًا"، والمفعول المطلقُ يؤكدُ فعلَ الشَّيْبِ، ويوحى بكثرتِهِ ؛ ولذا فالاستفهامُ عن هذا المفعولِ المطلقِ فى هذا السياقِ يكشفُ عن إنكارِ الشاعرِ لكثرةِ شَيْبِهِ إنكارًا مقرونًا بالتَّعَجُّبِ، وجملةُ "ولَمَّا تَمْضِ خمسونَ حِجَّةً" جُمْلةٌ استئنافيةٌ تبينُ سببَ هذا التعجبِ، وعِلَّةَ ذلكَ الإنكارِ، فهو قد شَابَ ولَمَّا يبلغِ الخمسينَ من عُمُرِهِ بَعْدُ، أما جُمْلَةُ "إِنَّ هذا من الظُّلْم" فَقَدْ جاءتْ لتأكيدِ هذا الإنكارِ

هـ - "الهمزة" مع "الجار والمجرور" :

وفى مطلع مقطوعةٍ فى الشيبِ، يقولُ : [2]

أَمِنْ شَعَرٍ فى الرَّأْسِ بُدِّلَ لَوْنُهُ تَبَدَّلْتِ يا أسماءُ عَنِّى وَعَنْ وُدِّى؟

فإنْ يَكُ هذا الهجرُ مِنْكِ أو القِلَى فليسَ بياضُ الرأسِ - يا أسمُ - من عندي

تَصُدِّيْنَ عَمْدًا والهَوَى أنتِ كُلُّهُ وما كانَ شيبى - لو تأملتِ - من عَمْدِى

والمُرْتَضَى فى البيتِ الأولِ يَعْتِبُ على أسماءَ - خلالَ الاستفهامِ - منكرًا تبدلَها عن وصالِهِ بسببِ ابيضاضِ شَعْرِهِ.

وعتابُ المُرْتَضَى وإنكارُهُ صادرانِ عن اقْتِنَاعِهِ - كما اتضحَ من البيتينِ التاليينِ لِلْبَيْتِ الأوَّلِ - بأنَّ أسماءَ تصدُّ عَمْدًا، وأنَّ الشيبَ قد أتاهُ عَفْوًا.

٥ - الاستفهام بـ "أين" :

يقولُ ابنُ مالكٍ : أينَ يُسْتَفْهَمُ بها عن مكانٍ نَحْوُ : أينَ كُنْتَ، أفى الدَّارِ أم فى

1- الديوان : ٣/ ٢٢٩ (من الطويل).

2- الديوان ١/ ٢٩٨ (من الطويل).

المسجدِ ؟[1]

يقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فى الموعظةِ والاعتبارِ : [2]

أيـــنَ الألى كانـــوا بأيـــ ـــــــ دينـــا ـــــحــــــصولًا ثُـــــمَّ مَـــــاتوا

مِـــنْ كُـــلِّ مَـــنْ كانـــتْ لـــه ثمــــــراتُ دِجْلَـــــةَ والفـــــراتُ

مـــا قيـــلَ : نَـــالُوا فـــوق مـــا يهـــوون حتـــى قيـــل : فـــاتوا

والمُرْتَضَى فى الأبياتِ السابقةِ يسألُ عن أولئكَ الذينَ كانوا يعيشونَ بينهم مُنَعَّمِيْنَ بالطَّيِّبَاتِ، ويأكلونَ من كُلِّ الثمراتِ، وقد بَلَغُوا أقصى الأمنياتِ. . يسألُ : أينَ ذَهَبُوا ؟ لقد ماتوا ففاتوا ما كانوا بِهِ يَتَنَعَّمُونَ.

فالاستفهامُ يفيدُ نوعًا من العظةِ والتذكيرِ بأنَّ الكلَّ إلى ذهابٍ، ولا شيءَ يبقى، والموتَ حتمىٌّ، والفناءَ سُنَّةُ الحياةِ، وهذا مما يدعو إلى الزُّهْدِ فى متاعِ الدُّنيا، والانصرافِ عن ملذاتِها.

٦ - الاستفهام بـ " هل " :

والأداةُ " هل " حرفٌ " لا يُطْلَبُ به إلا التَّصْدِيقُ " [3]، والتَّصدِيْقُ هو طلبُ تعيينِ الثبوتِ أو الانتفاءِ فى سياقِ الشَّكِّ والترددِ ؛ ولذا فالسؤالُ : هَلْ عندك عمرٌو أم بشر ؟ لا يجوزُ. [4]

وقد فُرِّغَتْ هذه الأداةُ من دَلالتِها الوضعيةِ إلى دَلالاتٍ بَدِيْلَةٍ فى شِعْرِ المُرْتَضَى وَفْقًا للسِّياقِ الذى وَرَدَتْ فيه، والأنماطُ التى استَخْدَمَ فيها المُرْتَضَى هذه الأداةَ كثيرةٌ منها.

أ - "هَلْ" مَعَ جُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ خَبَرُهَا مَحْذُوْفٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ (جَارٌّ وَمَجْرُوْرٌ) مُقَدَّمٌ :

---

1 - ينظر : عمدة الحافظ وعدة اللافظ - مرجع سابق - ص ٢٨١ .

2 - الديوان : ١/ ١٢٥ (من مجزوء الكامل).

3 - السكاكى : مفتاح العلوم - مرجع سابق - ص ٣٠٨ .

4 - ينظر : المرجع نفسه - ص ٣٠٨ .

يقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فى رثاءِ جَدِّه الحسين ﷺ : [1]

كَمْ أُدَارِى الْعِدَا فَهَلْ فى غيوبِ الـ ـلهِ يومٌ أُخْشَى بِهِ وَأُدَارَى ؟

وقولُ المُرْتَضَى : " يومٌ أُخْشَى به وأُدَارَى " كنايةٌ عن يومِ حصولِ المُرْتَضَى على الخلافةِ باعتبارِهِ رمزًا للعلويينَ، إِذْ قَدْ وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سياقِ حديثِ المُرْتَضَى عَمَّا يُقَاسِيْهِ من ظلمِ الأعداءِ / الخلفاءِ العباسيينَ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ يخبرُ بكثرةِ مداراتِهم تقيةً لَهُمْ، ثُمَّ هُوَ يثبتُ خلالَ الاستفهامِ بـ " هل " - مقررًا أَنَّ يومَ الخلاص آتٍ لا محالةَ

ب - " هل " مع جملةٍ اسميةٍ خَبَرُهَا مَحْذُوْفٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ (جارٌّ ومجرورٌ) مُقَدَّمٌ ومبتدؤُهَا مَسْبُوْقٌ بمن الزائدةِ :

ومن قصيدةٍ فى مديحِ فخرِ الملكِ، يقولُ : [2]

فى القلبِ مِنْكُمْ حَزَازَاتٌ لو انكشفتْ لِعَاذِلِى فيكمْ ما باتَ يَعْذُلُنِى

هل فى الهَوَى من غريمٍ لا يماطِلُنِى أو مِنْ خليلٍ عليه لا يُعَنِّفُنِى ؟

والمُرْتَضَى فى البيتينِ يخبرُ مؤكدًا أَنَّ أحبتَهُ برحيلِهم عنه قد سَبَّبُوا له آلامًا، لو أَحَسَّ بها اللائمُ، لانصرفَ عن لومِهِ، ثم ينفى فى البيتِ الثانى - خلالَ الاستفهامِ - أَنْ يَجِدَ فى الهوى خَصْمًا لا يماطلُهُ أو خليلًا لا يُعَاتِبُهُ.

٧ - الاستفهام بـ " أى " :

يقولُ السَّكَّاكِيُّ : وأما (أَيُّ) فللسُّؤَالِ عَمَّا يُمَيِّزُ أَحَدَ المُتَشَارِكِيْنِ فى أمرٍ يعمُّهما، يقولُ القائلُ : "عندى ثيابٌ" فتقولُ : " أَيُّ الثياب هى ؟ " فتطلبُ منه وصفًا يميزُها عندك عما يشاركها فى الثَّوْبِيَّةِ، وفى التنزيلِ " أَيُّ الفريقينِ خيرٌ مقامًا "[3] أى أنحنُ أو

---

1 - الديوان : ٢/ ٥٧ (من الخفيف) .

2 - الديوان : ٣/ ٣٢٦ (من البسيط)

3 - سورة مريم : آية ٧٣ .

أصحابُ محمدٍ عليه السلام ؟"[1]

وقد تابعَ الخطيبُ القزوينيُّ فى هَذَا التَّفسِيرِ السَّكَّاكِيَّ [2]

وقد تعددتْ الدِّلالاتُ لأداةِ الاستفهامِ (أَيْ) فى شعرِ المُرْتَضَى وَفْقًا للسياقاتِ التى وَرَدَتْ فيها، كما تَنَوَّعَتْ أنماطُ ورِدِها، مثلُ :

أ) "أى":مبتدأٌ مضافٌ إلى اسمِ نكِرَةٍ والخبرُ محذوفٌ:

يقول المُرْتَضَى فى مطلعِ قصيدةٍ فى رِثَاءِ الأميرِ عنبر الملكى الخادم[3]

أىُّ فَتًى وُرِّىَ فى التُّرْبِ　　قَضَى ولم أقضِ به نَحْبِى؟
زَوَّدَنِى بعدَ فِرَاقِى لَهُ　　ما شاءتْ الأحزانُ من كَرْبِ

وأىُّ : مبتدأٌ مضافٌ إلى اسمِ نكرةٍ، والخبرُ محذوفٌ، والتقديرُ : " أىُّ فتىً وُرِّى فى التُّرْبِ هُوَ " . والاستفهامُ يتضمنُ تفخيمًا وتعظيمًا لشأنِ الفقيدِ، ويصورُ مبلغَ حُزْنِهِ عليه ؛ إِذْ إِنَّهُ يتمنى أَنْ لو أَدْرَكَهُ الموتُ حينَ ماتَ صَاحِبُهُ.

وَمِنْ أمثلةِ ذَلِكَ فى شِعْرِ المُرْتَضَى قَوْلُهُ : [4]

أىُّ شيءٍ نَفعًا وَضُرًّا عَلَى ما　　عوَّدَ الدَّهْرُ لَمْ يَكُنْ أَطْوَارا ؟

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سياقِ حديثِ المُرْتَضَى إلى أولئكَ الذينَ اغْتَصَبُوا الخلافةَ من العلويينَ نافيًا أَنْ يَبْقَى بأيديهم ما اغْتَصَبُوهُ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فيه يُقَرِّرُ – خلالَ الاستفهامِ – أَنَّ الدَّهْرَ دُوَلٌ، فَهُوَ لا يَبْقَى على حَالٍ، إِذْ يتبدلُ فى نَفْعِهِ وفى ضَرَرِهِ.

وَقَدْ عَطَفَ المُرْتَضَى كَلِمَةَ " ضُرًّا " على كَلِمَةِ " نَفْعًا " ؛ ليشيرَ إِلَى أَنَّ تَقَلُّبَ الدَّهْرِ يَشْمَلُ جَمِيعَ أَحْوَالِهِ سَوَاءٌ أكانتْ نَافِعَةً أَوْ ضَارَّةً، وَذَلِكِ مما يؤكدُ لمغتصبى الخلافةَ

1- ينظر : مفتاح العلوم – مرجع سابق – ص ٣١٠ .

2- ينظر الإيضاح فى علوم البلاغة : القزوينى – مرجع سابق – جـ٢ – ص ٣٦ .

3- الديوان : ١ / ٩٧ (من السريع).

4- الديوان ٢ / ٥٤ (من الخفيف .

أنها لَنْ تَبْقَى لَهُمْ ؛ فالدَّهْرُ دُوَلٌ.

ب ـ الأداة " أى " مسبوقةٌ بحرفِ جَرٍّ :

ومن قصيدةٍ فى رثاءِ بهاءِ الدولةِ، يقولُ :[1]

بِــأَىِّ نَــوعٍ مِــنَ المكــروهِ تخرِجُنِــىْ هَــذِى النوائــبُ عــن أَهْـلِى وعـن مَـالِىْ؟

والاستفهامُ فى البيتِ السابقِ يَتَضَمَّنُ تهويلًا مـن أَمْـرِ هـذه المصائبِ، وتعظيمًا لشأنِها، فَقَدْ جَرَّدَتْهُ من أَهْلِهِ وَمَالِهِ كما يكشفُ الاستفهامُ عـن مـدى حُـزْنِ الـشَّاعرِ وَأَسَفِه على ما أَصَابَه من نَوَائِبَ.

٨ – الاستفهام بـ " كَمْ " :

يقولُ السَّكاكيُّ " وأما كَمْ فللسؤالِ عن العَدَدِ "[2]

وقد تابَعَهُ الخطيبُ القزوينيُّ فى هذا التفسيرِ، فقال : " وأما "كـم" فللـسؤالِ عـن العددِ، فإذا قلت " كم درهمًا لك ؟ وكم رجلًا رأيت ؟ "فكأنك قلـت " أعـشرون أم ثلاثون أم كذا كذا ؟ "[3]

وقد تعددتْ الدَّلالاتُ لأداةِ الاستفهامِ "كم" فى شِعْرِ الْمُرْتَضَى وَفْقًا للسِّيَاقاتِ التى وردتْ فيهايقولُ الْمُرْتَضَى من قصيدةٍ فى رثاءِ الحسينِ ﷺ :[4]

إِلَى كَــمْ أُدَارِى مِــن أُدَارِى مِــنَ الْعِــدَا وَأَهْــدُنُ قومًــا بالجميــلِ وَأَلْطُــفُ ؟

والْمُرْتَضَى فى البيتِ السابقِ يستطيلُ – خلالَ الاستفهامِ – مُدَّةَ مُدَارَاتِهِ للأعـداءِ / الخلفاءِ العباسيينَ، وملاطَفَتِه إِيَّاهُم، وَيَسْتَبْطِئُ – وهو على يَقِيْنٍ من الخلاصِ – ظهورَ المهدىِّ.

ويكشفُ الاستفهَامُ – أيضًا – فى هذا السياقِ عن شِـدَّةِ معانـاةِ الْمُرْتَـضَى مـن طـولِ

---

1 – الديوان ٣/ ٩٧ (من البسيط) .

2 – مفتاح العلوم – مرجع سابق – ص٣١٢ .

3 – الخطيب القزوينى – الإيضاح فى علوم البلاغة – مرجع سابق ص ٣٦ .

4 – الديوان : ٣/ ٢٥٩ (من الطويل) .

الانتظارِ. كَمَا يَجْذِبُ انْتِبَاهَ السَّامعِ وَيَدْعُوهُ إِلَى المُشَارَكَةِ وَالنَّظَرِ فِيمَا حَلَّ بالشَّاعِرِ وَنَزَلَ.

٩ – الاستفهام بـ "متى" :

يقولُ السكاكيُّ : " وأما متى وأيّانَ فهما للسؤالِ عن الزمانِ، إذا قيل : متى جئتَ، وأيّانَ جِئْتَ ؟ قيل : يومَ الجمعةِ أو يومَ الخميسِ أو شهرَ كذا أو سنةَ كذا ". [1]

وَقَدْ فُرِّغَتْ هذه الأداةُ من دَلالَتِهَا الْوَضْعِيَّةِ إلي دَلالاتٍ بَدِيْلَةٍ في شِعْرِ المرْتَـضَي وَفْقًا للسِّيَاقِ الَّذِي وَرَدَتْ فِيْه والأَنْمَاطُ الَّتِي اسْتَخْدَمَ فيها المُرْتَضَي هذه الأداةَ كثيرةٌ، مِنْهَا :

أ – متى: مَسْبُوقَةٌ بِحَرْفِ الجرِّ "حَتَّى" وَيَلِيْهَا جُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ:

يقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فى الافتخارِ : [2]

أنا مُلْجَمٌ بالحزمِ عن قولِ الذى ... لو قُلْتُهُ لأَشَبْتُ كُلَّ وَلِيْدِ
حَتَّى مَتَى أَنَا فى ثيابِ إِضَامَةٍ ... أَقْرِيْ المُنَاجِيْ زفرةَ المجهودِ ؟
أُلْوَى عَنِ الأوطانِ لا تَرْقَىْ لَهَا ... كَفَّايَ لَيَّ الأرقمِ المطرودِ

والمُرْتَضَى فى الأبياتِ السابقةِ يخبرُ بأنه مكمومُ الفمِ عن كلامٍ لو صَرَّحَ به لشابَ الوِلْدَانُ، ثم هو يستفهمُ مستطيلًا مُدَّةَ إِضَامَتِه وإقامَتِهِ على الذُّلِّ والهوانِ، وحرمانِهِ من الأوطانِ / الخلافةِ.

والاستفهامُ يكشفُ فى هذا السياقِ – أيضًا –عن حزنِ المُرْتَضَى وتحسرِهِ على ما أَصَابَهُ واستعجالِهِ فى أن تزولَ هذه الغُمَّةُ عنه.

ب – " متى " مع جملة فعلية :

ومن قصيدة فى رثاء الحسين، يقولُ [3]

1– السكاكى : مفتاح العلوم – مرجع سابق – ص ٣١٣ .

2– الديوان : ١/ ٢٨٢ ، ٢٨٣ (من الكامل).

3– الديوان ٢/ ٩٥ (من السريع).

متـــــى أَرَى حَقَّكُـــــمُ عَائِـــــدًا إِلَـــــيْكُمُ فى الــــسِّرِّ والجهــــرِ ؟

وقد وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سياقِ حديثِ المُرْتَضَى إلى آلِ البيتِ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فيه يتمنى – خلالَ الاستفهامِ – أَنْ يَرَى العلويينَ مستردينَ حَقَّهُمْ فى الخلافةِ سِرًّا وَجَهْرًا.

والاستفهامُ فى هذا السِّيَاقِ – أَيْ فِي سِيَاقِ التَّمَنِّي – يشيرُ إلى تَيَقُّنِ المُرْتَضَى من استرادِ العلويينَ حَقَّهُم، كما يكشفُ عن تعجلِهِ وتلهفِهِ لاستردادِهِ.

جـ – " متى " مع مركب اسمى صورى :

ومن قصيدةٍ فى يومِ الغديرِ، يقولُ : [1]

مَتَى كنتمُ أَمْثَالَنَا ؟ وَمَتَى اسْتَوَتْ بِنَا وبكُمْ فى يومِ فَخْرٍ مَرَاتِبُ ؟

وقد وردَ البيتُ السابقُ فى سياقِ حديثِ المرتضى إلى الأُمَوِيِّيْنَ، وَمِنْ ثَمَّ فهو فى البيتِ ينفى – خلالَ الاستفهامِ – أىَّ مَكْرُمَةٍ، وأىَّ تَمَيُّزٍ لهم فالأُمَوِيُّونَ بَعِيدُونَ عن أىِّ فضلٍ يقربُهم من الفخارِ، فهم ليسوا كالعلويينَ فى الفضلِ والشرفِ، ولنْ ترتفعَ – أبدًا – منزلتُهم إلى منزلةِ العلويينَ حينَ التفاخرِ.

١٠ – الاستفهام بـ " أَنَّى " :

يقولُ ابنُ فارسٍ : أَنَّى بمعنى " كَيْفَ " كقولِهِ جَلَّ ثناؤُهُ " أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا " (سورة البقرة ٢٥٩) ويكون بمعنى من أينَ كقولِهِ تعالى " أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ " (سورة الانعام ١٠١) أَيْ : من أينَ يكونُ له ولدٌ، والأجودُ أَنْ يُقَالَ فى هذا أيضًا : كيف. [2]

وذكرَ ابنُ مالكٍ أنه قد يُسْتَفْهَمُ بـ " أنَّى " عن المكانِ وعن الزَّمَانِ، فيقال : " أَنَّى كُنْتَ" و "أنَّى سِرْتَ" بمعنى " أين كُنْتَ " و "مَتَى سِرْتَ". [3]

1- الديوان ١/ ٣٥ (من الطويل).

2- ينظر : الصاحبى – مرجع سابق – ص ٢٠٠.

3- ينظر : عمدة الحافظ – مرجع سابق – ص ٢٨٢ .

وقد فرغت هذه الأداة من دلالتها الوضعية على الاستفهام إلى دلالات بديلة يتطلبها السياق.

يقولُ المُرْتَضَى في مطلعِ قصيدةٍ في الغزلِ: [1]

قالَ لي عاذلي: تناءَ عنِ الحُبِّ، وأَنَّى مِنْ سَكْرَةِ الحُبِّ صَحْوُ ؟

والمُرْتَضَى في البيتِ السَّابقِ يَحْكِي حوارًا دَارَ بَيْنَه وبينَ عَاذِلِه، فالعاذلُ يطلبُ إلي الشَّاعرِ أَنْ يَنْصَرِفَ عن حُبِّه، فيجيبُهُ الشاعرُ بأنه قد وَقَعَ في أَسْرِهِ، ولا يستطيعُ الفَكَاكَ من قَيْدِهِ.

فالاستفهامُ يَتَضَمَّن نَفْيًا لأنْ يكونَ للشاعرِ القُدْرَةُ على أَنْ يَصْحُوَ من سَكْرَةِ حُبِّه، فقد مَلَكَ الحبُّ على الشاعرِ لُبَّهُ.

ثانيًا: الأمر:

والأمرُ هو أحدُ أنواعِ الإنشاءِ الطلبيِّ الذى تتمثلُ إنتاجيتُهُ في طلبِ حصولِ الفعلِ على وجهِ الاستعلاءِ والإلزامِ، والصيغةُ الموضوعةُ لَهُ هِيَ: فعلُ الأمرِ، والمضارعُ المقترنُ بلامِ الأمرِ، واسمُ فعلِ الأمرِ، والمصدرُ النائبُ عن فعلِ الأمرِ.

يقولُ السَّكَّاكِيُّ: " والأمرُ في لُغَةِ العربِ عبارةٌ عن استعمالِها أعني استعمالَ نحو: لينزل وانْزِلْ ونَزَالِ وَصَهْ على سبيلِ الاستعلاءِ "[2]

ويرى العلويُّ أَنَّ الأمرَ هو " صِيغَةٌ تَسْتَدعى الفعلَ أو قَوْلًا يُنبِئُ عن استدعاءِ الفعلِ من جهةِ الغيرِ على جهةِ الاستعلاءِ "[3]

1- الديوان ٣/ ٣٥٣ (من الخفيف).

2- السكاكي: مفتاح العلوم - مرجع سابق - ص ٣١٨.

3- العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٩٨٢م - جـ٣/ ٢٨١، ٢٨٢

ويرى السيوطيُّ أنه " طلبُ فعلٍ غيرُ كَفٍّ، وصيغتُهُ افعلْ وليفعل "[1]

وقد تَخْرُجُ صِيغَةُ الأَمْرِ مِنْ دَلالَتِهَاالْوَضْعِيَّةِ إِلَى دَلالاتٍ بديلةٍ وَفْقًا لحركةِ المعنى فى ذِهْنِ المتكلمِ، وللسياقِ الذى وردتْ فيه ومن ثَمَّ فـ" لابُدَّ من تأمُّلِ السياقِ لأنه هو الذى تستمدُ منه الصِّيْغَةُ دَلالتَهَا، فقد ترى التركيبَ يجرى فى سياقينِ ويفيضُ بمعنيينِ متباينينِ"[2]

الأمر فى ديوان المُرْتَضَى :

والأمرُ سِمَةٌ أسلوبيةٌ فى شعرِ المُرْتَضَى إِذْ قَدْ وَرَدَ فى ديوانِهِ فى ستمائةٍ وعشرةٍ (٦١٠) مَوَاضِعَ فى سياقاتٍ مختلفةٍ، وأفرزَ معانٍ ودَلالاتٍ تناسبُ هذه السياقاتِ.

وفيما يلى جدولٌ إحصائىٌّ لِصِيَغِ الأمرِ، وأعدادِ ورودِها فى الدِّيوانِ ثم يلى هذا الجدولَ عرضٌ لهذه الصيغِ وما تفرزُهُ من دَلالاتٍ.

م	صيغة الأمر	العدد
١	فعل الأمر	٥٨١
٢	اسم فعل الأمر	١٨
٣	المضارع المقترن بلام الأمر	١١
المجموع	اسم فعل الأمر	٦١٠

" الأمرُ " بـ" فِعْلِ الأمرِ " :

يقولُ المُرْتَضَى فِى رِثَاءِ وَالِدِهِ: [3]

1- السيوطى : معترك الأقران فى إعجاز القرآن -- تحقيق / على محمد البجاوى - دار الفكر العربى - ١٩٧٣م - ١/ ٤٤١ .

2- د . محمد أبو موسى : دلالات التراكيب - مرجع سابق - ص ٢٤٨ .

3- الديوان : ١/ ٢٠١ (من الوافر).

فَقُـــلْ لِمَعَــاشِرٍ رَهَبُـــوا شَــبَاتِى ... ومـــا تَجْنِـــى رِمَـــاحِى أو صِـــفَاحِى [1]

رِدُوا مـــن حَيْـثُما شِـئْتُمْ جِمـامى ... فَـــإِنِّى الْيَـــومَ للأعـــداءِ ضَـــاحِ

ورُومُـــونى ولا تَخْــشَوا قِرَاعِـــى ... فقـــد أصـــبحتُ مُـــسْتَلَبَ الـــسِّلاحِ

وقـــودونى فـــما أنـــا فى يَـــدَيْكُم ... عـــلى مـــا تعهـــدونَ مـــن الجِـــماحِ

ولا تَنْتَظِّـــرُوا منـــى ارتياحًـــا ... فقـــد ذهـــبَ ابـــنُ موســـى بارتيـــاحى

وقد وردتْ الأبياتُ السابقةُ فى سياقِ ندبِ المُرْتَضَى وَالِدَهُ، وَمِنْ ثَمَّ فهـو فيهـا يخاطبُ بفعلِ الأمرِ " قُلْ " كُلَّ فردٍ من أفرادِ أمتِهِ ملتمسًا منه أَنْ يُبَلِّغَ أعـداءهُ الـذينَ خَافُوا يومًا حَدَّ سَيْفِهِ رِسَالَتَهُ الشِّعْرِيَّةَ، وهى إنَّ على الأعداءِ أن يُهَاجِمُوه مـن حيـثما شَاءُوا، ولا يَخْشَوا مُنَازَلَتَهُ فقد أصبحَ بلا سلاحٍ، وعليهم أَنْ يأخـذوه أسـيرًا فلـيسَ بقوتِهِ التى كَانُوا يَعْهَدُونَهَا إِذْ قَدْ ذَهَبَ ابنُ موسى بقوتِهِ وراحَتِهِ.

فَفِعْلُ الأَمْرِ " قُلْ " يُوْحِى – هاهنا – بأَنَّ ضَعْفَه بادٍ عليه لا يخفى عـلى أَحَـدٍ أمـا الأفعالُ "رِدُوا رومونى – قودونى " فهى توحى فى هذا السياقِ باليأسِ والعجزِ، فقد غَدَا المُرْتَضَى – بموتِ أبيه – فاقدًا لقوتِهِ، عاجزًا عن منازلةِ أعدائِهِ.

ومن قصيدةٍ فى أبى سعدِ بنِ عبدالرحيمِ، يقولُ المُرْتَضَى :[2]

وَلَمَّـــا أَجْمَلْـــتُ تَفْـــصِيْـ ... ـــــــلٌ طويـــــــلٌ وَشروحُ

فَخُـــذِ التَّعْـــرِيضَ حَتَّـــى ... يــــأتىَ القَـــولُ الـــصَّرِيحُ

وقد وَرَدَ البيتانِ فى سياقِ حديثِ المُرْتَضَى إِلَى أَبِى سَعْدٍ مقرًّا له بأَنَّ الفرجَ سيأتيه – لا محالةَ – والفتحَ. وهو فى البيتِ الأول يخبرُ بأنـه يُجْمِـلُ القـولَ ولا يُفَـصِّلُ، وفى البيتِ الثانى يخاطبُ أبا سعدٍ، قائلًا : لقد عَرَّضْتُ لـك بـالقولِ ولم أصرحْ ؛ إِذْ لاتَ

---

1 – شَبَاةُ السَّيْفِ : حَدُّ طَرَفِهِ .

2 – الديوان : ١/ ١٨٣ (من مجزوء الرمل) .

حينَ تصريحٍ.

والأمرُ "خُذْ" يشيرُ - فى هذا السياقِ - إلى مبدإِ التَّقِيَّةِ، إِذْ المُرْتَضَى يتقى حينَ تعريضِه بالقولِ لأبى سعدٍ شَرَّ الحكامِ حتى يأتىَ الوقتُ الذى يستطيعُ أَنْ يُصَرِّحَ فيه بمكنونِ صدرِهِ.

ويقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فى الحكمةِ : (1)

وَاْخُبرْ ولا تَصْحَبْ مِنَ الإِخْوانِ إلا مَنْ خَبَرْتَا

والمُرْتَضَى فى البيتِ السابقِ يخاطبُ صاحبَهُ نَاصِحًا - خلالَ الأمرِ " اخبُرْ" - فيقولُ : عليكَ أَنْ تختبرَ الناسَ، ولا تُصَاحِبْ منهم إلا مَنْ قَدْ جَرَّبْتَهُ، وَتَيَقَّنْتَ مِنْهُ.

ويقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ يُعَزِّى فيها القاضى أبَا القاسمِ عبدَالعزيز بنِ محمدٍ العَسْكَرِىَّ فِىْ وَلَدٍ غَرِقَ :(2)

واعتبرْ بالذينَ حَلُّوا مِنَ الْعَلْيَا ءِ والكبرياءِ دارًا فَدارا

ملكوا الأرضَ كُلَّهَا ثُمَّ مَنْ كا نَ على الأرضِ فى الزمانِ مِرارا

فَتَرَى دُوْرَهُمْ - وَكُنَّ مِلاءً بالمسَرَّاتِ - بَعْدَهُنَّ قِفَارا

وقد وردتْ الأبياتُ السابقةُ فى سياقِ التَّعْزِيَةِ، وَمِنْ ثَمَّ فقد تحركتْ صيغةُ الأمرِ "اعتبرْ" فى البيتِ الأولِ إلى دلالةِ التعزيةِ والتسلى، فالمُرْتَضَى فى الأبياتِ يخاطبُ القاضى مواسيًا، فيقولُ : تعزى أيها القاضى عن مصابِكَ بمن حَلُّوا العُلاَ وَبَنَوا الدُّوْرَ، وملكُوا الأرضَ وَمَنْ عليها ثُمَّ ذَهَبُوا، وأصبحتْ دُوْرُهُمْ - وَقَدْ كانتْ مليئةً بالحياةِ والمسراتِ - خَرَابًا.

ويقول المُرْتَضَى من قصيدةٍ فى رثاء جده الحسين ﷺ :(3)

1- الديوان ١/ ١٣٣ (مجزوء الكامل).

2- الديوان ٢/ ٤٦ (من الخفيف).

3- الديوان : ١/ ٢٩٣ (من البسيط) .

قَدْ قُلْتُ للقومِ: حُطُّوا من عَمَائِمِهِم ... تحققًا بمصابِ السادةِ الصِّيدِ
نُوحُوا عليه، فهذا يومُ مَصْرَعِهِ ... وَعَدِّدُوا إنها أيامُ تَعْدِيدِ

وَقَدْ وَرَدَ البيتانِ السابقانِ فى سياقِ حديثِ المُرْتَضَى إلى قومِهِ / العلويينَ، وندبِهِ الحسينَ ﷺ، وَمِنْ ثَمَّ فقدْ تحركتْ صيغُ الأمرِ "حُطُّوا، نُوحُوا، عَدِّدِوا"؛ لتفيدَ الإثارةَ والإلهابَ والتهييجَ؛ إِذْ إِنَّ النَّوْحَ والتَّعْدِيْدَ وَاقِعَانِ مِنَ الْعَلَوِيِّيْنَ لا مَحَالَةَ.

فالمُرْتَضَى فى الْبَيْتَيْنِ يخاطبُ قَوْمَه حَاثًّا لهم على الاستمرارِ فى البكاءِ والتعديدِ، ويطلبُ إليهم أَنْ يُنْزِلُوا عَمَائِمَهُم أسيً على فقدِ السَّادةِ أصحابِ الفخارِ، وأَنْ يبكوا الحسينَ، ويعددوا مآثِرَهُ، إِذْ اليومُ يومُ مصرعِهِ وذلكَ مما يجعلُ قَوْمَهُ يَسْتَمِرُّونَ فى بُكَائِهِم وَعَوِيْلِهِم لا يَنْقَطِعُونَ.

ويقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فِىْ مَدِيْحِ بهاءِ الملكِ، وَتَهْنِئَتِهِ بالمهرجانِ: [1]

أَعِنِّى غَدَاةَ البينِ مِنْكَ بنظرةٍ ... فَقَدْ عَشِيَتْ بالدَّمعِ مِنَّا النَّواظرُ

وقد وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سياقِ النسيبِ واستعطافِ الحبيبِ، وَمِنْ ثَمَّ فقدْ تحركتْ صيغةُ الأمرِ "أَعِنِّى" إلى دَلالةِ الاستعطافِ.

فالمُرْتَضَى فى البيتِ يستعطفُ – خلالَ الأمرِ – محبوبَهُ / الخلافةَ فيقولُ: انقذنى أيها المحبوبُ بنظرةٍ مِنْكَ يومَ رَحِيْلِكَ، فَقَدْ ضَعُفَ بَصَرِىْ من كثرةِ بكائى عليكَ.

ويقولُ فى مطلعِ قصيدةٍ فى التَّوَسُّلِ إلى اللهِ بأهلِ الْبَيْتِ: [2]

أَقِلْنِى رَبِّى بالذينَ اصطفيتَهُم ... وقلتَ لَنَا: هُمْ خَيْرُ مَنْ أَنَا خَالِقُ

والمُرْتَضَى فى البيتِ السابقِ يخاطبُ الحقَّ "جَلَّ وَعَلا"، وَمِنْ ثَمَّ فقدْ تحركتْ صيغةُ الأمرِ "أَقِلْنِى" إلى دَلالةِ الدعاءِ، إذ هو فى البيتِ يتوجه إلى الله مُتَضَرِّعًا إليه، دَاعِيًا إِيَّاه أَنْ يتجاوزَ عن هَفَوَاتِهِ مُتَّخِذًا من آلِ البيتِ خيرِ الناسِ شُفَعَاءَ له.

1- الديوان ٢/ ١٣ (من الطويل).

2- الديوان : ٢/ ٣٠٨ (من الطويل).

وقد عَبّرَ المُرْتَضَى بأسلوبِ الأمرِ فى سياقِ الدعاءِ؛ ليظهرَ كمالَ الخضوعِ لله (عَزَّ وَجَلَّ)؛ وليبينَ شِدَّةَ رَغْبَتِهِ فى تحقيقِ العفوِ عن هَفَواتِهِ، وليؤكدَ - أيضًا - فكرةَ شفاعةِ آلِ البيتِ للمسلمينَ، إِذْ قَدْ تَحَدَّثَ عنها فى سياقِ حديثه إلى الله (تعالى).

يقولُ المُرْتَضَى فى مطلعِ قصيدةٍ فى رِثَاءِ الحسينِ ﷺ : [1]

قِفْ بالدِّيَارِ المقفراتِ لَعِبَتْ بِهَا أيدى الشَّتَاتِ
فكأنهن هشائمٌ بمرورِ هُوجِ العاصفاتِ
فإذا سألتَ فليس تسـ ألْ غيرَ صُمٍّ صامتاتِ
خُرْسٍ يُخَلْنَ من السكو تِ بِهِنَّ هامُ المُصْغِياتِ
عُجْ بالمطايا الناحلا تِ على الرسومِ الماحلاتِ
الدَّارساتِ الفانيا تِ شبيهةً بالباقياتِ
واسألْ عن القتلى الأُلَى طُرِحُوا على شَطِّ الفُرَاتِ

والمُرْتَضَى فى الأبياتِ السَّابِقَةِ يَبْكِى ديارَ آلِ البيتِ التى صارتْ قِفَارًا، ومن ثَمَّ فقد تحركتْ أفعالُ الأمرِ : " قِفْ، عُجْ، اسألْ" إلى دَلالةِ التَّحسُّرِ والتَّحزُّنِ ؛ ولذا فالمُرْتَضَى فى الأبياتِ يخاطبُ نَفْسَه - إذ هو مُقَسِّمُ النَّفْسِ - بطريقِ التجريدِ مُتَحسِّرًا محزُوْنًا، فيقولُ توقفْ عند الديارِ القَفْرِ الخاليةِ، وقد عَبَثَتْ بها الفُرْقَةُ. . وأنزلْ مَطَايَاكَ بها. . واسألْ عَمَّنْ قُتِلوا على شواطئِ نهرِ الفراتِ.

ويقولُ من قصيدةٍ فى رثاءِ جَدِّه الحسينِ ﷺ : [2]

قد رَأَيْتُمْ فَأَرُونَا مِنْكُمُ فَرْدًا نَجِيبَا

وقد وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سياقِ افتخارِ المُرْتَضَى بِوَصْفِهِ عَلَوِيًّا عَلَى الأُمَوِيِّيْنَ،

1- الديوان: ١/ ١٤٥ (من مجزوء الكامل).

2- الديوان ١/ ٧٠ (من مجزوء الرمل).

وتعجيزِهِ لهم، وَمِنْ ثَمَّ فقدْ تحركتْ صيغةُ الأمرِ " أَرُونَا" إلى دَلالةِ التعجيزِ، فالمُرْتَضى فى البيتِ يخاطبُ الأمويينَ متحديًا أَنْ يَقفُوهُ على فردٍ منهم نجيبٍ، فيقولُ : لَقَدْ رأيتم مِنَّا النجباءَ فَأَرُونَا مِنْكُم نَجِيبًا وَاحِدًا.

والأمرُ - فى هذا السياقِ - يشعرُ بمدى دُونِيَّةِ الأُمَوِيِّينَ وعجزِهم مما يؤدى إلى الانصرافِ عنهم والتنفيرِ منهم، والانضمامِ إلى صفوفِ النجْباءِ آلِ البيتِ.

يقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فى الافتخارِ :[1]

أَجِلْ عَيْنَيْكَ فِى مَجْدِى تَجِدْنِى ... وَلَجْتُ إِلَى العُلاَ مِنْ كُلِّ بَابِ

وقد وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سياقِ افتخارِ المُرْتَضَى بنفسِهِ، ومن ثَمَّ فقد تَحَرَّكَتْ صِيغَةُ الأمرِ "أَجِلْ" إلى دَلالةِ الافتخارِ ؛ إذْ المُرْتَضَى يخاطبُ صاحِبَه مفتخرًا، فيقولُ : انظرْ بِعَيْنَيْكَ وتأملْ ما أنا فيه من مَجْدٍ فستجدْ أننى بلغتُ أعلى المراتبِ.

ويقولُ من قصيدةٍ فى الشَّيْبِ :[2]

وَعُدِّى بياضَ الرَّأْسِ بَعْدَ سَوَادِهِ ... صباحًا أَتَى لَمْ أَجْنِهِ وَمَسَاءَ

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سياقِ حديثِ المُرْتَضَى عن شَيْبِه، وإقرارِهِ بوقوعِهِ، وأنه كان سببًا فى انصرافِ المحبوبةِ عنه، وَمِنْ ثَمَّ فقد تحركتْ صيغةُ الأمرِ "عُدِّى" إلى دَلالةِ التمنى، إِذْ إِنَّ نفورَ المحبوبةِ من المُرْتَضَى بسببِ شيبِه، سَبَّبَ له أَلَمًا وضِيقًا جَعَلَهُ يتمنى منها - تخلصًا من أَلِمِهِ - أن تَعُدَّ بياضَ رأسِهِ بَعْدَ سوادِهِ كأنه صباحٌ جِيءَ به بعد مساءٍ ولا دخلَ له فِيْهِ.

ويقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فى رثاءِ جَدِّهِ الحسين ﷺ :[3]

قُلْ لقومٍ بَنَوا بغيرِ أساسٍ ... فى ديارٍ ما يملكونَ مَنَارَا

1- الديوان ١/ ١٠١ (من الوافر).

2- الديوان : ١/ ١٨ (من الطويل).

3- الديوان : ٢/ ٤٥ (من الخفيف).

واستعاروا من الزمانِ ومازا ... لت لياليه تسترِدُّ المُعَارَا
ليسَ أَمْرٌ غَصَبْتُمُوْهُ لِزَامًا ... لا ولا منزلٌ سَكَنْتُم قَرارًا

وقد وردتْ الأبياتُ السابقةُ في سياقِ إخبارِ الأمويينَ بأنَّ الخلافةَ التي اغتصبوها لَنْ تَدُومَ لَهُمْ، ولِذَا فقدْ عَبَّرَ المُرْتَضَى بصيغةِ الأمرِ "قُلْ" التي لا يُرَادُ بها مأمورٌ معينٌ وإنما يُرادُ بها كلُّ من يتأتى منه الخطابُ، حتى لكأنَ كلَّ فردٍ من أفرادِ الأمةِ مُهَدِّدٌ للأُمَوِيِّيْنَ وَمُنْذِرٌ بِزَوَالِ مُلْكِهِم، وفي هذا إهانةٌ لهم وتشهيرٌ بهم، وإشارةٌ إلى أَنَّ جوابَ الأمرِ حَقٌّ لامراءَ فِيْهِ.

٢ - "الأَمْرُ" بِـ "اسْمِ فِعْلِ الأَمْرِ":

يقول المُرْتَضَى من قصيدةٍ كَتَبَهَا إِلَى أَخِيْهِ الرَّضِي يُعَاتِبُهُ عِتَابًا أَوْرَثَ الرِّضَا: [1]

هَلُمَّ نُعِدْ صفوَ الودادِ كما بَدَا ... إعادةَ مَنْ لَمْ يلفِ عَنْ ذَاكَ مِنْ بُدِّ

وقد وَرَدَ البيتُ السَّابقُ في سياقِ معاتبةِ المُرْتَضَى لأخيه الرَّضِيِّ، ومن ثَمَّ فقد تحركتْ صيغةُ الأمرِ "هَلُمَّ" إلى دَلالةِ التمنى، فالمُرْتَضَى يخاطبُ أَخاهُ مُتَمَنِّيا أَنْ يَعُوْدَ الْوِدَادُ - كَمَا كَانَ بَيْنَهُمَا - صَافِيًا، إِذْ لا مَفَرَّ من ذَلِكَ ؛ لأَنَّهُمَا أَخَوَانِ.

ويقولُ مِنْ قصيدةٍ في بعضِ الأعداءِ: [2]

فَدُونَكَ - يا شَقِيْقَ اللُّؤْمِ - قولًا ... يسوؤكَ ثُمَّ يُوْسِعُنَا ابْتِهَاجَا

وقد وَرَدَ الْبَيْتُ السَّابقُ فِي سِيَاقِ حَدِيْثِ المُرْتَضَى إلى أَحَدِ أَعْدَائِهِ، ومن ثَمَّ فقد تحركتْ صِيْغَةُ الأمر "فَدُونَكَ" إلى دَلالَةِ التحقيرِ، إِذْ إِنَّ المُرْتَضَى في البيتِ يخاطبُ عَدُوَّهُ مُحَقِّرًا، فيقولُ خُذْ أَيُّهَا اللَّئِيْمُ كَلامًا يُزْعِجُكَ ويسوؤُكَ، وهو في الوقتِ ذَاتِهِ يُسْعِدُنا وَيَسُرُّنا. وقد أكَّدَ بجملةِ النِّدَاءِ المعترضةِ "يا شقيقَ اللُّؤْمِ" دَلالةَ التحقيرِ.

---

1 - الديوان : ١/ ٢٠٦ (من الطويل).

2 - الديوان : ١/ ١٧٠ (من الوافر).

٣ - الأَمْرُ بـ " المضارع المَقْرُونُ بلامِ الأمرِ " :

يقول المُرْتَضَى من قصيدةٍ فى الافتخارِ : [1]

مـا فِيْـكَ يَـا شَـمِطَ الْعِـذَارِ لِرَامِـقٍ عَبَـقِ الجَـوَانِحِ بـالهوى مـن شَـاعِفِ
فَلْيَخْـلُ قلبُـكَ مـن أحاديـثِ الهـوى وَلْيَخْـلُ غُمْـضُكَ مِـنْ مطيـفِ الطَّـائِفِ

وقد وَرَدَ البيتانِ السابقانِ فى سياقِ حديثِ المُرْتَضَى عن ذهابِ الشبابِ عنه، وَمِنْ ثَمَّ تحركتْ صِيغَتَىْ الأمرِ :" فَلْيَخْلُ "، " وَلْيَخْلُ " للدَّلالةِ على التَّيْئِسِ، إذْ المُرْتَضَى فيهما يخاطبُ نفسَهُ - بطريقِ التجريدِ - ميئسًا، فيقولُ : لَمْ يَعُدْ فيكَ أيها الأَشْيَبُ مطمعٌ فى النساءِ، فعليكَ - إذَنْ - أنْ تصرفَ نَفْسَكَ عن الحديثِ عَنْهُنَّ بَلْ عَنْ مجردِ التفكيرِ فيهن، وأنْ يَتَطَوَّفَ بِكَ طائفٌ مِنْهُنَّ.

ثالثًا: النِّدَاءُ :

والنداءُ هو بنيةٌ طَلَبِيَّةٌ، تَتَمَثَّلُ إِنْتَاجِيَّتُهَا الْوَضْعِيَّةُ فِىْ " طَلَبِ الإِقْبَالِ حِسًّا أَوْ مَعْنًى بِحَرْفٍ مُوَلَّدٍ مِنَ الْفِعْلِ " أَدْعُوْ "، سَوَاءٌ أكانَ الحَرْفُ ملفوظًا على مستوى السطحِ، مثلُ :" يا مُحَمَّدُ "، أو مُضْمَرًا على مستوى الْعُمْقِ، فى مِثْلِ قولِهِ تعالى " يُوْسُفُ أَعْرِضْ عن هذا " [2] وأدواتُ النداءِ هى (الهمزة، وأى، ويا، ووا، وأيا، وهيا)، والنِّظَامُ اللُّغَوِيُّ يقتضى استعمالَ (الهمزة وأى) لنداءِ القريبِ، وبقيةِ الأدواتِ لنداءِ البعيدِ.

النِّدَاءُ فى ديوانِ الشَّرِيْفِ المُرْتَضَى :

والنِّداءُ من السِّماتِ التَّرْكِيْبِيَّةِ فى شِعْرِ المُرْتَضَى، إذْ قَدْ وَرَدَ فى ديوانِهِ فى أربعمائةٍ وأربعةِ (٤٠٤) مواضعَ، واسْتُعْمِلَتْ صيغتُهُ فى غيرِ معناهُ، حيثُ وَظَّفَهَا المُرْتَضَى تَوْظِيْفًا فَنِّيًّا أتاحَ له التعبيرَ عن المعنى الذى يريدُهُ مُتَجَاوِزًا به الدَّلالَةَ الوَضْعِيَّةَ إلى دَلالاتٍ بَدِيْلَةٍ.

1- الديوان : ٢/ ٢٧٠ (من الكامل).

2- محمد عبدالمطلب: البلاغة العربية ، قراءة أخرى- مرجع سابق - ص ٢٩٩/ ٣٠٠

وقد استخدمَ المُرْتَضَى فى نِدَاءَاتِهِ : الياءَ وأيَا والهمزةَ، وسيتمُ دراسةُ هذه النداءاتِ وما تُشِعُّه من دَلالاتٍ تَبَعًا لِنِسَبِ ورودِها فى الدِّيوانِ.

وهذا – أولًا – جدولٌ إحصائىٌّ لأعدادِ ورودِ هذه الأدواتِ فى الديوانِ، ويلى هذا الجدولَ عرضٌ وتفصيلٌ لهذه الأدواتِ وذلكَ على النحوِّ التالىِّ :-

م	نوع الأداة	العدد
١	الياء	٣٧٢
٢	أيا	٢٣
٣	الهمزة	٩
المجموع		٤٠٤

١ – " النِّدَاءُ " بـ " الياءِ " :

يقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فى رثاءِ الحسينِ ﷺ : (١)

يَا حُجَجَ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ ... وَمَنْ بِهِم أَبْصَرَ مَنْ أَبْصَرَا

أنتمْ على اللهِ نزولٌ وَإِنْ ... خَالَ أناسٌ أَنَّكُمْ فى الثَّرَىٰ

وقد وَرَدَ البيتانِ السابقانِ فى سياقِ حديثِ المُرْتَضَى لآلِ البيتِ بعد حديثِهِ لآلِ حربٍ، وَذَمِّهِمْ بسببِ انتزَاعِهِمْ الخلافةَ من العلويينَ، ومن ثَمَّ فَهُوَ فيهما يخاطبُ آلَ البيتِ مُعَظِّمًا، إِذْ هُمْ حُجَّةُ اللهِ على خَلْقِهِ ومن أَبْصَرَهُمْ فقد أبصرَ الحقَّ واليقينَ، ثم هُمْ لَمْ يُدْفَنُوا – على حدِّ زَعْمِ الشِّيْعَةِ – وَإِنَّمَا قد نَزَلُوا عند رَبِّ الْعَالَمِيْنَ.

وقد استخدمَ المُرْتَضَى لنداءِ آلِ البيتِ " يا " الموضوعةِ لنداءِ البعيدِ لينبئَ ببعدِ

1 – الديوان : ٢/ ٤٣ (من السريع).

مكانتِهم وسموِّ منزلتِهم، وذلكَ مما يشيرُ إلى أنهم أحقُّ بالخلافةِ مِنْ آلِ حربٍ.

ويقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ في رثاءِ جَدِّه الحسينِ ﷺ [1]

فَيَا حَاسِدِيْهِم فَضْلَهُمْ وَهْوَ بَاهِرٌ ... وكم حَسَدَ الأقوامُ فَضْلًا وَأَسْرَفُوا

دَعُوْا حَلَبَاتِ السَّبْقِ تمرحُ خَيْلُهَا ... وَتَغْدُوا على مضمارِها تَتَغَطْرَفُ

ولا تزحفوا زحفَ الكسيرِ إلى الْعُلاَ ... فلن تَلْحَقُوا وللضِّلالِ التَّزَحُّفُ

والمُرْتَضَى في الأبياتِ السابقةِ يتوجه بخطابِهِ الشعريِّ إلى أولئكَ الذينَ ينكرونَ فَضْلَ آلِ البيتِ، وَمِنْ ثَمَّ فقدْ استخدمَ لندائِهم أداةَ النداءِ " يا " الموضوعةِ لنداءِ البعيدِ ليشعرَ بأنَّ المنادى وضيعُ المنزلةِ مُنْحَطُّ المكَانَةِ، وليشيرَ إلى أنه بعيدٌ عن قلبهِ، إِذْ قَدْ أنزلَ البعدَ النفسيَّ منزلةَ البعدِ المكانيِّ.

وقد كشفَ النداءُ بـ "يا" أيضًا في هذا السياقِ عن توبيخِ المُرْتَضَى لمنكريْ فضلِ آلِ البيتِ، إِذْ إِنَّ فَضْلَهُم واضحٌ جَلِيٌّ، فالجملةُ الحاليةُ " وهو باهرٌ " تؤكدُ دَلاَلَتَيْ التَّوْبِيْخِ والتَّحْقِيْرِ يقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ في الفخرِ : [2]

يا ديارَ الأحبابِ لاْ أَبْصَرَتْكِ الـ ... عينُ مِنْ بَعْدِ أَنْ حَلَلْتِ رُسُومَا

والمقصودُ بالمركبِ الإضافيِّ " ديارَ الأحبابِ " – في هذا البيت – ديارُ الحسين ﷺ وآلِهِ، بِدَلِيْلِ ورودِهِ بهذا المعْنَى فِيْ مَطْلَعِ قَصِيْدَةٍ فِيْ رِثَاءِ الْحُسَيْنِ ﷺ ، إِذْ يَقُوْلُ [3]

يا ديارَ الأحبابَ كَيْفَ تَحَوَّلْـ ... ـتِ قِفَارًا وَلَمْ تكوني قِفَارا؟

وَمَحَتْ مِنْكِ حادثاتُ اللَّيَالي - ... رَغْمَ أَنْفِي – الشموسَ والأقمارا ؟

وَقَدْ كَشَفَ النداءُ بـ " يا " في قولِهِ " يا ديارَ الأحبابِ " في الأبياتِ السابقةِ عن تحسرِ المُرْتَضَى وتحزنِهِ، إِذْ هُوَ يَبْكِيْ ويتحسرُ على ديارِ آلِ البيتِ التي تحولتْ إلى

1- الديوان : ٢/ ٢٥٦ (من الطويل).

2- الديوان : ٣/ ٢٠٧ (من الخفيف).

3- الديوان : ٢/ ٥٣ (من الخفيف).

رسومٍ. كما أَوْحَى نداءُ الديارِ بشدةِ ألمِ المُرْتَضَى وعظيمِ حُزْنِهِ وكأنه لِفَرْطِ مَا هُوَ فيه من الوجدِ والأسى تَوَهَّمَ أَنَّ تِلْكَ الديارَ تَحِسُّ وتشعرُ فَنَادَاها لَعَلَّهَا تقاسِمُهُ الألَمَ.

وَمِنْ قصيدةٍ فى التشوقِ إلى الوزيرِ أبى سعدِ بنِ عبدالرحيمِ يقولُ : (1)

يَا صَاحِبيَّ عَلى الزمانِ تأَمَّلا　　مَا جَرَّهُ هَذا الزمانُ الأقبحُ

فى كُلِّ يومٍ لِىَ خليطٌ ينتئِى　　عنى ودارٌ بالمَسَرَّةِ تَنْزَحُ

والمُرْتَضَى فى البيتينِ يخاطبُ صاحبيه مُذَكِّرًا بحقيقةِ الزَّمَنِ الجائرِ الذى يُبْعِدُ عنه أحبابَهُ، وَيُذْهِبُ بِكُلِّ مَا يَسُرُّهُ.

فالنداءُ فى البيتِ الأولِ يُشْعِرُ بِغَفْلةِ الصاحبين عن حقيقةِ الزمنِ غَفْلَةً اقتضتْ تنبيهَهُمَا وإيقاظَهُمَا ؛ لَعَلَّهُمَا يواسيانِهِ ويشاركانِهِ أَحْزَانَهُ.

ويقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فى عزاءِ الوزيرِ أبى علىٍّ فى ابْنَةٍ لَهُ تُوُفِّيَتْ : (2)

يَا مَوْتُ كَمْ لكريمٍ فِيكَ مِنْ تِرَةٍ　　أَعْيَا بِهَا الرُّمحُ والصَّمْصَامةُ الخَذِمُ(3)

وَكَمْ ولجتَ - وما شاورتَ　　قصرًا على بابهِ الحراسُ والخَدَمُ

وكم عظيمِ أُناسٍ قد سَطَوْتَ بِهِ　　لَمْ يُغْنِ عَنْهُ فتيلا ذَلِكَ العِظَمُ

والنِّدَاءُ فى الأبياتِ السابقةِ يكشفُ عن مدى حزنِ المُرْتَضَى بسببِ وفاةِ ابنةِ الوزيرِ وتوجعهِ توجُّعًا أَذْهَلَهُ فصارَ ينادى مَالاَ يُنَادَى، إِذْ أَقْبَلَ على الموتِ يُنَادِيْ وينوحُ.

٢ - النِّدَاءُ بـ (أيا) :

يقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ يعاتبُ فيها الرئيسَ أبا الحسينِ البَتِّى على الإخلالِ بزيارتِه: (4)

1- الديوان ١/ ١٨٤ (من الكامل) .

2- الديوان : ٣/ ١٦٧ (من البسيط) .

3- التِّرَةُ :الثَّأْرُ ، والصَّمْصَامَةُ الخَذِمُ : السَّيْفُ القَاطِعُ.

4- الديوان ٢/ ٢٦٧ (من الوافر) .

أَيَـا مَـنْ بِعْتُـهُ وَصْـلِيْ جُزَافًـا فَقَـابَلَنِيْ بهجـرانٍ جُـزَافِ

وقد وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سياقِ معاتبةِ المُرْتَضَى الـرئيسَ البَتِّـى، ومـن ثَـمَّ فقـدْ تحركَ النداءُ بـ " أَيَا" إلى دَلالةِ العتابِ، إذْ قَدْ أَحَبَّ المُرْتَـضَى البَتِّـىَّ حُبًّـا جمًّـا، وكـانَ يتوقعُ منه أنْ يبادِلَهُ الحُبَّ، وَإذْ بِهِ يُفْرِطُ فِيْ صَدِّهِ، ويتمادى فى هَجْرِهِ.

٣- النِّدَاءُ بالهمزةِ:

يقولُ المرتضي من قصيدةٍ في رِثَاءِ عميدِ الجيوشِ أبى عَلِى هِرْمِز : (١)

أَأَبَـا عَـلِيٍّ دَعْـوَةً مَـرْدُوْدَةً هَيْهَـاتَ يُـسْمِعُكَ الأنـيسُ كَلاَمًـا

والنِّدَاءُ بالهمزةِ على المَيِّتِ أَبِىْ علِىٍّ فى هذا السياقِ يـشعر بِمَـدَى تَحَـسُّرِ المُرْتَـضَى وَتَحَزُّنِهِ وضيقِ صدرِهِ عن إطالة الكلام بسببِ وفاةِ صـاحبِهِ بـدليلِ حَذْفِـهِ للفعـلِ " أَدْعُو " من قَوْلِهِ " دَعْوَةً مَرْدُوْدَةً" إِذْ التقديرُ " أَدْعُوْ دعـوةً مـردودة" واستدراكِهِ بهـذِهِ الجملةِ المحذوفةِ الفعلِ، التى تقررُ عَدَمَ جَدْوَىْ مُنَادَاْتِهِ، وبمركبِ الخَاْلِفَةِ : " هيهاتَ يُسْمِعُكَ الأنيسُ كلامًا " الذىْ يعللُ ويؤكدُ ذَلِكَ، فأبو علِىٍّ لَنْ يـسمعَ مؤانـسةَ مَـنْ يُؤَاْنِسُه، فلماذا النداءُ إِذَنْ ؟ إنه التَّحَسُّرُ والتَّحَزُّنُ.

رابعًا: النَّهْى :

والنَّهْىُ هو أحدُ الأبنيةِ الطلبيةِ الذى تتمثلُ إنتاجيتُهُ فى " طلبِ كَفٍّ عن فعلٍ على جهةِ الاستعلاءِ"(٢)، وصيغتُهُ الوَضْعِيَّةُ "لا تفعلْ " بلا الجازمةِ.

وقد يتحركُ صيغةُ النَّهْىِّ فى مَوْضِعِهَا لِتَدُلَّ على مَعَانٍ بَدِيْلَةٍ يتطلَّبها السياقُ الذى تَرِدُ فيه النَّهْىُ فى ديوانِ الشريفِ المُرْتَضَى :

ولقد كانَ النَّهْىُ من أَهَمِّ السماتِ التركيبيةِ فى شعرِ المُرْتَضَى ؛ إذ قد وَرَدَ فى ديوانِهِ

1- الديوان : ٣/ ٢٠٤ (من الكامل) ..

2- بهاء الدين السبكى: عروس الأفراح ؛ ضمن شروح التلخيص - القاهرة - عيسى الحلبى - ١٩٣٧م - ج ٢ - ص ٣٢٦.

فى مائتينِ وأربعةٍ وثلاثينَ (٢٣٤) مَوْضِعًا فى سياقاتٍ مختلفةٍ دالًا على معانٍ بديلةٍ يقتضيها السياقُ.

يقول الْمُرْتَضَى مِنْ قَصِيْدَةٍ فِىْ يَوْمِ الْغَدِيْرِ: [1]

وَقِيْـلَ لَنَـا : للحـقِّ وقـتٌ معيـنٌ   يفـوزُ بِـهِ بِـاغٍ ويـنجحُ طالـبُ
فـلا تطلبـوا مَـا لَمْ يَحِـنْ بَعْـدُ حِيْنُـهُ   فطالـبُ مَـا لَمْ يقـضِهِ اللهُ خائـبُ

وقد وَرَدَ البيتانِ السابقانِ فى سياقِ حديثِ الْمُرْتَضَى إلى العلويينَ وهو يقصدُ بكلمةِ "الْحَقِّ" – فى هذا السياقِ – استعادةَ العلويينَ للخلافةِ التى اغْتُصِبَتْ منهم، وهى حَقُّهُمْ. وهذا بدليلِ قَوْلِهِ فى سياقِ حَدِيْثِهِ – أيضًا – إلى العلويينَ من قصيدةٍ فى رثاءِ جَدِّهِ الحسين ﷺ [2]

مَتَـى أَرَى حَقَّكُـمُ عَائِـدًا   إلـيكمْ فى الـسِّرِ والجهـرِ ؟

فالحقُّ الذى يتطلعُ العلويونَ ساعةَ استعادَتِهِ واستردَادِهِ هو الخلافةُ.

كما يَقْصِدُ بالمركبِ الاسميِّ الوَصْفِيِّ : "وقتٌ معينٌ" وقتَ ظهورِ المهدىِّ على حَدِّ زعمِ الشِّيْعَةِ.

وقد تحركتْ صِيْغَةُ النَّهْيِ " فلا تَطْلُبُوا " لِتَدُلَّ على التَّصْبِيْرِ، إذ الْمُرْتَضَى يخاطبُ فى البيتينِ العلويينَ مخبرًا بأنَّ الحقَّ / الخلافةَ لها وقتٌ معلومٌ، وهو وقتُ ظهورِ المهدىِّ؛ فعليهم – إِذَنْ – أَنْ يَصْبِرُوا إلى أَنْ يأتىَ هذا الوقتُ، وَيَقْضِيْ بِهِ اللهُ حَتَّىْ لا يَخِيْبُوا. فَالْجُمْلَةُ الاستئنافيةُ " فَطَالِبُ مَا لمْ يَقْضِهِ اللهُ خَائِبُ " بَيَانٌ لِعِلَّةِ هَذَا التَّصْبِيْرِ.

وَالتَّرْكِيْبُ " فَلا تَطْلُبُوا مَا لَمْ يَحِنْ بَعْـدُ حِيْنُـهُ " يُشِيْرُ إِلَى الإمامِ المهدىِّ، وَفِكْرَةِ الرَّجْعَةِ و ". تعنى الرَّجْعَةُ فى المذهبِ الشيعىِّ أَنَّ أئمةَ الشيعةِ ابتداءً بالإمامِ علىٍّ وانتهاءً بالحسنِ العسكرىِّ الذى هو الإمامُ الحادى عشر عند الشِّيعةِ الإماميةِ

---

1 – الديوان ١/ ٣٦ (من الطويل).

2 – الديوان : ٢/ ٩٥ (من السريع).

سيرجعونَ إلى هذه الدنيا ليحكموا المجتمعَ الذى أَرْسَى قواعدَه بالعدلِ والقسطِ الإمامُ المهدىُّ الذى يظهرُ قبل رجعةِ الأئمةِ ويملأُ الأرضَ قسْطًا وَعْدلًا ويمهدُ الطريقَ لرجعةِ أجدادِهِ وتسلمهم الحُكْمَ وَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ من الأئمةِ حَسَبِ التسلسلِ الموجودِ فى إمامتهم سيحكمُ الأرضَ رِدْحًا من الزمنِ ثُمَّ يُتَوَفَّى مَرَّةً أُخْرَى لِيَخْلُفَهُ ابنُه فى الحكمِ حتى ينتهىَ إلى الحسنِ العسكرىِّ وسيكون بعد ذلك يومُ القيامةِ، كلُّ هذا تعويضًا لهم عن حَقِّهِم الشَّرْعىِّ فى الخلافةِ والحكومةِ التى لم يستطيعوا مُمَارَسَتَها فى حَيَاتِهِم قَبْلَ الرَّجْعَةِ"(1).

وَهَذِهِ الإشارةُ تُؤَدِّى إِلَى نَشْرِ المذهبِ الشِّيْعِى بينَ أفرادِ الأُمَّةِ الإسلاميةِ لتوحيدِ صُفُوفِهِم، وتصبيرِهم حتى يظهَرَ المهدىُّ.

يقولُ المُرْتَضَى فى مطلعِ مقطوعةٍ فى الشَّيْبِ :(2)

صَدَّتْ أُسَيْمَاءُ عن شَيْبِى فقلتُ لَهَا : لا تَنْفِرِىْ فبياضُ الشَّيْبِ مَعْهُودُ

والمُرْتَضَى فى البيتِ السابقِ يخبرُ بأنَّ أسماءَ قد نَفَرَتْ منه بسببِ شَيْبِهِ، وأنَّهُ قد نَهَاهَا عن ذَلِكَ ؛ إِذْ إِنَّ بياضَ الشيبِ معروفٌ.

وقد كشفَ النَّهْىُ " لا تَنْفِرِى" عن تعجبِ المُرْتَضَى من صدودِ المحبوبةِ عنه، وجاءتْ الجملةُ الاستئنافيةُ : " فبياضُ الشيبِ معهودُ " ؛ لبيانَ عِلَّةِ هذا التعجبِ.

يقول المُرْتَضَى فى الحِكمة:(3)

لا تطلبْ الرِّزْقَ فى الدنيا بِمَنْقَصَةٍ فالرِّزْقُ بالذُّلِّ خيرٌ منه حرمانُ
المالُ يَمْضِى وَتَبْقَى بَعْدَهُ أَبَدًا عَلَى الفَتَى مِنْهُ أَوْسَاخٌ وَأَدْرَانُ
ما للفتى فى الغنى من ذِلةٍ عِوَضٌ وليسَ فى المالِ للأعراضِ أثمانُ

1- الشيعة والتصحيح : مرجع سابق - ص ١٤١ ، ١٤٢ .
2- الديوان : ١/ ٢٣٣ (من البسيط) .
3- الديوان: ٣/ ٢٨٩ (من البسيط) .

والمُرْتَضَى فى الأبياتِ السابقةِ ينصحُ - خلالَ النهىِ " لا تطلبْ " - مخاطبَهُ ويرشدُهُ إلى ألاَّ يَسْعىَ إلى رِزْقِهِ وهو ذليلٌ، إذْ الحرمانُ من الرزقِ خيرٌ منه بمذلةٍ ؛ لأنَّ المالَ يزولُ وتظلُّ أدرانُهُ بالمرءِ عالقةً، ولأنَّ المرءَ لَنْ يستعيضَ عن هذه المذَلَّةِ بالمالِ، كما أَنَّ المالَ لا يُعَوِّضُ المرءَ ما يخسرُهُ من عِرْضِهِ.

ويكشفُ النهيُّ فى هذا السياقِ - أيضًا - عن رغبةِ المُرْتَضَى وحرصِهِ الشديدِ على أَنْ يمتثلَ المخاطبُ ويستجيبَ لنصحِهِ وإرشادِهِ.

ويقول المُرْتَضَى من قصيدةٍ : (1)

لا تَخْدِشِى خَدًّا عَلَىَّ فَمَا رَدَّ الفتى أَنْ يُخْدَشَ الخَدُّ

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سياقِ حديثِ المُرْتَضَى إلى صاحبتِهِ هندٍ مؤكدًا لها أَنَّ الموتَ حَتْمٌ، ولا سبيلَ إلى مَنْعِهِ بجدٍ أو هزلٍ، وَمِنْ ثَمَّ فقد انحرفتْ صيغةُ النهيِّ " لا تَخْدِشِي " وتحركتْ فى موضِعها للدَّلالةِ على الحثِّ على التصبرِ.

فالمُرْتَضَى فى البيتِ يحثُّ صاحبته على التصبرِ والتجلدِ عند موته ؛ لأن البكاءَ لن يعيدَ المرءَ من قبرِهِ.

يقولُ المُرْتَضَى فى مطلعِ قصيدةٍ فى الافتخارِ : (2)

لا تسألِ المرءَ ما تَجْنِى عشيرتُهُ عَلَيْهِ ما بينَ ضَرَّاءٍ وَإِضْرَارِ
وربما كانَ من قومي - وما شَعَرُوا - ذَنْبٌ تضيقُ به ساحاتُ أَعْذَارِى
ما زالَ أهلُ الحجا والحلمِ كِلُّهُمُ مطالبينَ عن الأعمارِ بالثَّارِ

والمُرْتَضَى فى الأبياتِ السابقةِ يتحدثُ عن تهاونِ الشيعةِ فى الأخذِ بثأرِ الحسينِ ﷺ، وأَنَّ القصاصَ من قاتليه إنما هو فرضٌ على العقلاءِ مِنْهُمْ.

وَيُصَوِّرُ المُرْتَضَى - خلالَ النهيِّ " لا تسأل " - فَظَاعَةَ مَا جَنَتْه عشيرتُهُ وهولَهُ، إِذْ

---

1 - الديوان ١/ ٢٢٨ (من الكامل).

2 - الديوان : ٢/ ١٠١ ، ١٠٢ (من البسيط).

قَدْ تهاونتْ فى الأخذِ بثأرِ الحسينِ وآلِهِ، تهاونًا عَجَزَ المُرْتَضَى عن وَصْفِهِ لخروجِهِ عن مقتضى عَقْلِهِ.

كما يبرزُ النهيُّ - أيضًا - أَنَّ المُرْتَضَى برئٌ مِمَّا ارْتَكَبَهُ قَوْمُهُ.

ويقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فى رثاءِ جَدِّهِ الحسينِ ﷺ : [1]

قُلْ لِلأُلَى حادوا وقد ... ضَلُّوا الطريقَ عن الهداةِ

....

لا تأمنوا غَضَّ النَّوَا ... ظِرِ من قلوبٍ مُرْصِدَاتِ

إنَّ السيوفَ المُعْرَيَا ... تِ مِنَ السيوفِ المُغْمَداتِ

والنَّهْيُ فى البيتِ الثانى : " لا تأمنوا " يكشفُ عن التهديدِ والوعيدِ، إذ المُرْتَضَى فى الأبياتِ السابقةِ يتحدثُ - بطريقِ الكنايةِ - إلى العباسيينَ، مهددًا وَمُتَوَعِّدًا، ويطلبُ من كَلِّ فردٍ من أفرادِ الأمةِ أن يذهبَ إليهم، ويقولَ لهم : إياكم أن تطمئنوا إلى غَفْلَتِنا، فلسنا عنكم بغافلينَ، فالسيوفُ المشهورةُ فى وَجْهِ الأعداءِ كانت يومًا فى أغمادِها ؛ وذلكَ مما يثيرُ الشيعةَ ضِدَّ أعدائِهم.

يقولُ المُرْتَضَى فِىْ مَطْلَعِ مقطوعةٍ فِىْ النَّسِيْبِ :[2]

لا تَلُمْنِى فإننى فى هوى النَّفْـ ... ـسِ مُطِيْعٌ فى حُبِّ مَنْ لا يُحِبُّ

قَدْ جَرَتْ عَادَتِى بِأَنْ أَعْشَقَ البيـ ... ـضَ، وتبديلُ مَا تُعوِّدَ صَعْبُ

وقد تَحَرَّكَتْ صيغةُ النهيِّ : " لا تَلُمْنِى " فى البيتِ الأولِ من البيتينِ السابقينِ فى موضِعِها إلى دَلاَلَةِ التَّيْئِيسِ، إِذْ المُرْتَضَى فى البيتينِ يخاطبُ لائِمَهُ مُيَئِّسًا، فيخبرُهُ بأَنَّهُ لَنْ يقبلَ منه اللَّوْمَ، وَلَنْ يَلْتَفِتَ إليه ؛ لأنه لَنْ ينصرفَ عَنْ حُبِّهِ، وإِنْ كانَ المحبوبُ لا

1- الديوان : ١/ ١٤٧ (من مجزوء الكامل)

2- الديوان : ١/ ٢٨، ٢٩ (من الخفيف)

يحبُّهُ ؛ إذْ إنَّهُ قد اعتادَ أَنْ يعشقَ الحسناواتِ، وَمن الصعبِ أَنْ يُغَيِّرَ ما اعتادَ عليه. وفى هذا التَّيْئيسِ ما يجعلُ اللائمَ ينصرفُ عَنْ لَوْمِهِ.

يقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فى الفخرِ :[1]

فـلا تَكْسِفُوا أنوارَنَا بِظِلامِكُمْ ... وَلاْ تَعْدِلُوا أصقارَنا بالأباغِثِ [2]

وقد وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سياقِ افتخارِ المُرْتَضَى بقومِهِ العلويينَ على بنى عمه العباسيينَ، ومن ثَمَّ فقد رَمَزَ بالنورِ إلَى الحُكَّامِ الْعَلَوِيِّينَ وَطُهْرِهِمْ، وبالظلامِ إلى الحكامِ العباسيينَ وظلمِهم، بدليلِ قَوْلِهِ فى سياقِ حديثِهِ عن التَّقِيَّةِ وتطلعِهِ ساعةَ الخلاصِ، وذلكَ من قصيدةٍ فى الوزيرِ أبى سعد :[3]

وَإِنِّى رَاقِبٌ زَمَنًا وَشِيكًا ... يبينُ بِهِ الصباحُ مِنَ الظَّلامِ

إِذْ قَدْ رَمَزَ المُرْتَضَى فى هذا البيتِ بالصباحِ لحكمِ العلويينَ، وبالظلامِ لحكمِ العباسيينَ.

وقد كَشَفَ النَّهْىُ فى بيتِ الشاهدِ " لا تَكْسِفُوا - لا تعدِلُوا " عن دَلالةِ الإهانةِ والتحقيرِ للعباسيينَ الذينَ أَظْلَمُوا الأرضَ بِظُلْمِهِم.

خامسًا : التمنى :

والتمنى بنيةٌ طلبيةٌ تتمثلُ إنتاجيتُها فى طلبِ المستحيلِ أو البعيدِ الحصولِ، وله أداتُهُ التى بها يُحققُ هذا الأثرَ الدلالىَّ، وهذه الأداةُ هى " لَيْتَ "[4] كما أنه قد يُتَمَنَّى بـ (هل - لعل - لو).

وقد تتحركُ هذه البنيةُ فى موضعِها إلى دَلالاتٍ بَدِيلَةٍ وَفْقًا للسِّيَاقِ الذى وردت فيه.

التمنى فى ديوانِ الشَّرِيفِ المرتضى:

1- الديوان ١/ ١٥٧ (من الطويل).

2- الأباغث :جمع (الأبغث) وهو من طير الماء .

3- الديوان ٣/ ٢٤٩ (من الوافر) .

4- ينظر : الخطيب القزوينى : الإيضاح - مرجع سابق - ج ٢ - ص ٢٨ .

وقد وَرَدَ التمنى فى شعرِ المُرْتَضَى فى ثلاثةٍ وتسعينَ (٩٣) موضعًا، فى سياقات مختلفةٍ دَالًا على معانٍ بديلةٍ وَفقًا لهذه السياقاتِ. وقد شاركتْ الأدواتُ (لعلَ – هلْ – لَوْ) الأداةَ " لَيتَ " فى دَلالةِ التمنى. وقد سبقَ الحديثُ عن التمنى بـ "هل " فى الاستفهام أما " لو " فقد سبقَ الحديثُ عَنِ التَّمَنِّىْ بِهَا فى فَصْلِ التركيبِ الشَّرْطِيِّ.

وفيما يلى جدولٌ إحصائىٌ لأدواتِ التمنى فى الديوانِ وأعدادِ ورودِها فيه ثم يليه عرضٌ وتفصيلٌ.

م	الأداة المتمنى بها	العدد
١	ليت	٨٦
٢	لعل	٧
المجموع		٩٣

يقولُ فى مطلعِ قصيدةٍ كَتَبَهَا إِلَى الرَّئِيْسِ أَبِى الحسين الْبَتِىِّ جوابًا عن قصيدةٍ أَنْشَدَهَا إِيَّاهُ: (١)

لَعَلَّ زَمَانًا بالثُّوَيَّةِ رَاجِعُ   مَضَى وهو فى قلبى مَدَى الدهرِ رابِعُ

والمُرْتَضَى فى البيتِ السابقِ يتمنى أَنْ يعودَ الزمنُ المنقضى بالثُّوَيَّةِ، ولكنْ هيهاتَ أَنْ يعودَ.

وقد كانَ من مقتضى السياقِ أَنْ يتمنى المُرْتَضَى بـ "ليت" ؛ لأنَ عودةَ الزمنِ الماضى من الأمورِ المستحيلةِ، ولكنه انحرفَ عن ذلكَ، وآثرَ التمنى بـ " لَعَلَّ " التى تفيدُ التَّرَجِّىْ ؛ لِيُوْحِىَ بِتَمَكُّنِ هذا الزَّمنِ من شِغَافِ قَلْبِهِ تَمَكُّنًا جَعَلَهُ يتصورُ أَنَّ رُجُوْعَهُ أَمْرٌ ممكنٌ. والجملةُ الحاليةُ " وهو فى قلبى مدى الدهرِ رابعُ" تؤكدُ هذا الإيحاءَ

١- الديوان : ١٨١/٢ (من الطويل) .

وتشيرُ إليه، إذْ الزمنُ الماضي يسكنُ قَلْبَهُ، ويقيمُ بِهِ لا يَبْرَحُهُ.

ويقول المُرْتَضَى فى مطلعِ مقطوعةٍ فى النَّسِيْبِ :[1]

وَخُبِّرتُها يومَ التقينا بذى النَّقَا ... تعجَّبُ مِنْ وَجْدِى وما عرفتْ وَجْدَا
وَتَحْسَبُ أنِّى مُدَّعٍ عِنْدَها الْهَوَى ... وَتُعْرِضُ عن دمعٍ بها أترعَ الخُدَّا
فيا ليتنى لَمْ أكسَ منها صبابةً ... -كما هى ظَنَّتْ - لاْ وَلَمْ أعرفْ الجُهْدَا

والمُرْتَضَى فى الأبياتِ السابقةِ يخبرُ بأنَّه قد الْتَقَى ومحبوبتَهُ بِذِىْ النَّقَا، وَقَدْ تَعَجَّبَتْ من حُبِّهِ، وادَّعَتْ عَدَمَ صِدْقِهِ فيه، إذْ هِىَ لم تبادِلْهُ هذا الحبَّ، وَمِنْ ثَمَّ فهو قَدْ تمنى ألا يكونَ قَدْ وَقَعَ فى هَوَاها - كما ظَنَّتْ - وَعَرَفَ المشَقَّةَ والتَّعَبَ.

وقد أوحى التمنى بـ "لَيْتَ" فى هذا السياقِ بِشِدَّةِ تألُّمِ المُرْتَضَى بسبب هذا الحبِّ تألُّمًا جَعَلَهُ يتمنى أنْ لَمْ يكنْ قد أَحَبَّهَا، والجملةُ الاستئنافية المنفيةُ " ولم أعرفْ الجُهْدَا " تؤكدُ هذا المعنى.

يقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فى العِتَابِ :[2]

لَيْتَ قَلْبِىْ - وقَدْ صَبَا سَفًا مِنْـ ... ـهُ إلَىْ مَا دَعَوْهُ كَانَ حَرُونَا

وَقَدْ وَرَدَ هذا الْبَيْتُ فِىْ سِيَاقِ حَدِيْثِ الشَّاعِرِ عَنْ قَوْمٍ أَحَبَّهُمْ وَأَخْلَصَ فِىْ حُبِّهِم وَقَدْ أَسَاءُوا إِلَيْهِ، وَمِنْ ثَمَّ فقد تحركتْ صِيْغَةُ " لَيْتَ " إلى دَلاَلَةِ التَّرَجِّى ؛ لأنَّ الْبُعْدَ عَنْ أُولَئِكَ الْقَوْمِ مُتَحَقِّقٌ لا مَحَالَةَ، بدليلِ إِقْرَارِ الشَّاعِرِ - خِلاَلَ الاعْتِرَاضِ : " وَقَدْ صَبَا سفهًا مِنْهُ" - بِسَفَاهَةِ قَلْبِهِ الَّذِىْ قَدْ أَحَبَّهُمْ، وَذَلِكَ مِمَّا يُؤَدِّىْ إِلَىْ انْصِرَافِهِ عَنْهُمْ إِذْ تَذَكُّرُ قَبَائِحِ الْقَوْمِ يَدْعُو إِلَى النُّفُورِ مِنْهُمْ.

وَقَدْ كَشَفَ التَّمَنِّىْ بِـ " لَيْتَ " فِىْ هَـذَا السِّيَاقِ - وَخِلاَلَ المرَكَّبِ الْفِعْلِىِّ الإِسْنَادِىِّ المُعْتَرَضِ بِهِ - أيضًا - عن تحسُّرِ المُرْتَضَى وتحزُّنِهِ على الزمنِ المُنْقَضِى فى حُبِّ هؤلاءِ القومِ.

1- الديوان : ١/ ٢٥٢ (من الطويل).
2- الديوان ٣/ ٣١٤ (من الخفيف).

يقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فى رثاءِ بعضِ أَهْلِهِ :[1]

فَحُطَّا - صَاحِبَيَّ - بهم رحَالى ... قُبَيْلَ نُزُوْلِ أمرٍ تَرْقُبانِ
أُقِمْ فى ظِلِّهِم ما دمتُ حيًا ... ويُدركنى بِعَقْوَتِهِم أَوَانِى
لَعَلِّىْ أَنْ أَجَاوِرَهُمْ صريعًا ... فآخذَ مِنْ شَفَاعَتِهِم أَمَانِى
فَقَدْ قَضَّيتُ بالهفواتِ عُمْرى ... ونلتُ من الخطايا مَا كَفَانِىْ

والمُرْتَضَى فِىْ الأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ يَطْلُبُ إِلَىْ صَاحِبَيْهِ مُلْتَمِسًا - وَأَظُنُّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ نَفْسِهِ بِطَرِيْقِ التَّجْرِيْدِ - أَنْ يُنْزِلاه عِنْدَ دِيَارِ آلِ الْبَيْتِ لِيُقِيْمَ مَا دَامَ حَيًّا بَيْنَهُمْ، وَيُدْرِكَهُ المَوْتُ فِىْ دَارِهِم رَاجِيًا بِهَذَا أَنْ يُجَاوِرَهُمْ صَرِيْعًا فَيَنَالَ شَفَاعَتَهُم، إِذْ إِنَّه قَدْ قَضَى عُمْرَهُ بالهَفَواتِ وَنَالَ مَا كَفَاه مِنَ السَّيِّئَاتِ.

وقد عَبَّرَ المُرْتَضَى بـ "لَعَلَّ" عَنْ تمنيه ؛ لِيُفِيْدَ الرَّجَاءَ، وَيُشِيْرَ إِلَى أَنَّ أمرَ شفاعةِ آلِ البيتِ للمسلمينَ - عَلَىْ حَدِّ زَعْمِهِ - واقعٌ لاْ مَحَالَةَ وينبئ عَنْ رغبتِهِ الشديدةِ، وتشوقِهِ إلى مجاورةِ آلِ البيتِ والقربِ مِنْهم.

[1] - الديوان : ٣/ ٣٢٣ ، ٣٢٤ (من الوافر).

الفصل الثالث

التركيب الشرطي

التمهيد :

يتكونُ التَّرْكِيبُ الشَّرْطِيُّ من جملتينِ وأداةٍ : فأمّا الجملةُ الأولى فهي جملةُ الشَّرْطِ، وَأَمَّا الجملةُ الأُخْرَى فَهِيَ جُمْلَةُ الجوابِ، وأما الأداةُ فَتُسَمَّى أَدَاةَ شَرْطٍ، وَهِيَ الَّتِي تَرْبِطُ بَيْنَ الجُمْلَتَيْنِ وَتَجْعَلُهُمَا كالجملَةِ الْوَاحِدَةِ، نَحْوُ المبْتَدَإِ وَالخَبَرِ. فَكَمَا أَنَّ المبْتَدَأَ لا يَسْتَقِلُّ إلا بِذِكْرِ الخَبَرِ، كَذَلِكَ جُمْلَةُ الشَّرْطِ لا تَسْتَقِلُّ إلا بِذِكْرِ جُمْلَةِ الجوَابِ.

فجملةُ جوابِ الشَّرْطِ مُرْتَبِطَةٌ بجملةِ الشَّرْطِ ارتباطًا بنيويًا "نَحْوِيًّا" وارتباطًا وظيفيًا "دَلاليًا"، والارتباطُ البنيويُّ يأتي من أداةِ الشرطِ الرابطةِ، والارتباطُ الوظيفيُّ يأتي من أنَّ تحققَ الشرطِ مرهونٌ بتحققِ الجوابِ [1]؛ إِذِ الشَّرْطُ "كلُّ حُكْمٍ مَعْلُومٍ يَتَعَلَّقُ بأمرٍ يَقَعُ بوقوعِهِ، وذلكَ الأمرُ كالعَلامةِ لَهُ." [2]

وَقَدْ تَنَبَّهَ ابْنُ السَّرَّاجِ إِلَى أَنَّ الشَّرْطَ لابُدَّ لَهُ مِنْ جَوَابٍ لِيَتِمَّ الكلامُ بِهِ، فَقَالَ : " **قَوْلُكَ إِنْ تَأْتِنِي آتِكَ، وَإِنْ تَقُمْ أَقُمْ. فَقَوْلُكَ إِنْ تَأْتِنِي شَرْطٌ وآتِكَ جَوَابُهُ، وَلابُدَّ للشَّرْطِ مِنْ جَوَابٍ وإلا لَمْ يَتِمَّ الكلامُ، وَهُوَ نَظِيرُ المبتدإِ الَّذِي لابُدَّ لَهُ مِنْ خَبَرٍ.** " [3]

1- ينظر : مازن الوعر : جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب ، في ضوء نظرية النحو العالمي لتشكومسكي - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة - الطبعة الأولى- ١٩٩٩م - ص ١٥ .

2- الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن - تحقيق :محمد أحمد خلف الله -مكتبة القاهرة- القاهرة -١٩٧٠م -ص٣٧٩ .

3- ابن السراج -:الأصول في النحو -تحقيق :عبد الحسين الفتلي -مطبعة النعمان -النجف -١٩٧٣م -٢/ ١٦٤ .

وَيُؤَكِّدُ عبدُ القاهرِ الجُرْجَانِيُّ أَنَّ أداةَ الشَّرْطِ هِيَ الَّتِي تقومُ بالرَّبْطِ بَيْنَ جُمْلَتَي الشَّرْطِ والجَزَاءِ، إِذْ يقولُ إِنَّ " الشَّرْطَ والجَزَاءَ جُمْلَتَانِ، وَلَكِنَّا نقولُ إِنَّ حُكْمَهُمَا حُكْمُ جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ حَيْثُ دَخَلَ فِي الكلامِ مَعْنًى يَرْبِطُ إِحْدَاهُمَا بالأُخْرَى حَتَّى صَارَتْ الجملةُ لِذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الاسمِ المفْرَدِ في امتناعِ أَنْ تَحْصُلَ الفائدةُ. فَلَوْ قُلْتَ "إِنْ تَأْتِنِي "وَسَكَتَّ، لَمْ تُفِدْ كَمَا لاتُفِيدُ إِذَا قُلْتَ: زَيْدٌ " وَسَكَتَّ، فَلَمْ تَذْكُرْ اسْمًا آخَرَ ولا فِعْلًا، وَلا كانَ مَنْوِيًّا فِي النَّفْسِ مَعْلُومًا مِنْ دَلِيْلِ الحالِ. "[1]

هَذَا، وَلَمْ يُعْطِ النُّحَاةُ الْقُدَمَاءُ التَّرْكِيبَ الشَّرْطِيَّ حَقَّهُ مِنَ الاهْتِمَامِ، إِذْ لَمْ يُدْرَسْ فِي بَابٍ مُسْتَقِلٍّ بِرَأْسِهِ مُتَنَوِّعِ الأَنْمَاطِ مُخْتَلِفِ الدَّلالاتِ[2]، وَهَذَا أَمْرٌ لا غَرَابَةَ فِيْهِ فَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ طَبِيْعَةُ التَّأْلِيفِ فِي تِلْكَ المرْحَلَةِ المبَكِّرَةِ.

أَمَّا البَلاغِيُّوْنَ فَقَدْ اهْتَمُّوا بِـ (إِنْ، وَإِذَا، وَلَوْ) مِنْ أَدَوَاتِ الشَّرْطِ ؛ وَذَلِكَ لِمَا يَكْمُنُ وَرَاءَ هَذِهِ الأَدَوَاتِ مِنْ مَعَانٍ وَدَلالاتٍ.

فَعَبْدُ الْقَاهِرِ الجُرْجَانِيُّ قَدْ أَدْخَلَ الحُرُوْفَ - وَمِنْ بَيْنِهَا (إِنْ، وَإِذَا) الشَّرْطِيَّتَانِ - فِي النَّظْمِ، وَجَعَلَهَا جُزْءًا مِنْهُ، وَأَكَّدَ أَنَّ مَعْرِفَتَهَا وَمَعْرِفَةَ مَا يَشْتَرِكُ فِيْهِ بَعْضُهَا مِنَ المعَانِي، وَمَا يَخْتَلِفُ فِيهِ مِنَ الأُمُوْرِ الَّتِي يَجِبُ النَّظَرُ إِلَيْهَا فِي حُسْنِ النَّظْمِ وَبلاغَتِهِ فَيَجِبُ عَلَى النَّاظِرِ أَنْ "يَنْظُرَ فِي الحُرُوْفِ الَّتِي تَشْتَرِكُ فِي مَعْنًى، ثُمَّ يَنْفَرِدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِخُصُوْصِيَّةٍ فِي ذَلِكَ المعْنَى، فَيَضَعَ كُلًّا مِنْ ذَلِكَ فِي خَاصِّ مَعْنَاهُ، نَحْوُ أَنْ يَجِيْءَ بِـ " مَا " فِي نَفْيِّ الحَالِ، وَبِـ "لا" إِذَا أَرَادَ نَفْيَّ الاسْتِقْبَالِ، وَبِـ " إِنْ " فِيمَا يَتَرَجَّحُ بَيْنَ أَنْ

---

1 - عبد القاهر الجرجاني :أسرار البلاغة - قرأه وعلق عليه :محمود محمد شاكر - الناشر : مطبعة المدني - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩١م - ص٢٢٠ .

2 - ينظر : محمود فهمي حجازي : مدخل إلى علم اللغة - الناشر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٩٨م - ص ١١٥ -١١٦

يَكُوْنَ وَأَنْ لا يَكُوْنَ، وَبِـ " إِذَا " فِيمَا عُلِمَ أَنَّهُ كَائِنٌ "[1].

وَقَدْ تَابَعَ الْبَلاغِيُّوْنَ عَبْدَ القَاهِرِ فَبَيَّنُوْا أَنَّ (إِذَا، وَإِنْ) "لِلشَّرْطِ فِي الاسْتِقْبَالِ لَكِنَّهُمَا يَفْتَرِقَانِ فِيْ شَيْءٍ، وَهُوَ أَنَّ الأَصْلَ فِيْ (إِنْ) أَلا يَكُوْنَ الشَّرْطُ بِهَا مَقْطُوْعًا بِوُقُوْعِهِ، كَمَا تَقُوْلُ لِصَاحِبِكَ : (إِنْ تُكْرِمْنِيْ أُكْرِمْكَ) وَأَنْتَ لا تَقْطَعُ بِأَنَّهُ يُكْرِمُكَ. وَالأَصْلُ فِيْ (إِذَا) أَنْ يَكُوْنَ الشَّرْطُ فِيْهَا مَقْطُوْعًا بِوُقُوْعِهِ، كَمَا تَقُوْلُ (إِذَا زَالَتْ الشَّمْسُ آتِيْكَ) "[2]، كَمَا أَدْرَكُوْا دِقَّةَ التَّعْبِيْرِ بِهَاتَيْنِ الأَدَاتَيْنِ فَفَصَّلُوْا القَوْلَ فِيْهِمَا، وَأَشَارُوْا إِلَىْ مَا يَقَعُ فِيْهِ بَعْضُ الخَاصَّةِ مِنَ الْخَطَإِ لِجَهْلِهِ بِمَوَاقِعِهِمَا[3].

وَمِنْ هُنَا تَأْتِيْ أَهَمِّيَّةُ أَدَوَاتِ الشَّرْطِ فِيْ الْكَشْفِ عَنِ الدَّلالَةِ ؛ إِذْ كُلُّ أَدَاةٍ مِنْهَا قَدْ وُضِعَتْ لِلدَّلالَةِ عَلَىْ مَعْنًى بَعَيْنِهِ، كَكَوْنِ (إِنْ، وَإِذَا) لِلشَّرْطِ - كَمَا ذَكَرْتُ قَبْلُ - مَعَ الشَّكِّ فِي الأُوْلَى وَالْجَزْمِ فِي الثَّانِيَةِ، وَكَكَوْنِ (لَوْ) لِلشَّرْطِ فِي المَاضِي، وَكَكَوْنِ (مَهْمَا، وَمَتَىْ) لِعُمُوْمِ الزَّمَانِ، وَ(أَيْنَ) لِعُمُوْمِ المَكَانِ، و (مَنْ) لِعُمُوْمِ مَنْ يَعْقِلُ، (مَا) لِعُمُوْمِ غَيْرِ الْعَاقِلِ، . . . ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي النِّظَامِ النَّحْوِيِّ.

عَلَىْ أَنَّ الشَّاعِرَ قَدْ يَنْحَرِفُ بِهَذِهِ الأَدَوَاتِ عَنْ دَلالَتِهَا الْوَضْعِيَّةِ إِلَىْ دَلالاتٍ بَدِيْلَةٍ أَوْ يَسْتَخْدِمُ مِنْهَا أَدَاةً فِيْ سِيَاقٍ لُغَوِيٍّ يَقْتَضِي اسْتِخْدَامَ غَيْرِهَا ؛ وَذَلِكَ لِسِرٍّ دَلالِيٍّ ؛ وَلِذَا كَانَ التَّرْكِيْبُ الشَّرْطِيُّ مَبْحَثًا مِنْ مَبَاحِثِ عِلمِ الأُسْلُوْبِ.

التَّرْكِيْبُ الشَّرْطِيُّ فِيْ ديوانِ الشَّرِيْفِ الْمُرْتَضَى :

وَقَدْ وَرَدَ التَّرْكِيْبُ الشَّرْطِيُّ فِيْ شِعْرِ الْمُرْتَضَى في سِتَّةٍ وثمانينَ وسبعمائةٍ وألفِ (١٧٨٦) موضعٍ، وجاءَ مُصَدَّرًا بأدواتِ الشَّرْطِ :(إِنْ – إِذَا – لَوْ – لَمَّا – لَوْلا – مَتَى – كُلَّمَا – مَنْ).

1- دلائل الإعجاز : - مرجع سابق - ص ٨٢ .

2- الإيضاح لتلخيص المفتاح - مرجع سابق - ج ١ ص ١٤١ .

3- ينظر : المرجع نفسه - ج - ص ١٤٢ - ١٤٣ .

ومن الجديرِ بالإشارةِ أنني قد اسْتَبْعَدْتُ من عمليةِ الإحصاءِ والدِّرَاسةِ التركيبَ الشَّرْطِيَّ المُصَدَّرَ بالأدواتِ " أَيْنَمَا – مَهْمَا – أَيْ " ؛ لِقِلَّةِ ورودِهَا فى الدِّيوانِ، إذْ قَدْ وردتْ " أينما " مرةً واحدةً فقط، كما وردتْ " مَهْمَا " مَرَّتَيْنِ، و "أَيْ " ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، كَمَا اسْتَبْعَدْتُ التَّرْكِيْبَ الشَّرْطِيَّ المحْذُوْفَ الجواب جَوَازًا ؛ لأَنَّهُ سَيُدْرَسُ فِي الْفَصْلِ الْخَاصِّ بِالْحَذْفِ، والاعْتِرَاضَ بالشَّرْطِ، وَذَلِكَ لِدِرَاسَتِهِ فِىْ فَصْلِ الاعْتِرَاضِ.

وَسَأَتَنَاوَلُ – فِيْمَا يَلِيْ مِنْ صَفَحَاتٍ – التَّرْكِيْبَ الشَّرْطِيَّ فى شِعْرِ الشَّرِيفِ الْمُرْتَضَى كاشِفًا عن دَلالتِهِ فى إطارِ سِيَاقِهِ الذى وَرَدَ فِيْهِ.

وهذا – أَوَّلًا – جَدْوَلٌ إِحْصَائِىٌّ بأنواعِ أَدَوَاتِ الشَّرْطِ، وأعدادِ وُرُوْدِهَا فى الدِّيوانِ.

	أداة الشرط	العدد
	إن	٥٩١
	إذا	٥٧٥
	لو	٢٥٧
	لما	١٨٣
	لولا	٨٦
	متى	٤٤
	كلما	٣٠
	من	٢٠
		١٧٨٦

١ – التركيبُ الشَّرْطِىُّ المصَدَّرُ بالأَدَاةِ " إِنْ " :

يقولُ فى مَطْلَعِ مقطوعةٍ فى الْغَزَلِ : [1]

---

1 – الديوان ١/ ١٥١ (من الخفيف).

أَنْكَـرَتْ لَيْلَـةَ اعْتَنَقْنَـا حُسَامِىْ   وهـو مُلْقـىً بينـى وبـينَ الفتـاةِ
إنْ يَكُـنْ عائقًـا يـسيرًا عـن الـضَّمْـ   م فـما زالَ وَاقِيًـا مِـنْ عُـدَاتِىْ

والمُرْتَضَى فى البيتِ الأولِ يتحدثُ عَنْ فَتَاتِهِ مُتَعَجِّبًا، إِذْ هِىَ قَدْ أَنْكَرَتْ سَيْفَهُ مُضْطَجِعًا بَيْنَها وَبَيْنَهُ، ثُمَّ هُوَ فى البيتِ الثانى يتحدثُ إِلَيْهَا ذاكرًا عِلَّةَ احتفاظِهِ بالسَّيْفِ بَيْنَهُمَا، وَهِىَ أَنَّ السَّيْفَ حَامٍ لَهُ من الأعداءِ.

وَوُجُوْدُ السَّيْفِ بَيْنَ المرْتَضَى وَفَتَاتِهِ عَائِقٌ - لا شَكَّ - عَنِ الضَّمِّ، كَمَا أَنَّهُ - لا مَحَالَةَ- سَيَقِيْهِ مِنَ الأَعْدَاءِ ؛ وَلِذَا كَانَ النِّظَامُ النَّحْوِىُّ يَقْتَضِى أَنْ يَسْتَخْدِمَ المرْتَضَى فى الْبَيْتِ الثَّانِى أَدَاةَ الشَّرْطِ " إِذَا " وَلكِنَّهُ انْحَرَفَ وَاسْتَخْدَمَ الأَدَاةَ " إِنْ " ؛ لِيُشِيْرَ إِلَى أَنَّ عَمَلِيَّةَ الإِعَاقَةِ هَذِهِ غَيْرُ مُحَقَّقَةِ الْوُقُوْعِ، إِذْ نَادِرًا مَا تَحْدُثُ، وَلِذَا فَقَدْ نَعَتَهَا بِكَلِمَةِ " يَسِيْرًا "، فَقَالَ : " عَائِقًا يَسِيْرًا"، فَلا دَاعِىَ إِذَنْ لِفَتَاتِهِ / الْخِلافَةِ أَنْ تَسْتَنْكِرَ السَّيْفَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ، كَمَا انْحَرَفَ المرْتَضَى وَجَاءَ فِى جُمْلَةِ الجواب بِلَفْظِ الماضِى، فَقَالَ : " فَمَا زَالَ وَاقِيًا مِنْ عُدَاتِهِ " وَكَانَ النِّظَامُ النَّحْوِىُّ يَقْتَضِىء أَنْ يَقُوْلَ : " فَمَا يَزَالُ وَاقِيًا مِنْ عُدَاتِهِ"، وَمَا ذَلِكَ إِلا لِرَغْبَتِهِ وَشِدَّةِ حِرْصِهِ فِى أَنْ تَقَعَ هَذِهِ الْحِمَايَةُ وَتَتَحَقَّقَ.

فالشَّرْطُ فى البيتِ الثانى يؤكدُ أَنَّ وجودَ السيف بينَ المُرْتَضَى وفتاتِهِ / الخلافةِ يحميه من أَعْدَائِهِ.

يقولُ من قصيدة فى رثاءِ الحسينِ وَمَنْ قُتِلَ مَعَهُ : (1)

فَـإِنْ أَغِـبْ عَـنْ نَـصْرِكُمْ بُرْهَـةً   بِمُرْهَفَـاتٍ لَمْ أَغِـبْ بِـالْفَمِ

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سياقِ حديثِ المُرْتَضَى إلى آلِ البيتِ، وَإِخْبَارِهِمْ أَنَّهُ لَمْ يُنَاصِرْهُمْ بالسَّيْفِ بَلْ باللِّسَانِ. وَهَذَا أَمْرٌ وَاقِعٌ مِنَ المرْتَضَى لا شَكَّ فِيْهِ، وَحَقِيْقَةٌ ثَابِتَةٌ مُقَرَّرَةٌ ؛ وَلِذَا اقْتَضَى النِّظَامُ النَّحْوِىُّ مِنْهُ أَنْ يَقُوْلَ " إِذَا غِبْتُ " وَلَكِنَّهُ انْحَرَفَ، وَقَالَ "

---

1 - الديوان ٣/ ٢٦٧ (من السريع).

إِنْ أَغِبْ " ؛ وَذَلِكَ لِيُشِيرَ إِلَى أَنَّ غِيَابَهُ عَنْ مُنَاصَرَةِ آلِ الْبَيْتِ بالسَّيْفِ أَمْرٌ نَادِرٌ وُقُوعُهُ، لَنْ يَسْتَمِرَّ طَوِيلًا، وَهُوَ مَا يُؤَكِّدُهُ اعْتِرَاضُهُ بِظَرْفِ الزَّمَانِ " بُرْهَةً ".

فالشَّرْطُ بِـ " إِنْ " يُعَلِّقُ عَدَمَ غِيَابِهِ عَنْ مُنَاصَرَتِهِمْ بالْفَمِ عَلَى غِيَابِهِ عَنْ مُنَاصَرَتِهِمْ بالسَّيْفِ، أَيْ إِنَّ المرْتَضَى لَمْ يَنْقَطِعْ عَنْ مُنَاصَرَتِهِمْ شِعْرًا ؛ لأَنَّهُ مَمْنُوعٌ مِنْ مُنَاصَرَتِهِمْ سَيْفًا وَهَذَا مَا يَشِيْ بِأَنَّهُ جَدِيْرٌ بأمرِ الخلافةِ التى لَنْ تبتعدَ عنهم طويلًا، فَنَصْرُ آلِ البيتِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ بالسَّيْفِ – لا شَكَّ – جِدُّ قَرِيْبٍ.

يقولُ مِنْ قصيدةٍ فى الافتخارِ بآبائِهِ " رضى الله عنهم "، وذكرِ مَنَاقِبِهِمْ : [1]

وَإِنِّــى إِنْ فَخَـــرْتُ عَــلَى الْبَرَايَــا ... فَخَـــرْتُ بِمَـــنْ يَبُـــذُّ الفَاخِرِيْنَــا
بآبَـــاءٍ وَأَجْـــدَادٍ كِـــرَامٍ ... كَـمَا كَـانُوا عَـلَى كُـلِّ البَنِيْنَــا

والمُرْتَضَى فى البيتينِ السابقينِ يؤكدُ أَنَّهُ يفتخرُ على الناسِ قاطبةً بآبائِـهِ وأجـدادِهِ الكرامِ الذينَ أَوْرَثُوا فخرًا لِكُلِّ أَبْنَائِهِمْ يفوقُ فَخْرَ الفاخرينَ.

وَقَدْ كَانَ النِّظَامُ النَّحْوِيُّ يَقْتَضِيْ مِنَ المرْتَضَى أَنْ يَقُولَ : "وَإِنِى إِذَا فَخَرْتُ. . . فَخَرْتُ " باسْتِخْدَامِ أَدَاةِ الشَّرْطِ " إِذَا " ؛ لأَنَّ افْتِخَارَهُ عَلَى النَّاسِ بِآبَائِـهِ وَأَجْـدَادِهِ أَمْرٌ ثَابِتٌ مُقَرَّرٌ، وَلَكِنَّهُ انْحَرَفَ عَنْ هَذَا النِّظَامِ وَاسْتَخْدَمَ الأَدَاةَ " إِنْ " ؛ لِيُشِيرَ إِلَى تَوَاضُعِهِ وَأَنَّهُ نَادِرٌ مَا يَفْتَخِرُ عَلَى الخَلْقِ، كَمَا انْحَرَفَ المرْتَضَى عَنِ الْفِعْلِ المضَارِعِ إِلَى المَاضِى بَعْدَ أَدَاةِ الشَّرْطِ " إِنْ " ؛ لِيُشِيرَ إِلَى اعْتِزَازِهِ بِآبَائِـهِ وَأَجْـدَادِهِ، وَرَغْبَتِـهِ الشَّدِيْدَةِ فِى الافْتِخَارِ بِهِمْ وَذَلِكَ مِمَّا يُوحِيْ بِأَنَّهُ وَآلَهُ أَحَقُّ بالخلافةِ مِنْ غَيْرِهِمْ.

ويقولُ من مقطوعةٍ فى الغَزَلِ : [2]

فَــإِنْ كُنْــتُمْ تَغْـضُوْنَ أَمْـرِىْ تجنيًــا ... فَأَغْـضَى لأمْــرِى مــنكم أبَـــدًا قَلْبِـــىْ

وَقَدْ كَانَ النِّظَامُ النَّحْويُّ يَقْتَضِيْ مِنَ المرْتَضَىْ أَنْ يَسْتَخْدِمَ أَدَاةَ الشَّرْطِ " إِذَا " فَيَقُولَ

1- الديوان ٣/ ٣٠٦ (من الوافر).

2- الديوان ١/ ١١٧ (من الطويل).

: "وَإِذَا كُنْتُمْ تَعْصَوْنَ أَمْرِىْ تَجَنِّيًا" ؛ لأَنَّ عِصْيَانَ أَحْبَابِ المرْتَضَى لأَمْرِهِ فِى الحُبِّ أَمْرٌ – لا رَيْبَ – وَاقِعٌ، وَلَكِنَّهُ انْحَرَفَ عَنْ هَذَا النِّظَامِ، وَاسْتَخْدَمَ الأَدَاةَ "إِنْ" لِقَصْدِ تَوْبِيْخِهِمْ وَلِلإِشَارَةِ إِلَيأَنَّ صُدُوْدَهُمْ عَنْهُ لا يَنْبَغِىْ أَنْ يَكُوْنَ إِلا عَلَىْ سَبِيْلِ الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيْرِ كَمَا يُفْرَضُ وَيُقَدَّرُ المحَالُ، وَذَلِكَ لِوُجُوْدِ الأَدِلَّةِ الْقَاطِعَةِ عَلَىْ أَحَقِّيَّتِهِ بِحُبِّهِمْ. وَقَدْ أَكَّدَ المرْتَضَى هَذِهِ الدَّلالَةَ بِالمفْعُوْلِ لأَجْلِهِ "تَجَنِّيَا" الَّذِىْ يُبَيِّنُ سَبَبَ انْصِرَافِ أَحْبَابِهِ عَنْهُ، وَهُوَ لِتَجَنِّيْهِمْ وَظُلمِهِمْ.

كَمَا أَكَّدَ المُرْتَضَى فِى البيتِ السَّابِقِ – خلالَ أسلوبِ الشرطِ –المفَارَقَةَ بَيْنَ عِصْيَانِ أَحْبَابِهِ لأمرِهِ فِى الحُبِّ، وعصيانِ قلبِهِ لأمرِهِ فِى البعدِ، إِذْ عَقْلُ المُرْتَضَى يخاطبُ قَلْبَهُ آمرًا إِيَّاه بالابتعادِ عَنْ أولئكَ الذينَ يَعْصَوْنَ أَمْرَ هَوَاهُ، فلا يَسْتَجِيْبُ الْقَلْبُ لأَمْرِهِ.

" ومثلُ هذا الصراعِ بينَ العقلِ والقلبِ فى الحبِّ هو نتيجةٌ طبيعيةٌ لمجتمعِ الحضارةِ الذى ينمو فيه الذهنُ والعقلُ على حسابِ العواطفِ وتطغى فيه ضروراتُ الإنتاجِ وتدبيرُ الشئونِ العمليةِ"[1] وهذا مما يشيرُ إلى أهميةِ العملِ، وأنَّ الحُبَّ وَحْدَه لا يكفي لاستعادةِ الحبيبِ / الخلافةِ ، ويثيرُ عاطفةَ حُبِّ العملِ والجهادِ لدى العلويينَ والشيعةِ بوجهٍ عامٍّ، مما يؤدى إلى استجابةِ الحبيبِ لهم، واستعادتِهم لحقِّهم.

ويقولُ فى مطلعِ قصيدةٍ فى الطَّيْفِ :[2]

يَا قَاتِلِىْ إِنْ كُنْتَ تَرْ ضَى مِنْ وِدَادِىْ بالمُحَالِ
فلسوفَ أقنعُ من لقا ئِكَ لِىْ بِطَيْفٍ مِنْ خَيَالِ

وَقَدْ كَانَ النِّظَامُ النَّحْوِيُّ يَقْتَضِىْ مِنَ المرْتَضَى أَنْ يَسْتَخْدِمَ أَدَاةَ الشَّرْطِ "إِذَا"، فَيَقُوْلَ : "إِذَا كُنْتَ تَرْضَى" وَلَكِنَّهُ انْحَرَفَ وَاسْتَخْدَمَ الأَدَاةَ "إِنْ" ؛ وَذَلِكَ لاسْتِعْتَابِ المحْبُوْبِ وَاسْتِرْضَائِهِ وَإِظْهَارِ حُبِّهِ لَهُ، وَلِيُشِيْرَ إِلَىْ أَنَّ طَلَبَ المحْبُوْبِ ابْتِعَادَهُ عَنْهُ لا يَجِبُ أَنْ يَكُوْنَ إِلا عَلَىْ سَبِيْلِ الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيْرِ.

1– منيب عبدالرازق : الغزل فى شعر الشريف المرتضى – مرجع سابق _ ص ٩٨ .

2– الديوان ٣/ ١٣٦ (من مجزوء الكامل) .

فالمُرْتَضَى فى البيتينِ السابقينِ يخاطبُ محبُوبَهُ مُؤَكِّدًا – خلالَ أسلوبِ الشَّرْطِ – الترابطَ والتلازمَ بينَ رغبةِ المحبوبِ فى عدمِ وصالِهِ واقتناعِ المُرْتَضَى بطيفٍ من خَيَالِهِ، وهذا مِمَّا يَدُلُّ على صدقِ المُرْتَضَى فى حُبِّهِ إِذْ هُوَ قَدْ أطاعَ المحبوبَ / الخلافةَ فى هَجْرِها، واكْتَفَى منها بِطَيْفِها

ويقولُ من قصيدةٍ فى رثاءِ جَدِّهِ الحسينِ ﷺ[1]

وَإِنْ نِلْتُمُوهَا دَوْلَةً عَجْرَفِيَّةً ... فقد نالَ مَا قَدْ نَالَ كِسْرَى وَقَيْصرُ[2]

والبيتُ السابقُ يَأْتِى فى سياقِ حديثِ المُرْتَضَى إلى بنى حربٍ وتهديدِهم بأنَّ دمَ أبناءِ فاطمةَ لَنْ يذهبَ هَدَرًا ؛ وَلِذَا فَقَدْ انْحَرَفَ عَنِ النِّظَامِ النَّحْوِيِّ، وَاسْتَخْدَمَ أَدَاةَ الشَّرْطِ " إِنْ " وَكَانَ السِّيَاقُ يَقْتَضِىْ أَنْ يَسْتَخْدِمَ " إِذَا "، إِذِ اسْتِيْلاءُ بَنِى حَرْبٍ عَلَى الْخِلافَةِ قَدْ تَحَقَّقَ فِعْلًا ؛ وَذَلِكَ لِيُشِيْرَ إِلَى اسْتِعْجَالِهِ زَوَالَ مُلْكِ بَنِى حَرْبٍ وَرَغْبَتِهِ فِى التَّخَلُّصِ مِنْهُ، وَلِيُوْحِىَ بِأَنَّ هَذَا الْمُلْكَ لَنْ يَدُوْمَ لَهُمْ.

فأسلوبُ الشَّرطِ يؤكدُ الارتباطَ والتَّلازمَ بينَ امتلاكِ بنى حربٍ للدَّوْلَةِ الإسلاميةِ وَقِيَامِهِم بأمورِها، وامتلاكِ كِسْرَى وقيصرَ للبلادِ وتصرفِهِما فيها.

وهذا التأكيدُ يشيرُ إِلَى تهديدِ المُرْتَضَى لبنى حربٍ، إِذْ قَدْ مَلَكُوا البلادَ كما مَلَكَ كِسْرَى وقيصرُ من قَبْلِهِم وستنتهى دَوْلَتُهُم كما انتهتْ دولةُ كسرى وقيصرَ، وتلكَ عُقْبَى الظُّلمِ والاستبدادِ.

ويقولُ فى مطلعِ قصيدةٍ فى مدحِ جلالِ الدَّوْلَةِ :[3]

يا طائرَ الأيكِ غَرِّدْ لِى على الفَنَنِ ... وَدَاوِ مَا بِىْ مِنْ هَمٍ ومن حَزَنِ

وفى الفؤادِ شُجُونٌ غيرُ زائلةٍ ... إِنْ كانَ قَلْبُكَ خِلْوًا غيرَ ذِىْ شَجَنِ

1- الديوان ٢/ ٢٩ (من الطويل) .

2- المقصود بقوله : " دولة عَجْرَفِيَّة " : دولة قَوِيَّة مُتَجَبِّرَة.

3- الديوان ٣/ ٣٣٣ (من البسيط).

مـــالى أراكَ بِـــلا شَـــوْقٍ وَلاْ كَلَـــفٍ ... وَلاْ حَبِيْـــبٍ تُرَجِّيْـــهِ وَلاْ سَـــكَنِ
إِنْ كُنْـتَ تُنْـصَف مُمَّـنْ أَنْـتَ تَعْـشَقُه ... فــإِنَّنى عاشِـــقٌ مَـــنْ لَـــيْسَ يُنْـصِفُنِيْ

والمُرْتَضَى فى الأبياتِ السابقةِ يتحدثُ إلى طائرِ الأَيْكِ مقارنًا بينَ الطائرِ وَبَيْنَهُ، فالطائرُ قَلْبُهُ خَالٍ من الشَّجَنِ، إِذْ هُوَ لا يعشقُ أَوْ يَعْشَقُ مَنْ يَعْشَقُهُ أما فؤادُ المُرْتَضَى فمليءٌ بالأَشْجَانِ ؛ لأنه يعشقُ مَنْ لَيْسَ يعشقُهُ، . . . ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ جاءَ الشَّرْطُ فى البيتِ الأخيرِ ليؤكدَ المفارقةَ – وليسَ التلازمَ والارتباطَ كما هو معروفُ عن أسلوبِ الشَّرْطِ – بينَ عِشْقِ المُرْتَضَى لِمَنْ لَيْسَ ينصفُهُ وعشقِ الطائرِ لمن ينصفُهُ. وتأكيدُ المُفَارَقَةِ – فى هذا السياقِ–وسيلةٌ لبيانِ تَفَرُّدِ المُرْتَضَى بِعَنَائِهِ وَعِشْقِهِ لمن لا يعشقُهُ (الخلافةِ)، وهذا مِمَّا يؤكدُ شَجَنَهُ وَحُزْنَهُ.

ويقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فى رثاءِ أحدِ رؤساءِ العربِ:[1]

وَخَلَّفَنِـــى بانتحـــابٍ عَلَيْـــهِ ... يَقُـــضُّ عَـــلَى أَضْـــلُعِيْ مَرْقَـــدِى
فَـــإِنْ عـــادَ مَـــضْجَعِيَ العائـــدونَ ... خَفِيْـــتُ نُحُـــولًا عَـــلَىْ الْعُـــوَّدِ

والمُرْتَضَى فى البيتينِ يصورُ مَبْلَغَ حُزْنِهِ على الفقيدِ، وكيفَ أَنَّهُ – من كثرةِ بكائِهِ – قَدْ حُرِمَ النَّوْمَ، وَمَرِضَ وَهَزُلَ جِسْمُهُ ؛ وَلِذَا فَقَدْ انْحَرَفَ المُرْتَضَى عَنِ النِّظَامِ النَّحْوِيِّ، وَجَاءَ بِلَفْظِ الماضِى مَعَ أَدَاةِ الشَّرْطِ " إِنْ " فَقَالَ : " فَإِنْ عَادَ مَضْجَعِيَ الْعَائِدُوْنَ خَفِيْتُ. . . " وَكانَ السِّيَاقُ يَقْتَضِيْ أَنْ يَأْتِىَ بِلَفْظِ المضَارِعِ، وَلَكِنَّهُ انْحَرَفَ ؛ لإِظْهَارِ أَنَّ زِيَارَةَ الْعَائِدِيْنَ لَهُ وَنُحُولَ جِسْمِهُ أَمْرَانِ وَاقِعَانِ لا مُحَالَةَ. وهذا مِمَّا يُؤَكِّدُ شِدَّةَ نُحُوْلِهِ وَيُوْحِيْ بِمَدَى حُزْنِهِ عَلَى الْفَقِيْدِ.

يقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فى رثاءِ جَدِّهِ الحسينِ ﷺ :[2]

فَـــإِنْ يكُـــنْ ذَنْـــبٌ فَقُوْلُـــوا لِمَـــنْ ... شَـــفَّعَكُمْ فى العفـــوِ أَنْ يَغْفِـــرَا

---

1 – الديوان ١/ ٢٩٦ ، ٢٩٧ (من المتقارب) .

2 – الديوان ٢/ ٤٣ (من السريع) .

والبيتُ السَّابقُ يَأْتِيْ في سياقِ حديثِ المُرْتَضَى إلى آلِ البيتِ وذكرِ مَنَاقِبِهِمْ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فِيهِ قَدْ رَبَطَ – خلالَ الشرطِ – بينَ طلبِهِ منهم الشفاعةَ التى اخْتَصَّهُمْ بها اللهُ واقترافِ الذُّنُوبِ، وهذا مما يؤكدُ شفاعَتَهُمْ للمذنبِ الْعَاصِيْ ؛ إِذْ كَيْفَ يَطْلُبُ منهم المذنبُ أن يَشْفَعُوا لَهُ وَهُمْ لَيْسُوا أهلًا للشفاعةِ.

وَإِذَنْ، فَقَدْ كَشَفَ التركيبُ الشَّرْطِيُّ عَن اعتقادِ الشِّيْعَةِ الإماميةِ في شفاعةِ آلِ البيتِ للمذنبينَ، وهو اعتقادٌ يجعلُ آلَ البيتِ أَحَقَّ مِنْ غَيْرِهِم بالخلافةِ.

٢- التركيبُ الشَّرْطِيُّ المصَدَّرُ بالأداةِ "إِذَا" :

يقولُ المُرْتَضَى في رثاءِ جَدِّهِ الحسينِ ﷺ :[1]

قَدْ سَمِعْتُمْ ما قالَ فينا رسولُ اللـ ـــهِ يتلُوهُ مرةً ومِرَارَا
وهو الجاهلُ الذينَ تَرَاخَوْا عَنْ هَوَانَا مِنْ قَوْمِهِ كُفَّارَا
وَإِذَا مَا عَصَيْتُمْ في ذَوِيْهِ حالَ منكم إقرارُكُمْ إِنْكَارَا

والأبياتُ السابقةُ تأتى في سياقِ حديثِ المُرْتَضَى إلى الأمويينَ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ في البيتِ الأولِ منها يؤكدُ لهم – على سبيلِ الاحتقارِ – أنهم قَدْ سَمِعُوا قَوْلَ الرسولِ الكريمِ محمدٍ ﷺ بأحقيةِ آلِ البيتِ من أبناءِ فاطمةَ الزهراءِ بالخلافةِ. وهو بِهَذَا يشيرُ إلى قولِ –الرَّسُوْلِ ﷺ "مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ "[2] إِذْ تَعْتَقِدُ الشِّيْعَةُ أَنَّ الرسولَ بِهَذَا القولِ قَدْ عَقَدَ الْبَيْعَةَ لِعَلِيٍّ ﷺ[3] ثُمَّ هُوَ فِيْ البيتِ الثانى يؤكدُ أَنَّ الرَّسُوْلَ ﷺ قَدْ عَدَّ مَنْ أَنْكَرَ هذا الحَقَّ لآلِ البيتِ كَافِرًا ؛ لأَنَّ أهلَ الإمامةِ – عندَ الشيعةِ – هُمْ أئمتُهُمْ الاثنا عَشَرَ، وَقَدْ وَرَدَ عَنْ شَيْخِهِمْ أَبِيْ عبدِاللهِ أَنَّهُ قَالَ : " مَنْ ادَّعَىْ الإِمَامَةَ

1- الديوان ٢/ ٥٥، ٥٦ (من الخفيف) .

2- أحمد بن حنبل : المسند – تحقيق أحمد شاكر – دار المعارف – القاهرة (د . ت) ٤/ ٣٦٨ .

3- ينظر : الشيعة والتصحيح ، ص ٩ ، ١٠ .

وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا فَهُوَ كَافِرٌ "[1] كما وَرَدَ عن شيخِهم المفيدِ – أيضًا – قولُهُ : " اتفقتْ الإماميةُ على أَنَّ من أنكرَ إمامةَ أحدٍ من الأئمةِ وَجَحَدَ ما أوجبَهُ اللهُ تعالى لَهُ من فرضِ الطاعةِ فهو كافرٌ مستحقٌ للخلودِ فى النَّارِ "[2] وأما فى البيتِ الثالثِ فإنَّ المُرْتَضَى قَدْ رَبَطَ – خلالَ التركيبِ الشرطيِّ – بينَ عصيانِ الأمويينَ لكلامِ الرسولِ الكريمِ فى أبنائِهِ وإنكارِهِم لهذا الكلامِ، وَهَذَا مِمَّا يُشِيْرُ – على حَدِّ زَعْمِ الشِّيْعَةِ – إِلَىْ أنهم كفارٌ مُسْتَحِقُّونَ للخلودِ فى النَّارِ.

ويقولُ فى رثاءِ جَدِّه الحسينِ ﷺ :[3]

وَإِذَا مَا شَفَعْتُمُ مِنْ ذُنُوبِ الْـ ... خَلْقِ طُرًّا كَانَتْ هَبَاءً مُطَارا

والبيتُ السابقُ يأتى فى سياقِ مديحِ المُرْتَضَى لآلِ البيتِ وإخبارِهم – على سبيلِ الافتخارِ – بأَنَّهُمْ خيرُ مَنْ سَكَنُوا الأرضَ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فى البيتِ يؤكدُ التلازمَ والارتباطَ بينَ شفاعةِ آلِ البيتِ لذنوبِ النَّاسِ جميعًا وغُفْرَانِ هذه الذنوبِ.

وقد آثرَ المُرْتَضَى التعبيرَ بأداةِ الشرطِ " إذا " – التى هى ظرفٌ لما يُسْتَقْبَلُ من الزمانِ والَّتِيْ تُسْتَعْمَلُ فِى الشَّرْطِ المَقْطُوْعِ بِوُقُوْعِهِ، المجْزُوْمِ بِتَحَقُّقِهِ – ؛ ليشيرَ إلى أَنَّ هذه الشَّفَاعةَ سَوْفَ تَكُوْنُ – لا مَحَالَةَ – يومَ القيامةِ، أَيْ إِنَّ ذنوبَ الناسِ جميعًا لَنْ تُغْفَرَ يومَ القيامةِ إلا بشفاعةِ آلِ البيتِ لهم، وَذَلِكَ عَلَى حَدِّ زَعْمِ الشِّيْعَةِ.

يقولُ من قصيدةٍ فى رثاءِ جَدِّهِ الحسينِ ﷺ :[4]

وَأُمِرْنَا بالصَّبْرِ كَيْ يَأْتِيَ الأمـ ... ـرُ وما كُلُّنَا يطيقُ اصْطِبَارَا

1- الكُلَيْنِي : الكافى – مرجع سابق – ١/ ٣٧٢ .

2- محمد باقر المجلسي : بحار الأنوار – نشر دار الكتب الإسلامية – طهران – طبعة ١٣٨٧هـ – ٨/ ٣٦٦ .

3- الديوان : ٢/ ٥٧ (من الخفيف).

4- الديوان ٢/ ٥٩ (من الخفيف) .

وَإِذَا لَمْ نَكُنْ صَبَرْنَا اخْتِيَارًا عَنْ مُرَادٍ فَقَدْ صَبَرْنَا اضْطِرَارَا

والبيتانِ السابقانِ يأتيانِ فى سياقِ حديثِ المُرْتَضَى إلى آلِ البيتِ وإخبارِهم بأنه لا يرضى فى نصرِهم الأشعارَ فَحَسْبُ، وَأَنَّهُ ينتظرُ زمنًا يستطيعُ فيه أَنْ يُنَاصِرَهُمْ بالطَّعْنِ والضَّرْبِ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فى البيتينِ يخبرُ آلَ البيتِ بأنهم مأمورونَ بالصَّبْرِ حتى يأتىَ أَمْرُ المناصرةِ بالسَّيْفِ، وَأَنَّ صَبْرَهُمْ لَمْ يَكُنْ باختيارِهِمْ وإنما كانَ رَغْمًا عَنْهُمْ إِذْ قَدْ صَبَرُوا تقيةً لأولى الحكمِ.

فالتركيبُ الشرطيُّ فى البيتِ الثانى يؤكدُ أَنَّ صبرَ آلِ البيتِ على مَاهُمْ فيه من ذُلٍّ وهوانٍ وَبُعْدٍ عن الخلافةِ كان اضطرارًا منهم، وهذا مما يوحى بشدةِ أَلَمِ المُرْتَضَى وتضجرِهِ مِمَّا هُمْ فيه، والجملةُ الاعتراضيةُ "وما كُلُّنَا يطيقُ اصطبارَ" تؤكدُ هذا الإيحاءَ وتشيرُ إِلَيْهِ.

يقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فى الفخرِ بِنَفْسِهِ :[1]

إِذَا لَمْ يَكُنْ بالسيفِ سَعْيُكَ لِلْعُلاَ فَلاَ دَانَ مَطْلُوبٌ وَ لاَ ثَارَ طَالِبُ

والمُرْتَضَى فى البيتِ السَّابقِ يؤكدُ – خلالَ التركيبِ الشَّرْطِى – الارتباطَ والتلازمَ بينَ عدمِ السَّعْىِّ لِلْعُلا بالسيفِ وعدمِ خضوعِ المَطْلُوبِ وفشلِ الثَّائِرِ، أَىْ إِنَّ السَّعْىَ لِلْعُلاَ لا يكونُ إلا بالسَّيْفِ.

وَإِذَنْ، فالتركيبُ الشَّرْطِىُّ يكشفُ عن رُؤْيَةِ المُرْتَضَى لِعَصْرِهِ، وأَنَّهُ عَصْرُ القُوَّةِ، إِذْ إِنَّ المرءَ لا يستطيعُ أَنْ يُحَقِّقَ مَجْدًا أو يبلغَ مُرْتَقىً إلا بقوَّةِ السَّيْفِ.

ويبدو لى أَنَّ المطلوبَ فى قَوْلِهِ : " فَلا دَانَ مَطْلُوبٌ " هُوَ الخلافةُ، وأَنَّ الطالبَ فى قَوْلِهِ: " ولا ثَارَ طَالِبُ " هو طالبُ الخلافةِ. أَىْ إِنَّ المُرْتَضَى يشترطُ لنجاحِ ثورةِ العلويينَ، وطلبِهِم لحقِّهِم فى الخلافةِ القُوَّةَ، وذلك مِمَّا يَدْفعُهُم إلى الاتحادِ لكى يفوزوا بِمَطْلُوبِهِمْ.

1- الديوان : ١/ ٥٢ (من الط.١٠).

ويقولُ مِنْ قصيدةٍ كَتَبها إلى الوزيرِ أبى سعدٍ بنِ عبدِ الرحيمِ : [1]

وَإِذَا عَنَّ اتِّقَاءٌ عَيَّ بِالقولِ الفَصيحُ

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سياقِ حديثِ المرتضى عن مَبْدَإِ التَّقِيَّةِ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فيه يربطُ – خلالَ التركيبِ الشَّرْطِيِّ – بينَ التَّقِيَّةِ وعدمِ القدرةِ على الإفصاحِ، أَىْ إِنَّ الفصيحَ لا يعجزُ عن الكلامِ إلا فى موطنِ الاتِّقاءِ.

وَإِذنْ، فالتركيبُ الشَّرْطِيُّ يَكْشِفُ عَنْ أَنَّ مَبْدَأَ التَّقِيَّةِ عند الشِّيعَةِ هو الذى يَجْعَلُهُم لا يُطَالِبُونَ بِحَقِّ العلويينَ فى الخلافةِ ؛ إِذْ لاَتَ حِيْنَ مُطَالَبَةٍ.

ويقولُ مِنْ قصيدةٍ فى مديحِ الملكِ السعيدِ، وَتَهْنِئَتِهِ بالنيروزِ : [2]

والْغَانِيَاتُ لِذِىْ الشبابِ حَبَائِبٌ وَإِذَا المشيبُ دَنَا فَهُنَّ أَعَادِ

والمرتضى فى البيتِ السَّابقِ يُخْبِرُ بِأَنَّ الغانياتِ يَطْلُبْنَ فى الرِّجَالِ الشبابَ والقوةَ وَيَكْرَهْنَ مِنْهُم الشيخوخةَ والضعفَ وهو – خلالَ التركيبِ الشَّرْطىِّ – يؤكدُ الارتباطَ والتلازمَ بينَ دُنُوِّ المشيبِ واقترابِهِ من المرءِ وَتَحَوُّلِ الغانياتِ من حبائبَ إلى أعادٍ، أَىْ إِنَّ الغانياتِ لا يتحولْنَ إلى أعادٍ إلا إذا شابَ المرءُ.

فالغانياتُ رمزٌ للخلافةِ التى تَطْلُبُ القُوَّةَ والشَّبَابَ ؛ لأنها لَنْ تُسْتَرَدَّ من مُغْتَصِبِيْها إلا بِقُوَّةِ الشَّبَابِ وَحَدِّ السيفِ.

والمرتضى إِذْ يؤكدُ على هذا المعنى يثيرُ حماسَ العلويينَ والشِّيْعَةِ بوجهٍ عامٍّ إلى الاتّحادِ، ونبذِ التَّفَرُّقِ حتى يصبحوا قوَّةً ويتمكنوا من اسْتِردادِ حَقِّهِمْ المَسْلُوبِ.

ويقولُ المرتضى من قصيدةٍ فِىْ رِثَاءِ الْحُسَيْنِ ﵁ : [3]

إِنَّ يومَ الطفوفِ رَنَّحنِىْ حُزْ نًا عَلَيْكُمْ وَمَا شَرِبْتُ عُقَارَا

1- الديوان : ١/ ١٨٣ (من مجزوء الرمل)

2- الديوان ١/ ٢٦١ (من الكامل) .

3- الديوان ٢/ ٥٤ (من الخفيف) .

وإذا مـا ذكـرتُ منـه الـذى مـا كنـتُ أنـساهُ ضُـيِّقَ الأقطَـارَا
وَرَمَـى بِـىْ عـلى الهمـومِ وَألْقَـى حَيَـدًا عَـنْ تَنَعُّمِـي وازْوِرَارَا[1]

وقد وردتْ الأبياتُ السابقةُ فى سياقِ حديثِ المرتضى إلى آلِ البيتِ، ومن ثَمَّ فَهُوَ فيها يخبرُ بأنَّ يومَ الطفوفِ قَدْ أسْكَرَهُ حزنًا، إذْ هُوَ لَمْ يَشْرَبْ خَمْرًا، وأنَّهُ عندما يتذكرُ مَا حَدَثَ لآلِ البيتِ فى ذلكَ اليومِ تَضِيقُ به الأقطارُ، وتأتيه الهُمُوْمُ، وَيَبْتَعِدُ عَنْهُ السُّرُوْرُ.

فالمرتضى – خلالَ التركيبِ الشرطىِّ فى البيتينِ الثانى والثالثِ – يؤكدُ الارتباطَ والتلازمَ بينَ تَذَكُّرِهِ لِمَا حَدَثَ لآلِ البيتِ يومَ الطَّفِّ وضيقِ الأقطارِ بِهِ واجتماعِ الهمومِ عليه، وابتعادِ السرورِ عنه. أىْ إنَّ كُلَّ هذا لَمْ يَحْدُثْ لَهُ إلاَّ بتذكرِهِ لما حَدَثَ لآلِ البيتِ.

ويقولُ المرتضى من قصيدةٍ فى عَزَاءِ الوزيرِ أبى عَلىٍّ فى ابْنَةٍ لَهُ تُوُفِّيَتْ :[2]

أينَ الـذينَ عَـلَىٰ هَـذِىْ الثَّرَى وَطِئُـوا وحُكِّمُـوا فى لَذِيْـذِ العـيشِ فـاحتكَمُوا
وَمُلِّكُوا الأرضَ من سَهْلٍ وَمِنْ جَبَـلٍ وَخُوِّلُـوا نِعَـمًا مَـا مِثْلَهَـا نِعَـمُ
حَتَّـى إذَا بَلَـغَ الميقـاتُ غَايَتَـهُ لَمْ يَـسْلَمُوا ولـشىءٍ طَالَمَـا سَـلِمُوا

والمُرْتَضَى فى الأبياتِ السابقةِ يستفهمُ نافيًا بقاءَ الملوكِ ذَوِىْ السلطانِ الذينَ مَلَكُوْا الأرضَ وَتَمَتَّعُوا بأحسنِ مَا فِيْهَا، إذْ هُمْ قَدْ رَحَلُوْا عن الدنيا حينَ جَاءَ أَجَلُهُمْ.

فالتركيبُ الشرطىُّ فى البيتِ الثالثِ يؤكدُ الارتباطَ والتلازمَ بينَ بلوغِ أولئكَ الملوكِ الأجلَ وعدمِ نجاتِهِم من الموتِ الذى طالما سَلِمُوا منه، أىْ إنَّ مَوْتَهُمْ لَمْ يتحققْ إلا ببلوغِ أجلِهِمْ، وفى هذا التأكيدِ تصبيرٌ للوزيرِ وتسليةٌ له عَنْ مُصِيْبَتِهِ فى فقيدتِهِ التى لَمْ تَمُتْ إلا ببلوغِ أَجَلِهَا، بدليلِ قَوْلِهِ بَعْدَ هذه الأبياتِ :[3]

فاصبرْ فصبرُكَ موصولٌ بموهبةٍ تبقى وكلُّ الذى أُعْطِيْتَ مُنْصَرِمُ

---

1 – الحَيَد : البُعْد . والازْوِرَار : المَيْلُ والانحِراف.

2 – الديوان ٣/ ١٦٧ (من البسيط) .

3 – الديوان ٣/ ١٦٨ .

كما يَكْشِفُ التَّرْكِيبُ الشَّرْطِيُّ عن ثَقَافَةِ المرتضى الإسلاميةِ وَتَأَثُّرِهِ بالقرآنِ الكريمِ فى قَوْلِهِ تعالى[1] "لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ" يقولُ المرتضى فى مطلعِ قصيدةٍ فى الافتخارِ، وَذَمِّ الأعداءِ : [2]

إِذَا سَارَتْ بنا خُوْصُ الرِّكَابِ ... وَرُحْنَا بالهَوَادِجِ والقِبَابِ
دَعِيْ مالا يَرُدُّ عَلَيْكِ شيئًا ... وَقُومِي فانظرى مِنِّى إِيَابِى
فإنْ فُجِعَتْ يمينُكِ بى ارتحالًا ... فَقَدْ فُجِعَتْ يمينى بالشَّبَابِ
فما يُجْدِى زفيرى إِذْ تَوَالى ... ولا يُغْنِى بُكَائِى وانْتِحَابِى

والمرتضى فى الأبياتِ السابقةِ يتحدثُ عن محبوبتِه / الخلافةِ، وأنها حزينةٌ بسببِ رَحِيْلِهِ عنها كما أنه حزينٌ بسببِ رحيلِ شبابِهِ عنه. وفرقٌ بينَ الحزنينِ بعيدٌ، إِذْ هِىَ حزينةٌ على رحيلِهِ ؛ وسوفَ يعودُ إليها ؛ فلا مبررَ - إِذَنْ - لحزنِها، أما هو فحزينٌ على رحيلِ شبابِهِ عنه، وهيهاتَ أَنْ يعودَ إِلَيْهِ، فلا جَدْوَى - إِذَنْ - من حزنِه.

وهو فى البيتينِ الأولِ والثانى يؤكدُ الارتباطَ والتلازمَ بينَ رَحِيْلِهِ عن محبوبتِه وَتَرْكِهَا البكاءَ والتفجعَ وانتظارِهَا عَوْدَتَهُ، وهذا مِمَّا يَحُثُّ المحبوبةَ على الصبرِ على فراقِهِ، وَيَدْعُوْهَا إلى انتظارِ عَوْدَتِهِ.

أما فى البيتِ الثالثِ فهو يؤكدُ - خلالَ التركيبِ الشَّرْطِيِّ - المفارقةَ بينَ حُزْنِها وحزنِهِ، فهى حزينةٌ على رحيلِهِ وسوفَ يعودُ إليها أما هو فحزينٌ - كما قلتُ قبلًا - على رحيلِ شبابِهِ - الذى لَنْ يعودَ - إليه ؛ ولذا فَلَنْ يُغْنِيَ بُكَاؤُه على الشبابِ شيئًا. وهذا مما يدلُّ على شدةِ حزنِ المرتضى لرحيلِ شَبَابِهِ.

فَهُوَ - إِذَنْ - يبكى الشبابَ أَحَرَّ البكاءِ " ولا يبكى الشبابَ إلا شعراءُ عَاشُوا صِرَاعَ العصرِ بِكُلِّ أَبْعَادِهِ، ولا يبكى فُتُوَّةَ الشبابِ . . إلا أولو العزمِ والقُوَّةِ الذينَ

1- سورة الرعد : آية ٣٨ .

2- الديوان ١/ ١٠٠ (من الوافر).

نَهلُوا من تيارِ الحياةِ وَعَلَوْ. . . "[1]

٣- التركيبُ الشَّرطِيُّ المصَدَّرُ بالأداةِ " لَوْ ":

يقولُ المرتضى من قصيدةٍ فى رثاءِ جَدِّهِ الحسينِ (ﷺ) : [2]

لَوْ كَانَ يُنْصِفُكُمْ مَنْ لَيْسَ يُنْصِفُكُمْ ... أَلْقَى إِلَيْكُم مطيعًا بالمقاليدِ

والبيتُ السابقُ يأتى فى سياقِ حديثِ المرتضى إلى آلِ البيتِ مشيرًا إلى قتلِهم وتشريدهم وضياعِ حَقِّهم فى الخلافةِ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فى البيتِ يربطُ – عن طريقِ الأداةِ لو – تحققَ حصولِ العلويينَ على مقاليدِ الأمورِ – أَىْ عَلَى الْحُكْمِ والخلافةِ – بإنصافِ الأمويينَ لَهُمْ وَمِنْ بَعْدِهِمْ العباسيينَ. وهؤلاءِ وأولئكَ – لاَ شَكَّ – لَيْسُوا مُنْصِفِيْنَ ؛ وَلِذَا فَقَدْ ضَاعَتِ الخلافةُ، وَشُرِّدَ القومُ.

وَلَوْ " حرفٌ لِمَا كانَ سيقعُ لوقوعِ غَيْرِهِ "[3]، واستخدامُ المرتضى له فى هذا السياقِ يوحى بمدى معاناتِه وعظيمِ إحساسِهِ بالأسفِ والحسرةِ لضياعِ الخلافةِ بِسببِ عَدَمِ إنصافِ أولئكَ القومِ.

ويقولُ مِنْ قصيدةٍ فى الافتخارِ : [4]

فَلَوَ انَّ حَاتِمَ طَيِّءٍ وَقَبِيْلَهُ ... وَفَدُوْا عَلَيَّ تَعَلَّمُوْا مِنْ جُوْدِى

وقد وردَ البيتُ السابقُ فى سياقِ افتخارِ المرتضى بنفسِهِ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فيه يؤكدُ جُوْدَهُ وَكَرَمَهُ إِذْ الشرطُ " فَلَوَ انَّ حاتمَ طَيِّءٍ وقبيلَهُ وفدوا عَلَيَّ تَعَلَّمُوا من جُوْدِى " يصورُ أنه بلغَ الغايةَ فى الكرمِ، فحاتمٌ الطائىُّ – الذى يُضْرَبُ بِهِ المثلُ فى الكرمِ

1- سعد دعبيس : تيارات معاصرة فى الشعر الجاهلى – دار الثقافة – الزمالك – القاهرة – طبعة ١٩٨٠ م – ص٨.

2- الديوان : ١/ ٢٩٢ (من البسيط) .

3- ابن عقيل : ٤/ ٧٤ .

4- الديوان ١/ ٢٨٢ (من الكامل).

والجودِ – مُقَصِّرٌ فى جُودِهِ مُقِلٌّ فى كَرَمِهِ إِذَا قُورِنَ بِهِ، وأنه وقومَهُ لو مَرُّوا عَلَيْهِ لَتَعَلَّمُوا مِنْهُ طرائقَ الجودِ وأفانينَ الكرمِ ويقولُ فى رِثَاءِ أبى الحسينِ المعروفِ بابنِ الحاجبِ : [1]

وَلَوْ كُنْتُ مَوْعُوظًا بِشَيْءٍ عَرَفْتُهُ ... يُقَلِّلُ حِرْصِيْ لا تَّعَظْتُ بِعَادِ

والبيتُ السابقُ يأتى فى سياقِ العَزَاءِ، وَمِنْ ثَمَّ فهو فيه يؤكدُ – خلالَ الشَّرْطِ – أنه بالدُّنْيَا قَدْ انْشَغَلَ، وَلَمْ يَتَّعِظْ بِمَنْ رَحَلَ، وأنه لو كانَ مُتَّخِذًا واعظًا يقللُ حِرْصَهُ وَيَنْفِى طَمَعَهُ لكانَ الواعظُ هو قومُ عادٍ وقد أُهْلِكُوا.

فالشَّرْطُ يَكْشِفُ عَنْ نَدَمِ المرْتَضَى وَأَسَفِهِ، إِذْ قَدْ انصرفَ فيما مَضَى إلى الدنيا وكانَ حَقُّه أَنْ ينصرفَ عَنْهَا ؛ لأنَّ المرءَ حتمًا – إلى فناءٍ صائرٌ، وعن الدنيا راحلٌ، فَعَلَيْهِ – إِذَنْ – أَنْ يَتَّعِظَ وَيَتَصَبَّرَ وألا يحزنَ على ما فاتَ أو على مَنْ قَدْ ماتَ

كما يكشفُ الشَّرْطُ عن تأثرِ المرتضى بالقرآنِ الكريمِ وقصصِهِ فى قولِهِ تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾[2]

ويقولُ من مقطوعةٍ فى النَّسِيْبِ :[3]

وَقَطَّعَتِ الأَسْبَابَ بَيْنِيْ وَبَيْنَهَا ... وَلَوْ كُنْتُ خِلْوًا مِنْ هَوَاهَا قَطَعْتُهَا

وَالمرْتَضَى فِى المقْطُوْعَةِ يَتَحَدَّثُ عَنِ انْصِرَافِ المحْبُوْبَةِ / الْخِلافةِ عَنْهُ، وَمِنْ ثَمَّ فهو فى البيتِ السَّابقِ يخبرُ بأنها تقطعُ أسبابَ الوصالِ بينها وبينه، ثم يؤكدُ – خلالَ الشَّرْطِ – الارتباطَ بينَ عدمِ خُلُوِّ قَلْبِهِ من حُبِّها، وعدمِ استطاعتِه قطْعَها، مما يشيرُ إلى أَنَّ هَوَاهَا قَدْ تَمَكَّنَ مِنْ نَفْسِهِ فأصبحَ لا يستطيعُ فِرَاقَها

1- الديوان ١/ ٢٧٣ (من الطويل).

2- سورة الحاقة : آيات ٦ ، ٧ ، ٨ .

3- الديوان ١/ ١٢٩ (من الطويل).

٤ - التركيبُ الشَّرطِيُّ المصَدَّرُ بالأداة " لَمَّا " :

يقولُ المرتضى من قصيدةٍ يَتَشَوَّقُ فيها إلى الوزيرِ أبى سعدِ بنِ عبدِ الرَّحِيْم : [1]

لَمَّا مَرَرْنَ بِنَا خَطَفْنَ قُلُوبَنَا ... وقلوبُهُنَّ مقيمةٌ لا تَبْرَحُ

والمرتضى فى البَيْتِ السَّابِقِ يؤكدُ - خلالَ التركيبِ الشرطيِّ - الارتباطَ والتلازمَ بينَ مرورِ الصَّبَايَا البَدَوِيَّاتِ / الخلافةِ عليه وعلى قَوْمِهِ وَخَطْفِهِنَّ لقلوبِهِمْ حالةَ بقاءِ قلوبِهِنَّ مَعَهُنَّ.

وهذا التأكيدُ يشيرُ إلى أنَّ المرتضى قَدْ فَقَدَ - بمرورِ هؤلاءِ الصَّبَايا / الخلافة عليه - قَلْبَهُ، فَلَمْ يَعُدْ مِلْكَهُ، يتحكمُ فيه ويُوَجِّهُ مشاعِرَهُ، بَلْ صَارَ مِلْكًا لِمَنْ خَطَفْنَهُ / الخلافة.

٥ - التركيبُ الشَّرطِيُّ المصَدَّرُ بالأداةِ " لَوْلا " :

يقولُ المرتضى من قصيدةٍ فى الافتخارِ : [2]

لَوْلاىَ لَمْ يَكُ للنَّدَى سَيْلٌ ولا ... فى الرَّوْعِ إلجامٌ ولا إِسْرَاجُ [3]

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سياقِ افتخارِ المرتضى بِنَفْسِهِ وَمِنْ ثَمَّ فهو فيه يَنْفِى - خلالَ التركيبِ الشرطيِّ - امتناعَ الكَرَمِ وتجهيزَ الفرسِ للقتالِ لِوُجُودِهِ، إِذْ تَدُلُّ " لَوْلا " " على امتناعِ الشيءِ لوجودِ غَيْرِهِ " [4]

فالتركيبُ الشرطيُّ إِذَنْ - يؤكدُ كَرَمَهُ وَشَجَاعَتَهُ، ويشيرُ إِلَىَ أَنَّهُ أَهْلٌ للسِّيادةِ والْقِيَادَةِ.

ويقولُ من قصيدةٍ يُعَزِّى فيها الوزيرَ أبا الفرج ابنَ فَسانْجَس فِىْ عَمِّه أبى الحسينِ [5]:

يا آلَ عباسٍ وَمَنْ لَوْلاهُمُ ... كُنَّا بِلاَ سُرُجٍ عَلَى الإظلامِ

1- الديوان ١/ ١٨٤ (من الكامل).

2- الديوان ١/ ١٦٥ (من الكامل) .

3- الإِسْرَاجُ : شَدُّ السَّرجِ أىْ الرَّحْلِ على الفَرَسِ .

4- شرح ابن عقيل - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ٥٥ .

5- الديوان ٣/ ٢٥٧ (من الكامل) .

إنْ يَمْضِ مِنكُم شَيْخُكم فَلَفَحْلُكُمْ   باقٍ لَكُمْ وَلَنَا عَلَى الأَعْوَامِ

والمرتضى فى البيتينِ السَّابقينِ يخاطبُ العباسيينَ مادحًا، ومن ثَمَّ فهو فى البيتِ الأولِ يؤكدُ لهم – خلالَ التركيبِ الشَّرْطِيِّ – أَنَّ وُجُودَهُمْ وبقاءَهُمْ فى الخلافةِ قَدْ أضاءَ حياةَ العلويينَ.

ثُمَّ هو فى البيتِ الثانى – الذى هو جوابُ النِّدَاءِ – يؤكدُ المفارقةَ بينَ ذهابِ جَدِّهم العباسِ، وبقاءِ خَلِيْفَتِهِمْ الحالِّ لهم وللعلويينَ على الأعوامِ، أى إنَّهُم – وإنْ ذَهَبَ جَدُّهُم العباسُ – مَازَالُوا هُمْ وَالْعَلَوِيُّوْنَ يَنْعَمُونَ بِحُكْمِ خُلَفَاءِ بَنِى الْعَبَّاسِ.

ولا يَخْفَى أَنَّ المرتضى كانَ يمدحُ العباسينَ مُلْتَزِمًا بمبدإِ التَّقِيَّةِ عند الشِّيْعَةِ الذى يقضى بمجاملةِ الأعداءِ إتقاءً لِشَرِّهِمْ – يقولُ المرتضى : (1)

ولكنَّ التَّقِيَّةَ لم تَزَلْ بِى   تقودُ إلى فعالٍ أو كلامِ

تَلَقَّيْنَا مُجَاملةَ الأَعَادِى   وفى الأحشاءِ وَقْدٌ كالضِّرَامِ

٦ – التركيبُ الشَّرْطِيُّ المصَدَّرُ بالأداة "متى" :

يقول المرتضى فى الغزل : (2)

وَمَتَى يَكُنْ ذَنْبِى هَوَاكِ فَلاَ   غَفَرَ الإلهُ – وَأَنْتِ لِىْ – ذَنْبِىْ

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سياقِ حديثِ المرتضى عن عَدَمِ قُدْرَتِهِ على السُّلُوِّ لِشِدَّةِ تَعَلُّقِهِ بمحبوبتِهِ، ومن ثَمَّ فَهُوَ فيه يُعَلِّقُ دعاءَهُ وَتَمَنِّيَهُ بِألا يَغْفِرَ لَهُ اللهُ ذَنْبَهُ بكونِ ذَنْبِهِ هُوَ هَوَى مَحْبُوْبَتِهِ.

وَيَبْدُو لِىَ أَنَّ المرأةَ – هنا – لَيْسَتْ امْرَأَةً حقيقيةً وإنما هى رمزٌ للخلافةِ الإسلاميةِ، بدليلِ قَوْلِهِ بَعْدَ هذا البيتِ :

أَتَخْشَى لِسَانِى أَنْ يبوحَ بِمَا   أَشْكُوْهُ فى جِدٍّ وفى لِعْبِ

---

1 – الديوان ٣/ ٢٤٩ (من الوافر).

2 – الديوان ١/ ١١٢ (من الكامل) .

فلسانُ مَنْ عُرِفَتْ بَلاغَتُهُ أَمْضَى -إِذَا مَا قَالَ- مِنْ عَضْبِ

فَهُوَ يَخْشَى مِنْ أَنْ يبوحَ لِسَانُهُ بأمرِ حُبِّهِ كما أَنَّهُ قَدْ وَصَفَ هذا اللسانَ بأنه أَحَدُّ – إِذَا ما قالَ – من السيفِ القاطعِ، ولا مُسَوِّغَ لوصفِ لِسَانِ البَلِيْغِ بهذه الصِّفَةِ فى سِيَاقِ حديثِهِ عن بَوْحِهِ بِحُبِّ امرأةٍ حقيقيةٍ.

وَقَدْ بَدَا تَأَثُّرُ المرتضى بمُعْجَمِ القرآنِ اللُّغَوِيِّ واضحًا جَلِيًّا ؛ إِذْ إِنَّ كَلِمَتَيْ " غَفَرَ " و "ذَنْبِي" ومُشْتَقَّاتِهِما من الكلماتِ التى تَرِدُ كثيرًا فى لُغَةِ القرآنِ، من مثلِ قَوْلِهِ تعالى : " رَبَّنَا فاغْفِرْ لنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبرارِ ". [1]

٧- التركيبُ الشَّرْطيُّ المصَدَّرُ بالأداةِ " كُلَّمَا" :

يقولُ المرتضى مِنْ مقطوعةٍ فِي الغزلِ : [2]

أَنَــا أَهْــوَاهُ ظَالِمًا مُخْلِفًا مَا بِهِ وَعَدْ

كُلَّمَا قُمْتُ طَالِبًا وَصْلَهُ فِي الهَوى قَعَدْ

وَالمرْتَضَى فِي المقْطُوْعةِ يَتَحَدَّثُ عَنْ عِشْقٍ مَلَكَ عَلَيْهِ نَفْسَهُ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فِي الْبَيْتَيْنِ السَّابِقَيْنِ يُؤَكِّدُ أَنَّهُ يَعْشَقُ مَحْبُوْبًا / خِلافَةً، وَالمحْبُوْبُ / الخِلافَةُ تَظْلِمُهُ ولا تَفِي مَعَهُ بِوَعْدِها ثُمَّ هُوَ يُكَرِّرُ طَلَبَ وِصَالِهَا وَالمحْبُوْبُ / الْخِلافَةُ تَرْفُضُ وَصْلَهُ.

فَالتَّرْكِيْبُ الشَّرْطِيُّ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي يُفِيْدُ إِلْحَاحَ المرْتَضَى عَلَى طَلَبِ وِصَالِ المحْبُوْبِ / الخِلافَةِ الَّتِي تَرْفُضُ طَلَبَهُ، وَهَذَا مِمَّا يشيرُ إلى شِدَّةِ تعلقِ المرتضى بها، ويكشفُ عن مدى تألمِهِ بِسَبَبِ بُعْدِهَا.

1- سورة آل عمران : ١٨٣ .

2- الديوان ١/ ٣٠٢ (من مجزوء الخفيف).

٨- التركيبُ الشَّرطِيُّ المصَدَّرُ بالأداةِ " مَنْ " :

يقولُ المرتضى فى الحِكْمَةِ : [1]

مَـــنْ فَكَّ رِبْقَـــةَ حِـــرْصٍ ... فـــإنما فَـــكَّ غُـــلاً [2]
وَمَــــنْ يُجِـــلَّ صَنِيْعـــاً ... كـــانَ الأعَـــزَّ الأجَـــلاَّ
مَــــنْ مَـــلَّ حَمْـــلَ ثَقِيْـــلِ ... مــــنَ الرِّجَـــالِ أُمِـــلاَّ
وَمَـــنْ تَكَثَّـــرَ يومـــاً ... بالنَّـــاسِ ذَلَّ وَقَـــلاَّ

والمرتضى فى الأبياتِ السابقةِ يخبرُ بأنَّ المرءَ إذا تحرَّرَ من طَمَعِهِ وحِرْصِهِ فَقَدْ تحرَّرَ من قَيْدٍ يُكَبِّلُهُ، وأنَّهُ إنْ شَكَرَ على جَمِيْلٍ أُسْدِىَ إلَيْه فَهُوَ العزيزُ الموَقَّرُ، وَأنَّهُ إنْ لَمْ يحتملْ العَظَائِمَ هَجَرَهُ النَّاسُ وَكَرِهُوا صُحْبَتَهُ، وَأنَّهُ إنْ تَفَاخَرَ بِفِعْلِ غَيْرِهِ يَوْمًا فقدْ ضَعُفَ وَذَلَّ.

والشَّرط بـ" مَنْ " فى هذه الأبياتِ يؤكدُ النصائحَ الواردةَ فيها، وَذَلِكَ مما يجعلُ المتلقى يُقْبِلُ على الالتزامِ بها مُتيَقِّنًا مِنْ صِدْقِها وَنَفْعِهَا.

1- الديوان ٣/ ٧٥، ٧٦ (من المجتث).

2- الرِّبْقَةُ : حَلْقَةٌ لِرَبْطِ الدَّوَابِّ ، والغُلُّ : طَوْقٌ من حَدِيْدٍ أو جِلْدٍ ، يُجْعَلُ فى عُنُقِ الأسيرِ أو المجرمِ ، أو فى أيْدِيْهِمَا . والجمعُ (أغلالٌ) .

الفصل الرابع

الحَـــذْفُ

التمهيد :

يُعَدُّ الحَذْفُ مِنْ أَهَمِّ السِّماتِ التَّرْكِيْبِيَّةِ لِلصِّيَاغَةِ ؛ إِذْ يَجْذِبُ انتباهَ المُتَلَقِّـي نَحْـوَ مَوْضِعٍ بِعَيْنِهِ، يَتِمُّ فيه إِسْقَاطٌ لأحدِ عناصرِ التَّرْكِيْبِ اللُّغَوِيِّ ؛ وَذَلِكَ لِسِرٍّ دَلاليٍّ

وَ " لابدَّ عندَ وقوعِ الحذفِ من دليلٍ يَدُلُّ عَلَي المحذوفِ، يَتَمَثَّلُ في قَرِيْنَةٍ أو قَرَائِنَ مُصَاحِبَةٍ حاليةٍ أو عقليةٍ أو لفظيةٍ، فالقَرِيْنَةُ تُعَدُّ أَهَمَّ شروطِ الحذفِ، يَلِيْهَا في الأهمِيَّةِ ألا يُؤَدِي الحذفُ إلي لَبْسٍ في المَعْنَي ". [1]

وَإِذَنْ فلابُدَّ لِكُلِّ حَذْفٍ يَقَعُ فِي اللُّغَةِ الشِّعْرِيَّةِ مِنْ وُجُـودِ ثَلاثَـةِ شُرُوْطٍ بِـدُوْنِهِمْ يَكُوْنُ الحَذْفُ عَبَثًا وَضَرْبًا مِنَ الهَذَيانِ، وَهَذِهِ الشُّرُوْطُ هِيَ :

١) وجودُ القرينةِ الدَّالة التي تدلُّ على المحذوفِ وترشدُ إليه وتُعَيِّنُهُ.

٢) ألا يُؤَدِّي الحَذْفُ إِلَي لَبْسٍ أَوْ غُمُوْضٍ فِي المَعْنَي

٣) وجودُ سِرٍّ دَلاليٍّ يدعو إلى الحذفِ ويرجحُهُ على الذِّكرِ.

وَقَدْ أَصْبَحَ لِلْحَذْفِ دَوْرُ الْفَاعِلِيَّةِ الشِّعْرِيَّةِ بَيْنَ أَدَوَاتِ الأَدَاءِ الشِّعْرِيِّ، لِمَا يَمْتَـازُ بِهِ مِنْ فَلْسَفَةٍ تَكْمُنُ فِي خلافيةِ الحضورِ والغيابِ ؛ أو النطقِ والصمتِ، وَمَا يَعْـتَرِيْهِمَا مِنِ اسْتِدْعَاءِ كُلٍّ مِنْهَا لِلآخرِ. [2]

---

1 – طاهر سليمان حمودة : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي –الدار المصرية للنشر والتوزيع– الإسكندرية – (د. ت)– ص ١١٥ .

2 – ينظر : مصطفى السعدني : البنيات الأسلوبية فى لغة الشعر العربى الحديث – مرجع سابق – ص١٣٩.

وَيُعَدُّ الحَذْفُ سِمَةً مِنَ السِّماتِ التَّرْكِيبِيَّةِ الَّتِى عَالجَتْها البُحُوثُ الأُسْلُوبِيَّةُ بِوَصْفِهَا انْحِرَافًا عَنِ النِّظَامِ النَّحْوِىِّ، وهو يَعْمَدُ إلى اسْتِثَارةِ المتَلَقِّى، وَإيْقَاظِ ذِهْنِهِ بِمَا يُحْدِثُ تَفَاعُلًا بَيْنَ المرْسِلِ وَالمتَلَقِّى قِوَامُهُ الإِرْسَالُ النَّاقِصُ مِنْ قِبَلِ المرْسِلِ، وَتَكْمِلَةُ هَذَا النَّقْصِ مِنْ قِبَلِ المتَلَقِّى. [1]

وَقَدْ قَدَّمَ عبدُ القاهرِ الجُرْجَانِيُّ لِلْقَوْلِ فِي الحَذْفِ بِمَا يُفِيدُ قِيْمَتَهُ فِي اللُّغَةِ، وأَهَمِّيَّتَهُ فِيْ أَدَاءِ المعَانِي وإحكامِ العبارةِ، فقالَ : " هُوَ بَابٌ دَقِيْقُ المسْلَكِ، لَطِيفُ المأْخَذِ، عجيبُ الأمرِ، شَبِيهٌ بالسِّحْرِ، فإِنَّكَ تَرى بِهِ تَرْكَ الذِّكْرِ، أَفْصَحَ مِنَ الذِّكْرِ، والصَّمْتَ عَنِ الإِفَادةِ، أَزْيَدَ لِلإفادةِ، وتجدُكَ أَنْطقَ ما تكونُ إِذَا لَمْ تَنْطِقْ، وَأَتَمَّ ما تكونُ بيَانًا إِذَا لَمْ تُبِنْ "[2]

الحذفُ فى ديوانِ الشَّرِيفِ المُرْتَضَى :

وقد بلغَ عددُ مواضعِ الحذفِ فى شعرِ المُرْتَضَى اثنينِ وَخَمْسِيْنَ وثلاثمائةً وألفَ (١٣٨٢) مَوْضِعٍ.

وقد تَنَوَّعَتْ هذه السِّمَةُ التركيبيةُ إلى أنواعٍ كثيرةٍ أمكنَ تقسيمُها على سِتَّةِ أقسامٍ هى : حذفُ جُزْءِ الكلمةِ، والحذفُ فى الحروفِ والحذفُ فى التركيبِ الإسناديِّ، والحذفُ فى التركيبِ الشَّرْطيِّ، وحذفُ الفضلاتِ والمكملاتِ، وحذفُ شِبْهِ الجملةِ.

وقبلَ أَنْ أعرضَ لهذه الأقسامِ موضِّحًا مجالاتِ توظيفِها الدَّلاليِّ، أُقَدِّمُ جَدْوَلًا إحصائيًا بهذه الأقسامِ، وما يندرجُ تحتَها من أنواعٍ وأعدادٍ ورودِ كُلِّ نَوْعٍ منها فى الدِّيوانِ، وذلكَ على النَّحْوِ الآتى :-

---

1- ينظر : فتح الله سليمان : الأسلوبية مدخل نظرى ودراسة تطبيقية – مرجع سابق – ص ١٣٩ .

2- دلائل الإعجاز – مرجع سابق – ص ١٤٦ .

أولًا : حذف جزء الكلمة		
المسلسل	نوع المحذوف	العدد
١	الترخيم	٨

ثانيًا : الحذف فى الحروف :		
المسلسل	نوع المحذوف	العدد
١	حروف الجر	٧٣
٢	حرف النداء	٢٨
٣	همزة الاستفهام	١٢
المجموع		١١٣

ثالثًا : الحذف فى التركيب الاسنادى :		
المسلسل	نوع المحذوف	العدد
١	الفاعل	٦١٢

تابع الحذف فى التركيب الاسنادى		
المسلسل	نوع المحذوف	العدد
٢	المبتدأ	١٨٢

٣	الفعل والفاعل معًا	٣٩
٤	الخبر	١٥
المجموع		٨٤٨

رابعًا : الحذف فى التركيب الشرطى		
المسلسل	نوع المحذوف	العدد
١	جواب الشرط	١٣

خامسًا : حذف الفضلات والمكملات		
المسلسل	نوع المحذوف	العدد
١	المفعول به	١١٨
٢	الموصوف	٥٢
٣	المنادى	٤١
٤	الصفة	١٢
٥	المضاف	٥
المجموع		٢٢٨

سادسًا : حذف شبه الجملة		
المسلسل	نوع المحذوف	العدد

١	الجار والمجرور	١٣٤
٢	الظرف والمضاف إليه	٨
المجموع		١٤٢

أولًا : حذف جزء الكلمة :

١ - التَّرخِيْمُ :

ومعلومٌ أنَّ الترخيمَ هو " حذفُ أواخرِ الْكَلِمِ فى النِّدَاءِ، نحوُ : " يَا سُعَا والأصلُ يَا سُعَادُ "[1] وقد قمتُ بدراستِهِ فى ديوانِ الْمُرْتَضَى – على الرَّغْمِ من أَنَّهُ يَخُصُّ الكلمةَ المفردةَ – لِمَا لَهُ من تأثيرٍ على دَلاَلَةِ التركيبِ.

ويقولُ الْمُرْتَضَى فى مطلعِ قصيدةٍ يمدحُ بها الملكَ بهاءَ الدولةِ ويهنئُهُ بالمهرجانِ: [2]

يـا صـاحِ لَـيْسَ لِـسِرٍّ مِنْـكَ كِـتْمَانُ ... فى الـوُدِّ والـوُدُّ لا يُـدْرَى لـه شَـانُ

وللغـرامِ – وَإِنْ بِتْنَـا نُكَتِّمُـهُ ... عـن أعـينِ النـاسِ – آيـاتٌ وَعُنْـوَانُ

والشاعرُ فى البيتينِ يخاطبُ صاحبَهُ نافيًا أَنْ يكونَ قد حَجَبَ عنه سِرًّا ؛ إِذْ كَيْفَ يَحْجِبُ عَنْهُ أسرارَ الغرامِ – وَهُوَ الصديقُ القريبُ – التى لا تغيبُ عن أعينِ النَّاسِ.

وقد قامَ الْمُرْتَضَى بترخيمِ كلمةِ "صاحبى"، فقالَ :" يا صاحِ" لينبه على أنه يُحِبُّ صاحبَهُ حُبًّا جَعَلَهُ يَكْشِفُ لَهُ عَنْ أَخَصِّ أَسْرَارِهِ، وَيَأْتَمِنُهُ عَلَى خَوَالِجِ نَفْسِهِ، وذلك مما يجعلُ هذا الصاحبَ يحافظُ على سِرِّ صَاحِبِه.

ويقولُ فى مطلعِ مقطوعةٍ فى الشَّيْبِ: [3]

يَـا أَسْـمُ إِنَّ صَـبَابَتِىْ ... بِـكِ - لَـوْ أويـتِ لَهَـا طَوِيْلَـه

---

1 - ابن عقيل : مرجع سابق – ٣ / ٢٨٨ .

2 - الديوان ٣/ ٢٨٥ (من البسيط) .

3 - الديوان ٣/ ٧٦ (من مجزوء الكامل).

وَأَخَــذْتِنِيْ بِــذنوبِ شَيْــــبٍ لَمْ تَكُــنْ لِيْ فِيْــهِ حِيْلَــهْ

وَالشَّاعِرُ فِيْ مَوْقِفٍ يُعَانِيْ فِيْهِ مِنْ ظُلْم المَحْبُوْبَةِ / الْخِلافَـةِ، فَهِـيَ لَمْ تُبَادِلْـهُ حُبًّا بِحُبٍّ، وَإِنَّمَا هِيَ قَدْ انصرفتْ عنه بـسببِ بيـاضِ شَعْرِهِ/ ضَـعْفِهِ ؛ ولـذا فقـد قـامَ بترخيمِ اسمِ المحبوبةِ "أسماء"، فقالَ : "يا أسمُ" ليوحيَ للمحبوبةِ بشدةِ معاناتِـهِ وَأَلَمِـهِ من فِعْلِهَا الذى لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُهُ منها، حتى لكأنَّهُ لا يستطيعُ أَنْ يُكْمِلَ الْكَلِمَةَ لِشِدَّةِ مَا بِهِ مِنْ أَلَمٍ. وَفِيْ هَذَا التَّرْخِيْمِ - أَيْضًا - إِشْعَارٌ لِلمحْبُوْبَةِ بِمَدَى قُرْبِها من الشَّاعِرِ.

لَعَلَّهَا بِذَلِكَ كُلِّهِ تَرِقُّ لَهُ وَتُوَاصِلُهُ ولا تلتفتُ لِشَيْبِهِ / ضَعْفِهِ.

ثانيًا: الحذف فى الحروف :

١ - الحذف فى حروف الجر:

وقد يلجأُ الشاعرُ والأديبُ إلى حذفِ حرفِ الجرِّ للتوسعِ فى تعديةِ أثرِ الفعلِ إلى المفعولِ بهِ، بمعنى " ألا يقيدَ هذا المفعولَ - من حيـثُ علاقتُهُ بالفعـلِ أو مـا يقـومُ مُقَامَـهُ - بهيئـةٍ معينـةٍ يـدلُّ عليهـا الحـرفُ كالإلـصاقِ، و الاسـتعانةِ والـسببيةِ، والاستعلاءِ، وغيرِ ذلكَ من معانى حروفِ الخفضِ، بحيثُ يطلقُ العَنَانَ لِكُلِّ معنـىً يحتملُهُ التركيبُ ويصحُ تقديرُهُ فيه "[1] مما يحققُ نواتجَ دلاليةٍ وغاياتٍ جماليةً لا تكونُ إذا ذُكِرَ الحرفُ.

يقول المُرْتَضَى فى مطلعِ مقطوعةٍ فى الحماسةِ :[2]

نَجَـوْتُ القَنَـا والبِـيْضُ تَـدْمَى متونُهَـا ولم أنــجُ يومًــا مــن مقــالِ سَــفِيْهِ

والشاعرُ فى البيتِ يخبرُ بأنَّهُ قد نَجَا من الموتِ ومن ضربِ الرِّمَاحِ، ولم يَـنْجُ مـن

1- د / أحمد عبدالستار الجوارى : نحو المعانى ، مطبعة المجمع العلمـى العراقـى ، ط ١٩٨٧- ص ٧٨ . .

2- الديوان : ٣/ ٣٦٧ (من الطويل).

لسانِ السفيهِ، وَمِنْ ثَمَّ فهو قَدْ انحرفَ عن النِّظَامِ النَّحْوِيِّ الذى يَقْتَضِى منه أن يقولَ " نجوتُ من القنا" فقالَ "نجوتُ القنا" بحذفِ حرفِ الجرِّ "مـن" مـن التركيـب ؛ إذ " تَجِئُ مِنْ للتبعيضِ " [1] وبقاؤها فى التركيبِ يوحى بأنه قد نجا مـن بعـضِ الرمـاحِ ولم ينجُ مِنْ كُلِّهَا، وهو يريد أن ينبه على أنه قد نجا من كُلِّ الرمـاحِ ؛ ليـوحيَ للمتلقـى بـأنَّ خَطَرَ السَّفِيْهِ جِدُّ كَبِيْرٍ. فَالشَّاعِرُ فَارِسٌ قَدْ نَجَا مِنَ الموْتِ وَمِنَ الرِّمَاحِ إِذْ كَانَتْ السُّيُوْفُ تَقْطُرُ دَمًا، وَلم يَنْجُ مِنْ مَقَالِ سَفِيْهٍ، فَالسَّفِيْهُ – إِذَنْ – لا يتركُ أحدًا إلا نالَ مِنْهُ.

ومن قصيدةٍ فى الحكمةِ، يقولُ المُرْتَضَى :[2]

وأخ بَـدَا منـه القبـيحُ عُقَيْـبَ مـا فعـلَ الجميـلَ فَـضَاعَ مِنْـهُ جَمِيْلُـهُ

والمُرْتَضَى فى البيتِ السَّابِقِ يخبرُ بأنَّ هُنَاكَ من الإخوانِ من يفعلُ الجميـلَ فيتلُـوهُ بفعلِ القبيحِ فيضيعُ منه أَثَرُ جَمِيْلِهِ.

وقد كانَ النِّظَامُ النَّحْوِيُّ يَقْتَضِى من الشَّاعِرِ أَنْ يَذْكرَ حَرْفَ الجَرِّ الـشَّبِيْهَ بالزَّائِـدِ "رُبَّ" فى البيتِ، فَيَقُوْلَ " ورُبَّ أَخٍ " وَلَكِنَّهُ انْحَرَفَ عَنْ هَذَا النِّظَامِ، وَحَذَفَ الحَرْفَ ؛ إِذْ إِنَّ "رُبَّ من حروفِ المعانى، والفرقُ بينها وبين "كـم" أَنَّ "رُبَّ" للتقليـلِ، و"كـمْ" وُضِعتْ للتكثيرِ "[3]، والشاعرُ لا يريـدُ التَّقْلِيْـلَ، وَإِنَّـمَا هُـوَ يُرِيْـدُ أَنْ يُـشِيْرَ إِلَى كَثْـرَةِ الإِخْوَانِ الَّذِيْنَ يَسْلُكُونَ هذا السلوكَ ؛ ولذا فَقَدْ حَذَفَ "رُبَّ" من التركيبِ ليـوحيَ بذلكَ. كما أَنَّ فى حذفِ "رُبَّ" –فى هذا السياق– إشارةً إلى ضِيْقِ صَدْرِ المُرْتَضَى عـن إطالةِ الكلامِ بسببِ ضَجَرِهِ من فِعْلِ الإخوانِ.

وأنا اعتقدُ أَنَّ السببَ الرئيسَ الذى يجعـلُ الـشاعرَ يلجـأُ إلى حـذفِ "رُبَّ" مـن

1- شرح ابن عقيل – مرجع سابق – ٣/ ١٥.

2- الديوان ٣/ ٢٦ (من الكامل).

3- ابن منظور: لسان العرب ،ت / عبدالله على الكبير وزميله ، طبعه دار المعارف ، (د . ت) ص ١٥٥.

التركيبِ هو رغبتُه في إفادةِ التكثيرِ، وكأنَّ حذفَهُ من التركيبِ يكونُ لفظًا ومعنىً، بل يكونُ إشارةً إلى معنىً يخالفُ معناهُ الذي تعارفَ عليه أهلُ اللُّغَةِ. كما يضافُ إلى هذا السببِ أسبابٌ أخرُ قَدْ يكشفُ عنها السياقُ الذي يَرِدُ فيه هذا التركيبُ.

٢- حذف حرف النداء:

يقولُ المُرْتَضَى في رثاءِ أَحَدِ الوُزَرَاءِ: [1]

مُحَمَّـــــدُ فارقتنـــا عَنْـــــوَةً فجرحـــى الرَّغِيْـــبُ بِـــلا جَـــارِحِ
وَأَوْدَعْتَنِـــى فى صـــميمِ الفـــؤا دِ مِنِّـــىَ مـــا لـــيسَ بالبـــارِحِ

والمُرْتَضَى في البيتينِ يتوجه بخطابِه الشعريِّ إلى الفقيدِ متوجِّعًا من فراقِهِ، مشيرًا إلى أنه قد تَرَكَ به جُرْحًا لنْ يَنْدَمِلَ.

وإذنْ، فقدْ خاطبَ المُرْتَضَى الفقيدَ كأنه حيٌّ يسمعُ وَيُصْغِى ؛ لأنه لم يزلْ يشعرُ بِهِ ملءَ خاطرِهِ ؛ ولذا فقد حَذَفَ المُرْتَضَى حرفَ النداءِ، فقالَ " محمدُ " وكانَ من مقتضى السياقِ أَنْ يقولَ : " يا محمدُ " وَلكِنَّهُ انْحَرَفَ، وَحَذَفَ حَرْفَ النِّدَاءِ لِيُشِيْرَ إِلَى أَنَّ الْفَقِيْدَ مَا زَالَ قَرِيْبًا مِنْ نَفْسِهِ، مَاثِلًا فِى قَلْبِهِ.

ويقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ في الافتخارِ : [2]

بنـــى عَمِّنَـــا لا تَطْمَعُـــوا فى لِحَاقِنَـــا فَكَـــمْ بـــينَ أَسْـــمَاكِ الـــسُّهَى وَالْكَثَاكِـــثِ [3]
سَـــبَقْنَاكُمُ عَفْـــوًا وَلَمْ تَلْحَـــقُوا بِنَـــا عـــلى جَهْـــدِ مَجْهُـــوْدٍ وَلَهْثَـــةِ لاهِـــثِ [4]

وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتَانِ فِى سِيَاقِ افْتِخَارِ الْمُرْتَضَى بِقَوْمِهِ / الْعَلَوِيِّيْنَ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فِى الْبَيْتَيْنِ يُخَاطِبُ بَنِى عَمِّهِ الْعَبَّاسِيِّيْنَ مُيَئِّسًا لهم من لحاقِ قومِهِ، فالفرقُ بينَ الفريقينِ بعيدٌ.

1- الديوان ١/ ٢٠٦ (من المتقارب).
2- الديوان ١/ ١٥٥ (.من الطويل).
3- الكَثَاكِثُ : جمعُ (الكثكث) وهو فتاتُ الحجارةِ .
4- اللاهِثُ : المُتعَبُ المُجْهَدُ من عطَشٍ أو غيْرِهِ .

وإذنْ، فالمُرْتَضَى يعقدُ بينَ قومِهِ والعباسيينَ مناظرةً تدورُ حولَ المفاضلةِ بين الفريقينِ ؛ ولذا فقد حذفَ المُرْتَضَى حرفَ النداءِ من قوله "بنى عَمِّنَا" إذْ كانَ من مقتضى السياقِ النَّحْويِّ أنْ يقولَ : "يا بنى عمنا" ولكنه حذفَ ليُشْعِرَ المتلقى بأنَّ العباسيينَ أمامه ماثلونَ، ومن قلبِه قريبونَ [1]، مما يوحى بأنَّ نتيجةَ المناظرةِ ستكونُ – لا شَكَّ – عادلةً، وذلكَ مما يجعلُ المتلقى يُقْبِلُ على قَبُوْلِها عن رضىً واقتناعٍ.

ويقولُ مِنْ قَصِيْدَةٍ يُعَزِّى فِيْهَا الخليفةَ القادرَ الْعَبَّاسِيَّ فِىْ وَلَدِهِ [2] :

صبرًا أميرَ المؤمنينَ، فلم نزلْ ... بالصبر من آدابكم نتأدبُ

وَقَدْ وردَ البيتُ السابقُ فى سياقِ العزاءِ، ومن ثَمَّ فالشاعرُ فيه يدعو أميرَ المؤمنينَ إلى التَّجَلُّدِ والصبرِ على مُصَابِهِ ؛ ولذا فَقَدْ حَذَفَ حرفَ النداءِ، فقالَ : " أميرَ المؤمنينَ" وكانَ من مقتضى السياقِ أنْ يقولَ : " يا أميرَ المؤمنينَ" ليوحىَ لِذَلِكَ الأميرِ بمدى قُرْبِهِ مِنْهُ، وَحُبِّهِ لَهُ، مما يجعلُهُ أكثرَ قبولًا لإجابةِ طَلَبِهِ، والامتثالِ لِدَعْوَتِهِ، إِذْ هِيَ دَعْوَةٌ مِنْ مُحِبٍّ.

ويقولُ المُرْتَضَى فى النَّسِيْبِ :[3]

مولاىَ يا بدرَ كُلِّ دَاجيةٍ ... خُذْ بِيَدِىْ قَدْ وَقَعْتُ فى اللُّجَجِ
حُسْنُكَ مَا تَنْقَضِى عجائِبُهُ ... كالبحرِ حَدِّثْ عَنْهُ بِلاْ حَرَجِ
بحقِّ مَنْ خَطَّ عَارِضَيْكَ وَمَنْ ... سَلَّطَ سُلْطَانَها على المُهَجِ
مُدَّ يَدَيْكَ الكريمتينِ مَعِىْ ... ثُمَّ ادْعُ لِىْ مَنْ هَوَاكَ بالفَرَجِ

والشاعرُ فى المقطوعةِ يخاطبُ مَحْبُوبَهُ الذى يُشْبِه البَدْرَ طالبًا إليه مُسَاعَدَتَهُ فى

1- وهذا القرب يُسْتَشَفُّ – أيضاً – من إضافة لفظ (عَمّ) إلى ضمير المتكلمين الـ (نا) ، فى قوله "عمنا".

2- الديوان ١ / ٤٨ (من الكامل).

3- الديوان : ١/ ١٧٤ (من المنسرح).

التَّخَلُّصَ من دَاءِ حُبِّه، ولذا فقد حَذَفَ حَرْفَ النِّداءِ من قَوْلِهِ "مولاى" إِذْ كانَ من مقتضى السياقِ النَّحْوِيِّ أَنْ يقولَ : "يا مولاى" لكنه انحرفَ عن هذا السياقِ، ليشيرَ إلى قُرْبِ المحبوبِ مِنْ جِسْمِهِ وَنَفْسِهِ، قُرْبًا جَعَلَهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابَ الأنيسِ المُقَاطِنِ الذى لا يحتاجُ إلى تنبيهٍ ونِدَاءٍ، مما يوحى بأنَّ المحبوبَ يعلمُ حالَ الشاعرِ، وعليه – إِذَنْ – أَنْ يُسَاعِدَهُ فى أَنْ يُشْفَى من حُبِّه.

وَمِنْ الملاحظِ أَنَّ المُرْتَضَى قد تَأَثَّرَ فِى تَرْكِيبِهِ الإِبْدَاعِيِّ "مولاى" بِمَا سَادَ فِى عَصْرِهِ مِنْ تراكيبَ لُغَوِيَّةٍ جديدةٍ اسْتَخْدَمَهَا الشُّعَرَاءُ العباسيونَ لكى يُؤَدُّوا عن أنفسِهم معانىَ بِعَيْنِها، فقد "تداولَ شعراءُ العصرِ فى مجالِ الغزلِ عباراتٍ جديدةً تعكسُ رِقَّةَ مَشَاعِرِهِم وتهذيبَهم الوجدانيَّ، كما تعكسُ تَقْدِيرَهُم للمرأةِ على الرَّغْمِ من كُلِّ شَيْءٍ ؛ فأبو العتاهيةِ يخاطبُ محبوبَتَهُ بقولِهِ "يا أملى"، وابنُ شادةَ المخنثُ يقولُ : "يا سكنى" وابنُ المعتزِ وابنُ الصَّيْقَلِ كلاهما يستخدمُ عبارةَ : "يا سيدى" إلى غيرِ ذلكَ مما استخدمَهُ الشُّعَرَاءُ من عباراتِ التَّلَطُّفِ": (1)

ومن الملاحظِ – أيضًا – أن اللُّغَةَ الشِّعْرِيَّةَ عند المرتضى، قد رَقَّتْ وَسَهُلَتْ واقتربتْ من لُغَةِ العامةِ، إِذْ يقولُ "كالبحرِ حَدِّثْ عنه بلا حرجٍ"، وهذا مما يوحى بتأثُّرِ المرتضى ببيئةِ بغدادَ الحضريَّةِ التى كانَ يعيشُ فيها.

٣- حذف همزة الاستفهام :

ومن قصيدةٍ فى الافتخارِ، يقولُ المُرْتَضَى : (2)

عَجبتِ – يا ظمياءُ – من شيبٍ غَدَا　　منتشرًا فى مَفْرَقِى مُبتسمًا
لو كانَ لى حكمٌ يُطَاعُ أَمْرُهُ　　حَمَيْتُ مِنْهُ لِمَّتى واللِّمَمَا
تَهْوَيْنَ عن بيضٍ برأسى سُودَهُ　　وعن صباحٍ فى العِذَارِ الظُّلَمَا؟

1- عز الدين إسماعيل : فى الشعر العباسى : الرؤية والفن - ص ٤١١ .

2- الديوان ٣/٢١١. (من الرجز).

وَقَدْ وَرَدَتْ الأبياتُ السابقةُ فى سياقِ حديثِ المُرْتَضَى عن شَيْبِهِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فيها يخاطبُ محبوبتَهُ ظمياءَ / الخِلافَةَ الَّتِي تَعَجَّبَتْ مِنْ شَيْبِ رَأْسِهِ مُتَمَنِّيًا أَنْ يكونَ الأمرُ بيدِه، ليمنعَ الشَّيْبَ عن نفسِهِ ؛ إذْ المحبوبةُ تفضلُ سوادَ رأسِهِ.

وَقَدْ حذفَ المُرْتَضَى همزةَ الاستفهامِ من البيتِ الثالثِ، فقالَ : " تَهْوَيْنَ عن بيضٍ برأسي سُوْدَهُ" وكانَ من مقتضى النظامِ النحويِّ أَنْ يقولَ : " أتهوين. . . ؟ " فغدا الكلامُ وكأنه كلامٌ خبريٌّ لا إنشائيٌّ، مما يشيرُ إلى أنَّ المُرْتَضَى فى البيتِ يقررُ ويؤكدُ أنَّ ظمياءَ تهوى الشبابَ وَتَكْرَهُ المشيبَ، وذلكَ مِمَّا يُوْحِي بِشِدَّةِ حُزْنِهِ إِذْ هِيَ تَهْوَى فِيْهِ شَيْئًا قَدْ فَارَقَهُ وَلَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ، وَتَكْرَهُ مِنْهُ شيئًا قَدْ أَلَمَّ بِهِ ولا يستطيعُ دَفْعَهُ.

و يقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ فى رثاءِ الحسينِ :(1)

وَأَنْتُمْ نَصَرْتُمْ أَمْ هُمُ يَوْمَ خَيْبَرٍ نبيَّكُمُ حَيْثُ الأَسِنَّةُ تَرْعُفُ؟

وقد وردَ البيتُ السابقُ فى سياقِ حديثِ المُرْتَضَى إلى قومٍ ابتعدوا عن الهدى وامتلأتْ قلوبُهم بالضَّغَائِنِ، مشيرًا إلى بعضِ مناقبِ العلويينَ، ولذا فَقَدْ حَذَفَ المُرْتَضَى فى هذا البيتِ همزةَ الاستفهامِ، فقالَ " أَنْتُم نَصَرْتُم أَمْ هُمُ يومَ خيبر نبيَّكُمْ؟ " ولكنه انحرفَ وحذفَ، ليشيرَ إلى أنَّ العلويينَ هم الذينَ قد نَصَرُوا النبى ﷺ يومَ خيبرٍ، إذ يصيرُ المعنى " أنتم لم تنصروا النبيّ بَلْ هُم (يعنى عليًا) الذينَ نَصَرُوه يومَ خيبرٍ" وهو بهذا يذكرُ بعضًا من مناقبِ العلويينَ ليدلَّ على أنهم أَحَقُّ بالخلافةِ من غَيْرِهِم.

ومن الملاحظِ أنَّ الْعَامَّةَ يُسْقِطُوَن أداةَ الاستفهامِ / الهمزةَ من أحاديثِهم وحواراتِهم ؛ ولذا يبدو لى أن المرتضى قد حَذَفَ همزةَ الاستفهامِ من شعرِهِ ليجعلَ لُغَتَهُ الشِّعْرِيَّةَ مُيَسَّرَةً قريبةَ التناوُلِ، وذلكَ ممَّا يؤدى إلى نشرِ مذهبِهِ الشِّيْعِيِّ بينَ العامةِ.

1- الديوان ٢/ ٢٥٧ (من الطويل).

ثالثًا : الحذف فى التركيب الإسنادى :

١ - حذف الفاعل :

ومن قصيدةٍ يهنئُ فيها فخرَ الملكِ بعيدِ الفطرِ: [1]

لقد تبوَّأ فخرُ الملكِ منزِلَةً عَلْيَاءَ شَطَّتْ عَلَى الأيدى فَلَمْ تُنَلِ

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سياقِ مديحِ المُرْتَضَى لفخرِ الملكِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ فهو فيه يقررُ ويؤكدُ بـ(قد) أنَّ فخرَ الملكِ قد بلغَ منزلةً علياءَ، اسْتَعْصَتْ على البشرِ فمَا بُلِغَتْ.

وَقَدْ أَرَادَ المُرْتَضَى زيادةَ تأكيدِ المعنى السابقِ، فحذفَ فاعلَ الفعلِ المبنىِّ للمجهولِ، وأنابَ المفعولَ به مَنَابَهُ، فقالَ : " لَمْ تُنَلْ " أى المنزلةُ ؛ ليشيرَ إلى أَنَّ أحدًا أىَّ أحدٍ لَنْ يستطيعَ أَنْ يبلغَ هذه المنزلةَ مما يوحى بِسُمُوِّ المنزلةِ وارتفاعِها، وَعِظَمِ قدرِ فَخْرِ الملكِ الذى نَالَهَا.

ومن قصيدةٍ فى رثاءِ جَدِّهِ الحسينِ ﷺ يقول المرتضى: [2]

مُنِعُوا الفراتَ وَصُرِّعُوا مِنْ حَوْلِهِ مَن تائِقٍ لِلْوِرْدِ أَوْ ظَمْآنِ

وقد وردَ البيتُ السابقُ فى سياقِ حديثِ المُرْتَضَى عَمَّا حدثَ لآلِ البيتِ يومَ كَرْبَلاَءَ، وَمِنْ ثَمَّ فهو فيه يخبرُ بأنهم قَدْ مُنِعُوا من الشُّرْبِ من نهرِ الفراتِ وقُتِلُوا حَوْلَهُ، وَهُمْ إِلَىْ مَائِهِ ظِمَاءُ.

ولذا فقدْ انحرفَ المُرْتَضَى، وَحَذَفَ فاعلَ الفعلِ المبنىِّ للمجهولِ " مُنِعُوا " ؛ لاحتقارِ أولئكَ الفاعلينَ الذينَ فَعَلُوا بآلِ البيتِ مَا فَعَلُوا، وكراهةِ ذِكْرِهِم على لِسَانِهِ.

٢ - حذف المبتدإ :

ومن قصيدةٍ فى رثاءِ الأستاذِ أبى الحسنِ محمدِ بنِ الفضلِ، يقولُ : [3]

---

1 - الديوان ٣/ ١٠٢ (من البسيط).

2 - الديوان ٣/ ٣٤٢ (من الكامل).

3 - الديوان ٣/ ٣٢٤ (من الطويل).

أَمِــيْنٌ عــلى سِرِّ الأخــلاءِ حَيْــثُمَا يكــونُ أمــينُ القــومِ غَــيْرَ أَمِــيْنِ

وقد وردَ البيتُ السابقُ فى سياقِ تأبينِ المُرْتَضَى لابنِ الفضلِ، ومن ثَـمَّ فيه فهو يخبرُ بأنَّ ابنَ الفضلِ كان أمينًا يحافظُ على أسرارِ صَحْبِهِ، فى وقتٍ انتفتْ فيه الأمانةُ.

ولقد كانَ من مقتضى النِّظَامِ النَّحْوِيِّ أَنْ يقولَ المرتضى"هو أمين" ولكنَّ المُرْتَـضَى انحرفَ عن هذا النظامِ وحذفَ المبتدأَ، فقالَ : " أمينٌ " ؛ لأنه فى هـذا السياقِ تمتلـئُ بالحزنِ نفسُهُ، ويضيقُ صدرُهُ، ولا ينطلقُ لسانُهُ ؛ إذ يذكرُ فضيلةً من فضائلِ الأستاذِ التى أدامتْ حزنَهُ، وصدَّعَتْ قلبَهُ، فالأستاذُ كان أمينًا فى زمنٍ لا أمانةَ فيه وبموتِـهِ انتفتْ من الدنيا الأمانةُ.

ويقولُ المُرْتَضَى فى رثاءِ جَدِّه الحسينِ ﷺ :[1]

واسْــأَلْ عَــنِ القَــتْلَى الأُلَى طُرِحُــوا عَــلَى شَــطِّ الْفُــرَاتِ

شُــعْثٌ لهــم جُمَــمٌ عَــصَبْــ ــنَ عَــلَى أكــفِّ الماشــطاتِ[2]

والمُرْتَضَى فى البيتينِ السابقينِ يبكى الحسينَ ﷺ ويندبُهُ ويصفُ الشهداءَ الذين قُتِلُوا مَعَهُ فى كَرْبَلاءَ، وَذُبِحُوا على شواطئِ نَهْرِ الفراتِ.

وقد كانَ من مقتضى النظامِ النحوىِّ أَنَّ يقولَ المُرْتَـضَى فى البيتِ الثانى "هُمْ شُعْثٌ" ولكنه حزينٌ وكليمٌ بسببِ ما أصابَ آلَ البيتِ من مصيبةٍ بفقدِ الحسينِ وشيعتِهِ ؛ ولذا فقدْ جاءتْ طبيعةُ التركيبِ – لتناسبَ هذا المعنىَّ النفسىَّ، ولتخالفَ النظامَ النحوىَّ – بحذفِ المبتدإ ؛ نظرًا لضيقِ صدرِ المُرْتَضَى عن إطالةِ الكلامِ بسببِ ما يَعْتَرِيهِ مِنْ حُزْنٍ وَأَلَمٍ.

ويقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ يمدحُ بها الملكَ بهاءِ الدَّوْلَةِ، ويهنئُهُ بالمهرجانِ :[3]

1- الديوان ١/ ١٤٥ (من مجزوء الكامل).

2- الأشْعَثُ : الذى اغْبَرَّ شعرُهُ وَتَلَبَّدَ .

3- الديوان ٣/ ٢٣٦ (من الكامل).

قـــومٌ يَـــشُنُّونَ الْغِـــوَارَ عـــلى   أرضِ الْعَـــدُوِّ بِقُـــرَّحٍ بُهْـــمِ [1]

وقد وردَ البيتُ السابقُ فى سياقِ مديحِ بهاءِ الدولةِ وقومِهِ، وَمِنْ ثَـمَّ فالـشاعرُ فى البيتِ يؤكدُ أَنَّ قومَ بهاءِ الدولةِ يغيرونَ على الأعداءِ بخيولٍ فتيةٍ سوداءَ.

وَقَدْ كانَ من مقتضى النِّظَامِ النحويِّ أَنْ يقول المُرْتَضَى "هُمْ قومٌ" ولكـنَّ المُرْتَـضَى انحرفَ وحذفَ المبتدأَ، (وهو الضميرُ العائدُ على قوم الملك)، فقالَ : "قـومٌ" ليـشعرَ المتلقى بمدى قُوَّةِ أولئكَ القومِ وعظمتِهِم وكأنهم قد بَلَغُوا من القُوَّةِ والعظمةِ حَـدًّا يُخْشى عليهم بذلكَ من مجردِ الجريانِ على اللسانِ، وكـأنَّ فى جريـانهم عـلى اللـسان وَذكرِهم تقليلًا من شأنِهم وَنَقصًا من طَهَارَتِهم.

ويقول المُرْتَضَى من قصيدةٍ يمدح بها القادر فى ابتداء إفضاء الخلافة إليه : [2]

فَخْـــرًا بَنِـــى العبـــاسِ إِنَّ قَـــدِيْمَكُمْ   يَـــأْبَى عَـــلَى الأيـــامِ غَـــيْرَ تَجَـــدُّدِ.

والمُرْتَضَى فى البيتِ السابقِ يَتَوَجَّهُ بخطابِهِ الشِّعْرِىِّ إلى العباسيينَ طالبًا إلـيهم أَنْ يَفْتَخِرُوا، إِذْ خُلَفَاؤُهُم الجُدَدُ يعيدونَ سَيْرَةَ أَوَائِلهم العِظَامِ.

وقد حَذَفَ المُرْتَضَى الفعلَ والفاعلَ وأبقى المفعولَ المطلقَ، فقالَ :". . . . . **فخرًا**" ولم يَقُلْ : " **افتخروا فخرًا** " ؛ وذلكَ ليؤكدَ حَدَثَ الفخـرِ، وَأَنَّ العباسـيينَ جَـدِيْرُونَ بالافتخارِ، وهذا مما يوحى بِعِظَمِ قَدْرِ الخليفةِ القادرِ.

ولا ريبَ في أَنَّ هذا المديحَ قَدْ قِيلَ – كَمَا قُلْتُ قَبْلًا – على سبيلِ التَّقِيَّةِ.

٣- حذف الفعل والفاعل معًا، والإبقاء على المفاعيل:

يقولُ المُرْتَضَى فى مطلعِ مقطوعةٍ فى الشَّيْبِ : [3]

شَـــبَابَكَ عَنِّـــى فالمـــشيبُ لِبَـــاسِي   وقـــد مَـــلأَتْ مِنْـــهُ الطوالـــعُ رَاسِـــى

1- الغِوَارُ : الإِغَارَةُ ، والقُرَّحُ : جَمْعُ القَارِح ، وهو من الخيلِ ما أتمَّ الخامسةَ ، والبُهْمُ : السُّودُ .

2- الديوان : ١/ ٢٥٣ (من الكامل).

3- الديوان : ٢/ ١٣٠ (من الطويل).

والشاعرُ في البيتِ السابقِ يخاطبُ صاحبتَه متحسرًا، فقد عَلاَ الشيبُ رأسَهَ، وَلَمْ يَعُدْ قادرًا على أَنْ يتجاوبَ مَعَ مَنْ يُحِبُّه.

وقد كانَ من مقتضى النِّظَامِ النَّحْوِيِّ أَنْ يقولَ : " ابْعِدِى شَبَابَكَ" ولكنه حذفَ الفعلَ والفاعلَ وأبقى على المفعولِ به، فقالَ " شَبَابَكِ" ؛ لينبئَ بها في نَفْسِه من ضِيْقٍ وَأَلمٍ لذهابِ الشبابِ عنه، وعدمِ قدرتِهِ على مجاراةِ محبوبتِهِ / الخلافةِ.

٤ – حذف الخبر :

ويقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ يُهَنِّئُ فيها الوزيرَ أَبَا سعدِ بنِ عبدِالرحيمِ بعودتِهِ إلى الوزارة: [1]

إِنْ شَككْتُم مِنْهُ في النَّجْـ ... ـدَةِ والشَّكُّ فُضُوحُ

فانظروه في الْوَغَى يحـ ... ـمِلُهُ الطِّرْفُ السَّبُوحُ

والقَنَا يَوْلَغُ من نَحْـ ... ـرٍ نَجِيْعًا والصَّفِيْحُ

والمُرْتَضَى في الأبياتِ السابقةِ يتوجه بخطابِهِ الشعريِّ إِلَى مَنِ اعْتَرَاهُم الشَّكُّ في نجدةِ الوزيرِ أبى سعدٍ، طالبًا إليهم أَنْ يراقبوه في ساحةِ الْوَغَى راكبًا فَرَسَهُ، يشربُ مِنْ دَمِ الأعداءِ رُمْحُهُ وسيفُهُ.

وقد كانَ النِّظَامُ النَّحْوِيُّ يقتضى من المُرْتَضَى في البيتِ الثالثِ أَنْ يقولَ :" والقنا يَوْلَغُ مِن نَحْرٍ نجيعًا والصفيحُ كَذَلِكَ" أى والصفيحُ يَوْلَغُ من نحرٍ نجيعًا، ولكنه انحرفَ وَحَذَفَ هذا الخبرَ، ليشعرَ المتلقى بِقُوَّةِ الوزيرِ أبى سعدٍ في نزالِ أعدائِه، حتى لكأنَّ المُرْتَضَى حَيْنَ صَوَّرَ الرِّماحَ وهى تشربُ من رقابِ الأعداءِ الدَّمَ هَالَهُ ما رأى فَطَفِقَ يتأملُ هذه الصورةَ المفزعةَ، وذكرَ السيفَ وأمسكَ – مندهشًا فَزِعًا – عن ذِكْرِ خَبَرِه.

١– الديوان ١/ ١٨٢ (من مجزوء الرمل).

رابعًا: الحذف في التركيب الشرطي :

يقول المُرْتَضَى في مطلعِ قصيدةٍ في الغزلِ :(1)

نَبَتْ عَيْنَا أمامةَ عن مشيبي ... وَعَدَّتْ شيبَ رَأسِي مِنْ ذُنُوبِي

وقالتْ : لَوْ سَتَرْتَ الشيبَ عني ... فكم أخفى التسترُ من عيوبِ

فقلتُ لها : أُجِلُّ صريحَ وُدِّيْ ... وَإِخْلاَصِي عن الشَّعْرِ الخضيبِ

وَمَالَكِ يَا أمامُ مع الليالي ... إِذَا طاولنَ بُدٌّ من مشيبِ

والمُرْتَضَى في الأبياتِ السابقةِ يقصُّ حوارًا دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبَتِهِ أُمَامَةَ، فهي قد نَفَرَتْ مِنْهُ حِيْنَ رأتْ شيبَه ؛ إذ عدَّته ذنبًا يلامُ عليه ؛ ولذا فقد طَلَبَتْ إليه أَنْ يقومَ بإخفائِه عنها، وسترِه منها، فالتَّسَتُّرُ يُخْفِي كثيرًا من العيوبِ، فَيَرُدُّ عليها المُرْتَضَى، ويقولُ لها إنه يُقَدِّرُ حُبَّهُ الصادقَ لها، ولا يلتفتُ إلى صَبْغِ شعرِهِ، ويخبرُها بأنها لابُدَّ لها من المشيبِ إذا طالتْ بها الأيامُ والسنونُ، لَعَلَّهُ بذلكَ يَحُثُّها عَلَى حُبِّه، وَيَصْرِفُها عن الاهتمامِ بتلوينِ شَعْرِهِ.

وقد كانَ من مقتضى النِّظامِ النَّحْوِيِّ أَنْ يقولَ المُرْتَضَى :" لو سَتَرْتَ الشَّيْبَ عني، لاختفتْ عيوبُك" ولكنه حَذَفَ جوابَ الشَّرْطِ، وقالَ : "لو سترتَ الشيبَّ عني" لضيقِ صدرِهِ عِن إطالةِ الكلامِ بسببِ أَلَمِهِ وَتَوَجُّعِهِ من شَيْبِهِ.

خامسًا: حذف الفضلات والمكملات :

١ – حذف المفعول به :

يقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ في الزهدِ :(2)

وَصَاحِبٍ أَيْقَظْتُهُ وَرَقَدَا ... وَرَامَ أَنْ يُصْلِحَنِي فَأَفْسَدَا

والمُرْتَضَى في البيتِ السابقِ يخبرُ بأنَّ له صاحبًا نَبَّهَهُ وغفا، وحاولَ أَنْ يُصْلِحَه

1- الديوان ١/ ١٢١ (من الوافر).

2- الديوان ١/ ٢٣٩ (من الرجز) .

فَأَفْسَدَهُ.

وقد انحرفَ المُرْتَضَى عن النظامِ النحويِّ، وحذفَ المفعولَ بِهِ، فقالَ : "فَأَفْسَدَ" ولم يَقُلْ : "فَأَفْسَدَنِي" كما يُقَرِّرُ النِّظَامُ النَّحْوِيُّ ؛ وذلكَ حتى لا يُوْقِعَ فِعْلَ الفسادِ على نَفْسِهِ ؛ إِذْ الفسادُ نعتٌ قبيحٌ لا يصحُّ أَنْ يَلْتَصِقَ بمثلِهِ، وليوحيَ - أيضًا - بأنَّ الإفسادَ طبعٌ فى هذا الصاحبِ، وأنَّ أذاه يمتدُّ إلى كُلِّ النَّاسِ لا إلى الشاعرِ فَحَسْبُ مِمَّا يُؤَدِّى إلى التَّنْفِيرِ مِنْهُ.

ويقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ قصيرة فى الغزل : (1)

لَيْتَ أَهْلَ العِشْقِ مَاتُوا ... فَأَرَاحُوا وَاسْتَرَاحُوا

والمُرْتَضَى فى القصيدةِ يُقِرُّ بِأَنَّهُ لا إِثْمَ فى الحُبِّ، مَعَ أنه داءٌ عضالٌ لا أملَ فى الشِّفَاءِ مِنْه، وَأَنَّهُ عَذَابٌ وعناءٌ إِنْ بَخِلَ الحبيبُ باللِّقَاءِ.

وقد وردَ البيتُ السابقُ فى سياقِ حديثِ المُرْتَضَى عن معاناةِ أهلِ العِشْقِ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فيه يتمنى لأهلِ العشقِ أَنْ يموتوا لِيُرِيحُوا غَيْرَهُمْ، وَيَسْتَرِيحُوا مِمَّا هُمْ فيه من عَنَاءٍ وَشَقَاءٍ.

وقد حَذَفَ المُرْتَضَى المفعولَ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ : "فَأَرَاحُوا" إِذْ كانَ النِّظَامُ النَّحْوِيُّ يَقْتَضِي أَنْ يقولَ : "فأَرَاحُوا الناسَ" ولكنه حذفَ ليشيرَ إلى أَنَّ هذه المعاناةَ يَشْعُرُ بها ويتأثرُ كُلُّ مَنْ يُحِيطُ بالعاشقِ، فَعَنَاؤُهُ لا يَخْفَى على أَحَدٍ، مِمَّا يُوْحِي بأنَّ هذا العَنَاءَ جِدُّ شَدِيدٍ، وَذَلِكَ مِمَّا يُؤَدِّى إلى الإِشْفَاقِ على العاشقِينَ، والدَّعوَةِ لهم بالرَّاحةِ، وهى لَنْ تكونَ إلا بالموتِ، إِذْ العِشْقُ لا بُرْءَ مِنْه، والمَعْشُوقُ / الخلافةُ، لا أملَ فى وِصَالِهِ.

وَمِنْ الملاحظِ أَنَّ المُرْتَضَى فى هذا البيتِ وهذه القصيدةِ بل فى جُلِّ ديوانِهِ الشعريِّ يميلُ إلى السُّهولةِ فى الأداءِ على نَحْوٍ يقتربُ اقترابًا شديدًا من لُغَةِ الحياةِ كما تَتَبَدَّى فيها تنقلُهُ الكتبُ القديمةُ من أحاديثِ الناسِ ومحاوراتِهم وَقَصَصِهِم

1- الديوان ١ / ١٨٧ (من مجزوء الرمل).

وأسمارِهم، وفيما يكتبُهُ المؤرِّخونَ والأدباءُ والمؤلفونَ من أساليبَ.

وهو يَفْعَلُ هَذَا بُغْيَةَ انتشارِ شعرِهِ بين العامةِ، وذلكَ بهدفِ نَشْرِ المذهبِ الشِّيْعِيِّ والتَّرْكِيزِ عَلَى أَهَمِّ مَبَادِئِهِ وهو أَحَقِّيَّةُ الأئمةِ الاثنى عَشْرِيَّةِ فى الخلافةِ من سِوَاهُمْ، والتنديدِ بالخلافةِ التى تَجَسَّدَتْ فِى الأُمَوِيِّيْنَ فى بَادِئِ الأَمْرِ ثُمَّ فى العباسيينَ بَعْدَهُمْ، مِمَّا يُؤَدِى إلى توحيدِ صفوفِ الشِّيْعَةِ.

كَمَا يَفْعَلُ هَذَا – أَيْضاً – متأثرًا بالنَّزْعَةِ الشعبيةِ التى ظَهَرَتْ فى الشعرِ العباسيِّ عند بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ (1)، وَأَبِى الْعَتَاهِيَةِ (2)، وَعَلِيِّ بْنِ الجَهْمِ (3)، وَغَيْرِهم مِنَ الشُّعَرَاءِ الْعَبَّاسِيِّيْنَ.

فالتركيبُ الإِبْدَاعيُّ " فَأَرَاحُوا واسْتَرَاحُوا " الذى يدورُ كثيرًا على ألسنةِ العَامَّةِ آنَذَاكَ، وإلى يَوْمِنَا هَذَا، يَكْشِفُ عَنْ تأثرِ المرتضى – كغيرِهِ من الشعراءِ العباسيينَ – بروحِ عَصْرِهِ الاجتماعيةِ تأثرًا بالغًا، إِذْ قَدْ ازْدَهَرَ الْغِنَاءُ بِبَغْدَادَ إِزْدِهَارًا عَظِيمًا حَتَّى الْقَرْنِ الْخَامِسِ الهِجْرِيِّ، وكانَ الناسُ يتأثرونَ بِهِ، وَيَطْرَبُوْنَ عِنْدَ سَمَاعِهِ (4)، وَمِنْ ثَمَّ

1- يقول بشار بن برد : (من البسيط)

يا قَوْمُ أُذْنِى لِبَعْضِ الحَيِّ عَاشِقَةٌ   والأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ العَيْنِ أَحْيَانا بشار بن برد : ديوان بشار بن برد – تقديم وشرح وتكميل / محمد الطاهر بن عاشور – مطبعة لجنة التأليف – والترجمة والنشر – القاهرة – صـ ٤ – ١٩٩٦م ص ١٩٤ .

2- يقول أبو العتاهية : (من البسيط)

الخَيْرُ والشَّرُّ عَادَاتٌ وَأَهْوَاءُ   وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الأَحْبَابِ أَعْدَاءُ

أبو العتاهية :شرح ديوان أبي العتاهية – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولي – ١٩٨٥م ص٥ .

3- يقول على بن الجهم : (من السريع)

أَنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى الله لا   أُشْرِكُ بالله ولا أَكْفُرُ

– على بن الجهم:ديوان على بن الجهم – تحقيق/ خليل مردم – دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة– ١٩٩٦م– ص ١٢٩.

4- ينظر : شوقي ضيف : عصر الدولة والامارات (الجزيرة العربية – العراق – إيران) – دار

فَقَدْ اِقْتَرَبَتْ لُغَةُ الشِّعْرِ الْمُغَنَّى من لغَةِ العَامَّةِ حتى يَفْهَمُوهَا وَيَتَجَاوَبُوا مَعَهَا.

ويقولُ الْمُرْتَضَى من مقطوعةٍ فى الغزلِ :(1)

وَكَـمْ نَادَيْـتُ فِيْـهِ مـن حَبِيْـبٍ عَهِـدْتُ بِـهِ فَلَـمْ أَسْـمَعْ جَوَابًـا

والْمُرْتَضَى فى المقطوعةِ يتحدثُ عَنْ فَقْدِهِ لمحبوبتِهِ / الخلافةِ وابتعادِهَا عنه ؛ ولذا فَهُوَ فى البيتِ السابقِ قَدْ أَسْقَطَ المفعولَ به – وهو الضميرُ العائدُ على المحبوبةِ – مَنْ قَوْلِهِ : " وَكَمْ نَادَيْتُ فيه من حبيبٍ عهدتُ به " وكان من مقتضى السياقِ النَّحْوِيِّ أَنْ يقولَ : "وَكَمْ ناديتُ فيه من حبيبٍ عَهِدْتُه بِهِ" ولكنَّهُ أَسْقَطَ المفعولَ بِهِ، وَكَأَنَّ إسقاطَهُ من التركيبِ يُشِيْرُ إلى إِسْقَاطِهَا (المحبوبةِ / الخلافةِ) من حياةِ الشاعرِ وَفَقْدِهَا.

ويقولُ الْمُرْتَضَى من قصيدةٍ فى الافتخارِ :(2)

وَسُدْتُ قَوْمِيَ فى عصرِ الصِّبَا حَدَثًا وَلَمْ يَسُوْدُوا مَشِيْبًا لا ولا جَلَحَا

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ السَّابِقُ فى سياقِ فخرِ الْمُرْتَضَى بنفسِهِ، فخرًا ممتزجًا بهجاءِ أَعْدَائِهِ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فيه يخبرُ بأنه قَدْ سَادَ صَغِيرًا قَوْمَهُ، وَأَنَّ أَعْدَاءهُ لَمْ يَسُوْدُوا وَقَدْ كَبِرُوا وَشَابُوا وَقَدْ حَذَفَ الْمُرْتَضَى فى البيتِ المفعولَ بِهِ من قَوْلِهِ" وَلَمْ يَسُودُوا "وكانَ من مقتضى السياقِ أَنْ يقولَ " ولم يسودوا قَوْمَهُم " ولكنه حذفَ المفعولَ به " قومهم " لأنَّ فى حذفِهِ تحقيرًا لأولئكَ القومِ، واستهانةً بهم، وإشعارًا بأنَّ الْمُرْتَضَى كان يتمنى زَوَالَهُم من الدنيا، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ لاءَمَ التركيبُ فكرَ الْمُرْتَضَى وَحِسَّهُ.

المعارف – الطبعة الرابعة – ١٩٩٦م – ص ٢٥٧

1 – الديوان : ١/ ٦٦ (من الوافر).

2 – الديوان : ١/ ١٩٦ (من البسيط).

٢- حذف الموصوف :

يقولُ المُرْتَضَى فى الغزلِ :[1]

صـادَ قَلْبِـى عَـشِيَّةَ النَّفْـرِ ظَبْـيٌ　　وظبـاءُ الفـلاةِ صَيْـدُ الرِّجَـالِ[2]
ذُوْ دَلالٍ، وإنـما يـسكنُ القَلْـبَ - كـما شـاءَ واشـتهى - ذو دَلالِ
بِـتُّ أشـكو إلى وَلُـوعٍ بهجـرى　　نافـرٍ عـن زيارتـى ووصالـى
راجيًـا وَعْـدَهُ وَإِنْ أَخْلَـفَ الوعـدَ وأنـساكَ طِيْبَـه بالمطـالِ

والمُرْتَضَى فى المقطوعةِ يخبرُ بأنَّهُ قد أَحَبَّ امرأةً متمنعةً، وَسَكَنَ الحُبُّ قَلْبَهُ، وأنه يشكو إليها كَلَفَه بها، أملًا فى وصالِها. وهو فى البيتِ الثالثِ قد انحرفَ عن النِّظَامِ النَّحْوِيِّ، وحذفَ المنعوتَ، فقالَ " أشكو إلى ولوعٍ بهجرى " لينبه على أنَّ محبوبَهُ مشهورٌ بالصدودِ والهجرانِ حتى لكأنه لا يُعْرَفُ إلا بها، مما يوحى بأنَّ المحبوبَ / الخلافةَ صَعْبَةُ المنالِ ؛ إِذْ هي دائِمَةُ المِطَالِ، وذلكَ مما يؤدى إلى أَنْ يجتهدَ الشاعرُ لينعمَ بوصلِها.

ومن قصيدةٍ يُعَزِّى فيها الوزيرَ أَبَا عليٍّ فِى ابنةٍ له تُوُفِّيَتْ، يقولُ :[3]

قُـلْ للـوزيرِ وَإِنْ جَلَّـتْ مُـصِيبَتُهُ　　هَيْهَـاتَ فَاتَـكَ مَـا يَجْـرِى بِـهِ القلـمُ
إنَّ التـى أَنْـتَ مـلآنٌ بِلَوْعَتِهـا　　مَـضَتْ كـما مَـضَتْ الأحيـاءُ والأمـمُ

والمُرْتَضَى فى البَيْتَيْنِ يُجَرِّدُ من نفسِهِ شخصًا يُخَاطِبُهُ، ويقولُ له : اذهبْ إلى الوزيرِ أبى عليٍّ، وأخبرْهُ بأنَّ الموتَ قَدَرٌ مكتوبٌ، وأكدْ لَـهُ أَنَّ التـى أغـرقَ نفسَهَ بالأسى عليها قد ماتتْ كما يموتُ الأحياءُ والشعوبُ.

1- الديوان: ٣/ ١٢١ (من الخفيف) .

2- عَشِيَّةَ النَّفْرِ ويومه : اليومُ الَّذِي يخرجُ فيه الحاجُّ مِنْ مِنًي إلي مكةَ .

3- الديوان : ٣/ ١٦٧ (من البسيط) .

وقولُ المُرْتَضَى : " التى أَنْتَ ملآنٌ بِلَوْعَتِها " كِنَايةٌ عن ابنةِ الوزيرِ. وقد كـانَ مـن مقتضى النظامِ النَّحْوىِّ أنْ يقولَ المُرْتَضَى " إن ابنتَكَ التى أنتَ ملآنٌ بلوعتِها " ولكـنَّ المُرْتَضَى انحرفَ وحذفَ المنعوتَ "ابنتك" ؛ ليصورَ شدةَ حـزنِ الـوزيرِ عـلى مـوتِ ابنتِه، حتى لكأنَّهُ فى غَمْرَةِ حُزْنِهِ قَدْ نَسِىَ أَنَّ الموتَ قَدَرٌ على كُلِّ الخلائقِ.

٣- حذف المنادى :

يقولُ المُرْتَضَى من قصيدةٍ يرثى فيها الخليفةَ القـادرَ بـالله، ويهنـئُ القـائمَ بـالله بعد أن بُويِعَ له سنة ٤٢٢ هـ : (١)

فَيَـا لَيْـتَ بَاكِيَـهُ مـا بَكَـاهُ ... وَيَـا لَيْـتَ نَاعِيَـهُ مَـا نَعَـى

ويـا ليتنـى ذُقْـتُ عنـه الحِـمَامَ ... ويَـا لَيْتَنِـى كنـتُ عنـه الفِـدَا

وَقَدْ وردَ البيتانِ السابقانِ فى سياقِ نَدْبِ الخليفةِ القادرِ، ومن ثَمَّ فالـشاعرُ فـيهما كانَ يتمنى ألا يرى الخليفةَ مَيِّتًا، فيشاهدَ مَنْ يبكيْهِ، وَيَسْمَعَ مَنْ ينعـاهُ، كـما تمنـى أَنْ يَفْدِيَهُ مِنَ الموتِ بِنَفْسِهِ.

وَمن الملاحظِ فى البيتينِ السابقينِ أَنَّ المُرْتَضَى قَدْ حَذَفَ المنادى فى أربعةِ مواضعَ، إِذْ قالَ " فيَا لَيْتَ بَاكِيَه " " وَيَا لَيْتَ نَاعِيَه "، " وَيَا لَيْتَنِى ذُقْتُ "، " وَيَا لَيْتِنى كُنْتُ " وكان من مقتضى النِّظَامِ النَّحْوِىِّ أَنْ يقولَ " فيا صَاحِبِى لَيْتَ بَاكِيَه "، " ويـا صـاحبى ليت ناعيه "، " يا صاحبى ليتنى " " يـا صـاحبى ليتنـى كنـت " ولكنـه انحـرفَ، وحـذفَ المنادى، ليظهرَ شدةَ حزنِهِ على فقدِ الخليفةِ وليوحىَ بأنه كانَ يرفعُ صـوتَهُ بالبكـاءِ – مستخدمًا أَدَاةَ النداءِ "يا" التـى لنـداءِ البعيـدِ – لِيُـسْمِعَ جميـعَ النـاسِ لا الـصاحبَ فَحَسْبُ، مما يحركُ العواطفَ الخامدةَ.

ويبدو لى أَنَّ المُرْتَضَى قد كَرَّرَ أسلوبَ التمنى فى صـدرِ البيتـينِ وَعَجُزِهِـمَا أربـعَ مراتٍ، لتأثرِهِ بالحياةِ العربيةِ القديمةِ التى كان الشاعرُ فيها يعتمدُ على إلقاءِ شعرِهِ لا

١- الديوان ١/ ٣ ، ٤ (من المتقارب).

على كتابتِهِ وتدوينِه، ومِنْ ثَمَّ كَثُرَ التكرارُ فى الشعرِ، ليسهلَ حفظُهُ أولًا، وليأثرَّ فى المتلقينَ ثانيًا.

٤ - حذف الصفة :

يقولُ المُرْتَضَى من مقطوعةٍ فى الشَّيْبِ: [1]

هـو دَاءٌ حَـلَّ جِسْمِى لَمْ أَجِـدْ مِنْـهُ طَبِيْبَـا

والمُرْتَضَى فى البيتِ السابقِ يؤكدُ أَنَّ الشَّيْبَ داءٌ نَزَلَ بجسمِه وأنه لا طِبَّ لَهُ.

وقد كانَ من مقتضى النظامِ النَّحْوِىِّ أن يقولَ المُرْتَضَى : "لم أجدْ طبيبًا يبرأُ مِنْهُ" ولكنه انحرفَ وحذفَ النعتَ الجملةَ، فقالَ "لم أجدْ منه طبيبًا" ليشيرَ إلى الحالِ التى عليها الطبيبُ مع هذا الدَّاءِ، وأنه قَدْ فَقَدَ القدرةَ على الإشفاءِ. فالطبيبُ - إِذَنْ - قَدْ فَقَدَ صفةً من أَجَلِّ صفاتِهِ، وهى القدرةُ على إشفاءِ الدَّاءِ ؛ ولذا فَقَدَ حَذَفَها المُرْتَضَى من التركيبِ ليلائمَ بينَ التركيبِ وحالِ الطبيبِ.

٥ - حذف المضاف :

يقول المُرْتَضَى من قصيدةٍ فِىْ مَدِيْحِ الملكِ بهاءِ الدَّوْلَةِ : [2]

تعـافُ الطـيرُ جِيفَتَـهُ وَتَـأْبَى عارِقَتَـهُ، وَإِنْ كانَـتْ سِـغَابَا

وقدْ وردَ البيتُ السابقُ فى سياقِ حديثِ المُرْتَضَى عَمَّنْ خَرَجَ على ملكِ بهاءِ الدولةِ، وعنْ عاقبةِ فعلِهِ، وأنها الموتُ والهلاكُ.

والمُرْتَضَى فى البيت يخبرُ بأنَّ الطيرَ التى تعيشُ بأكلِ الجيفِ تكره الدُّنُوَّ من جيفةِ هذا الخارجِ فتتركُها، علي الرَّغْمِ مِمَّا هِىَ فِيْهِ مِنْ جوعٍ وَسَغَبٍ.

وقد كانَ من مقتضى النظامِ النحوىِّ أَنْ يقولَ : "تعافُ الطيرُ أكلَ جيفتِهِ"، ولكنه انحرفَ وحذفَ المضافَ، فقالَ "تعافُ الطيرُ جيفتَهُ" ؛ ليشيرَ إلى أنَّ الطيرَ

---

1 - الديوان : ١/ ٧٣ (من مجزوء الرمل).

2 - الديوان : ١/ ٦٥ (من الوافر).

وتنفيرًا منه.

سادسًا: حذف شبه الجملة :

١ - حذف الجار والمجرور :

يقولُ المُرْتَضَى من مقطوعةٍ فى النَّسِيْبِ : (1)

لا قَضَى اللهُ لقلبى	فى الهوى أَنْ يَسْتَرِيْحَا
أنا راضٍ من هوى البيـ	ـضِ بِأَنْ كانَ قَرِيْحَا
يا مليحَ الوجهِ لِمْ تَصْـ	ـنعُ ما ليسَ مَلِيْحَا
إنما يُعذِرُ فى التَّقْـ	ـبِيْحِ مَنْ كانَ قَبِيْحَا (2)
أنا مُشْفٍ من تَجَنِّيْـ	ـكَ وقد كُنْتُ صَحِيْحَا (3)

والشاعرُ فى البيتينِ الأولينِ يتمنى أَنْ يَمُنَّ اللهُ على قَلْبِهِ بدوامِ عِشْقِه فهو سعيدٌ بأَنْ كُتِبَ الحُبُّ على قَلْبِه، ثُمَّ هُوَ يتوجه فى الأبياتِ التاليةِ إلى المحبوبِ طالبًا جَمِيلَ مُعَامَلَتِه، فهو قَدْ أَوْشَكَ على الداءِ من قبيحِ صُنْعِه.

وقد حَذَفَ المُرْتَضَى من البيتِ الخامسِ مركبَ الجارِّ والمجرورِ "على الدَّاءِ" المُتَعَلِّقِ باسمِ الفاعلِ "مشفٍ "، فقالَ : " أَنَا مُشْفٍ" وَكَانَ مِنْ مُقْتَضَى السِّيَاقِ أَنْ يَقولَ: " أَنَا مُشْفٍ عَلَى الدَّاءِ" بدَليلِ القَرينةِ اللفظيةِ، وهى قولُهُ : " وقد كُنْتُ صَحِيْحًا"

ويبدو لى أَنَّ المُرْتَضَى قد حَذَفَ الجارَّ والمجرورَ "على الدَّاءِ" ؛ لأنه قد أَنِفَ أَنْ يَذْكُرَ لَفْظَ الدَّاءِ – الذى يُوْحِى بالعجزِ والمرضِ – فى سياقِ استعطافِ المحبوبِ،

1- الديوان ١/ ١٩٨، ١٩٧ (من مجزوء الرمل).

2- يُعْذَرُ : مِنْ أَعْذَرَ أَيْ بَالَغَ .

3- مُشْفٍ : مُشْرِفٌ من أَشْفَي المريضُ علي الموتِ إذا قَارَبَهُ وأَشْرَفَ عليه ، والتَّجَنِّي : ادِّعَاءُ الذَّنبِ علي مَنْ لَمْ يَفْعَلْهُ .

لَعَلَّهُ بِذَلِكَ يَنَالُ بُغْيَتَهُ، فَيُحْسِنُ المحْبُوْبُ / الخلافةُ معامَلَتَهُ.

وَمن قَصيدَةٍ فى رِثَاءِ جَدِّهِ الحسَينِ (رضى الله عنه) يَقولُ المُرْتَضَى [1]:

تيَقَّنْـتُمُ أنّـا – بِـمَا قَـدْ حَـوِيْتُمُ – أَحَـــقُّ وَأَوْلَى فى الأنَـــامِ وأَعــــرَفُ

وَقَدْ وَرَدَ البَيتُ السابقُ فى سيَاقِ حَديثِ المُرْتَضَى إلَى الأمويينَ مفتَخرًا عَلَيهم بِمَا جَاءَ فى القرآنِ الكَريمِ من إشَارَةٍ – عَلَى حَدِّ زَعْمِ الشِّيْعَةِ – إلَى أَحَقيـةِ العَلَـويينَ بالخلافَة من غَيْرِهم [2].

والمُرْتَضَى فى البَيْتِ يَتَوَجه بخطَابِهِ الشِّعْرِيِّ إلَى الأمويينَ قَائلًا لَهم: لَقَدْ أَصْبَحتُم عَلَى يَقِيْنٍ – بِمَا تَعْلَمُونَهُ من كتَابِ اللهِ – من أَنَّنا أَحَقُّ بالخلافَـةِ فى الأنَـامِ، وَأولَى بهَا وَأَعرَفُ وَمن الملاحَظِ فى البَيتِ أَنَّ المُرْتَضَى قَد حَذَفَ شِبْهَىْ جملَةٍ – أما شبهُ الجملَـةِ الأولَى فَهىَ " من كتَابِ اللهِ " المتَعَلِّقَةُ بالفعلِ "حوي "، إذْ كَانَ السيَاقُ يَقتَضى أَنْ يقولَ " بِمَا قَد حَوَيْتُم من كتَابِ اللهِ" وَقَد حَذَفَهَا تَعظيمًا وَتكريمًا لكتَابِ اللهِ تَعَالَى. وأما شبهُ الجملَةِ الأخرَى، فَهىَ " بالخلافةِ " المتَعَلِّقَةُ باسم التَّفْضِيْلِ " أَحَقُّ "، إذْ كَـانَ الـسيَاقُ يَقْتَضِى أَنْ يَقولَ " أَحَقُّ بالخلافَةِ فى الأنَامِ " وَلَكنَّهُ حَذَفَهَا خَوفًا من بَطشِ العَباسـيينَ، لأَنَّ اللامَ فى كلمَةِ "الأنَام" هى لامُ الاسْتِغْرَاقِ أى إنَّ المُرْتَـضَى يُرِيْـدُ أَنْ يَقـولَ: إنَّ الْعَلَوِيِّيْنَ أَحَقُّ بِالخِلافَةِ فى كُلِّ الأنَامِ" بِمَا فـيهم العَباسـيينَ؛ وَلِـذَا فَقَـدْ أَضْـمَرَ شِـبْهَ الجملَةِ "بالخلافَةِ"؛ لأنه لا يَستَطيعُ أَنْ يُصَرِّحَ بهَا فى هَذَا السيَاقِ.

٢– حذف الظرف:

يَقُوْلُ المُرْتَضَى مِنْ مَقْطُوْعَةٍ فِى الشَّيْبِ: [3]

---

1 – الديوان ٢/ ٢٥٨ (من الطويل).

2 – ينظر فى أدلة الشيعة من القرآن على أحقية الإمام على بالخلافة: د/ عامر النجار: فى مذاهب الإسلاميين–ص ٢٨ وما بعدها..

3 – الديوان: ٣/ ١٩٤ (من الخفيف).

هُـوَ نَقْـصٌ عِنْـدَ الْحِـسَانِ كَـمَا أَنْـ ـــنَ شَـــبابًا مكـــانَ شَـيْبٍ تَمَـــامُ

والْمُرْتَضَى فِي البَيْتِ السَّابِقِ يُؤَكِّدُ أَنَّ الْحِسَانَ تُعِدُّ الشَّيْبَ نَقْصًا والشَّبَابَ اكتمالًا.

وَقَدْ كَانَ مِنْ مُقْتَضَى النِّظَامِ النَّحْوِيِّ أَنْ يَقُوْلَ الْمُرْتَضَى. " كَمَا أَنَّ شَبَابًا مَكَانَ شَيْبٍ تَمَامٌ عِنْدَهُنَّ" وَلَكِنَّهُ انْحَرَفَ وَحَذَفَ الظَّرْفَ وَالمضَافَ إِلَيْهِ "عِنْدَهُنَّ" ؛وَذَلِكَ لِضِيقِ صَدْرِهِ عَنْ إِطَالَةِ الْكَلامِ نَظَرًا لِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ هَمٍّ وحزنٍ بِسَبَبِ بلوغِهِ الشَّيْبَ، وَانْصِرَافِ الْحِسَانِ / الْخِلافةِ عَنْهُ.

الفصل الخامس

الاعتـــراض

تمهيد :

والاعتراضُ – لا رَيْبَ – انحرافٌ عن النَّسَقِ المعْيَارِىِّ للتركيبِ حَيْثُ يقومُ الشاعرُ أو الكاتبُ فيه بادخالِ عُنْصِرٍ مُفْرَدٍ أَوْ مُرَكَّبٍ بينَ عناصرَ تركيبٍ مُسْتَقِلٍّ بُغْيَةَ تحقيقِ غايةٍ يَرْنُو إليها كِلاهُمَا، وإتمامِ معنىً لا يَتِمُّ دُونَهُ. "فَلِكُلِّ مُتكلمٍ طَبْعٌ فى بيانِهِ ومزاجٌ يُفْرِغُهُ فى نِظَامِ جُمَلِهِ وتشابُكِ أَطْرَافِهَا "[1]

هَذَا، والعنصرُ الدَّخِيْلُ "المُعْتَرِضُ" يقطعُ الدَّلالَةَ المتَّصِلَةَ فى التركيبِ الأصلىِّ، ثُمَّ يعودُ التركيبُ إلى تمامِهِ بعدَ دُخولِه فيتمُّ المعنى فى الكلامِ، بحيثُ لو أُسْقِطَ هذا العُنْصُرُ لَبَقِىَ التركيبُ الأوَّلُ على حَالِهِ فى الإفادَةِ.[2]

وَ "**يُعَدُّ الاعتراضُ نَمَطًا تَرْكيبيًّا لا يختصُّ بِشَكْلٍ واحدٍ من أشكالِ الجُمْلَةِ، وإنما يَرِدُ فى الجملةِ الاسميةِ والفعليةِ، دونَ أَنْ يؤدىَ وظيفةً معيَّنَةً فى حَدِّ ذَاتِه، وإنما تتحددُ وظيفتُهُ دَاخِلَ السِّيَاقِ فى إطارٍ إسنادىٍّ يُؤثِّرُ تأثيرًا مُبَاشِرًا فى دَلالاتِ الكلامِ ومُرَادَاتِ المتكلم**"[3]

وَقَد تَنَبَّهَ الْقُدَمَاءُ مِنَ اللُّغَوِيِّيْنَ والبَلاغِيِّيْنَ والنُّقَّادِ إلى فائدةِ الاعتراضِ فابنُ جِنِّى

---

1 – محمد أبو موسى : دلالات التراكيب ، دراسة بلاغية – مرجع سابق – ص ٢٨٩ .

2 – ابن الأثير : المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر – دار النهضة – مصر – ١٩٧٣م – ص ٤٠ .

3 – مختار عطية : علم البديع ودلالات الاعتراض فى شعر البحترى ، دراسة بلاغية – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية – الطبعة الأولى – ٢٠٠٤م – ص ١٦٥

يعقدُ له بابًا، ويستهلُّهُ بقولِهِ : " اعلمْ أَنَّ هذا القبيلَ من هذا العلمِ كثيرٌ، قد جاءَ في القرآنِ وفصيحِ الشعرِ، ومنثورِ الكلامِ، وهو جارٍ عند العربِ مجرى التأكيدِ "(1) وابنُ فارسَ يُصَدِّرُ حديثَهُ عنه ببيانِ غايتِهِ، فيقولُ : " ومن سَنَنِ العربِ أَنْ يَعْتَرِضَ بينَ الكلامِ وتمامِهِ كلامٌ آخرُ ولا يكونُ هذا المُعْتَرِضُ إلا مفيدًا "(2)

أما " أسامةُ بنُ منقذٍ " فيربطُ بينَ الاعتراضِ وفائدتِهِ، إذ يُعَرِّفُهُ بقولِهِ " اعلمْ أَنَّ الاعتراضَ هو أَنْ تذكرَ في البيتِ جملةً مُعْتَرِضَةً، لا تكونُ زائدةً بل يكونُ فيها فائدةٌ "(3)

الاعتراض في ديوان الشريف المرتضى :

ولقد كانَ الاعتراضُ سمةً أسلوبيةً في شعرِ المرتضى، حيث وردَ في ديوانِهِ في سبعمائةٍ وواحدٍ وثمانينَ (٧٨١) موضعًا، مُرْتَبِطًا بِسِيَاقَاتٍ مُعَيَّنَةٍ على نَحْوٍ له دَلالتُهُ. وقد وقعتْ هذه السِّمَةُ في شعرِهِ في أربعةَ عشرَ موقعًا وَتَنَوَّعَ العُنْصُرُ المُعْتَرَضُ بِهِ فجاءَ مفردًا كما جاء مُركبًا.

وفيما يلي جدولٌ إجماليٌّ لمواقعِ الاعتراضِ وأعدادِ ورودِها في الديوانِ كُلِّهِ ثم يليه عرضٌ لهذه المواقعِ مع الاستشهادِ بأمثلةٍ لها وتحليلِها وتفسيرِها لبيانِ مُرَادِ الشاعرِ من الاعتراضِ فيها، وذلكَ على النحوِ الآتي :-

1- ابن جني : الخصائص - الهيئة المصرية العامة للكتاب - د. ت ص ٣٣٥ .

2- ابن فارس : الصاحبي - مرجع سابق - ص ٤١٤ .

3- أسامة بن منقذ : البديع في نقد الشعر - ت / أحمد بدوي ، حامد عبدالحميد - الحلبي - ١٩٦٠ ص ١٣٠ .

مسلسل	موقع الاعتراض	مرات وروده
١	بين الفعل والمفعول به	١٥٩
٢	بين ما أصله المبتدأ والخبر	١٣٠
٣	بين الفعل والفاعل	١٠١
٤	بين المبتدإ والخبر	٨٧
٥	بين الفعل ومتعلقه	٦٧
٦	بين المعطوف والمعطوف عليه	٤٦
٧	بين القول والمقول	٤٤
٨	بين خبر الناسخ واسمه	٣٨
٩	بين متعلق الخبر المحذوف والمبتدإ	٣٣
١٠	بين الصفة والموصوف	٣٢
١١	بين الفعل والمفعول المطلق	١٤
١٢	بين فعل الشرط وجوابه	١٣
١٣	بين الصلة والموصول	٩
١٤	بين الحال وصاحبها	٨
المجموع		٧٨١

١ - الاعتراضُ بينَ الفعلِ والمفعولِ به :

وَمِنْ قصيدةٍ فى رثاءِ الحسينِ ﷺ يقولُ المُرْتَضَى :[1]

لستُ أَرْضَى فى نصرِكُمْ – وقد احْتَجْـ ـــتُمْ إلى النَّـصْرِ مِنِّـى – الأشـعارا
غيـرَ أنـىَّ متـى نُـصِرتُـمْ بطعـنٍ أَوْ بِـضَـرْبٍ أُسَابِـقُ النَّـصَّارَا
وإلى أنـى يـزولَ عـن كَفِّـى المَنْـ ـعُ خـذوا اليـومَ مـن لـسانى انتـصارا

وقد وردتْ الأبياتُ السابقةُ بعدَ حديثٍ طويلٍ إلى بنى حربٍ يقعُ فى ثلاثةٍ وخمسينَ بيتًا، يخبرُهم فيه بأنَّ الخلافةَ التى اغتصبوها – غَدْرًا وظُلما – لَنْ تَبْقَى لهم وأنهم لئامٌ قد ابْتَعَدُوا عن الحقِّ، وَعَلَى المرءِ أَنْ يبتعدَ عنهم.

وَبِمَا أَنَّ المرتضى يَعْلَمُ أَنَّ هذه المناصرةَ التى هى باللِّسَانِ فَقَطْ لَنْ تعيدَ الحقَّ إلى أَهْلِهِ كما أنها لَنْ تَشْفِىَ عَلِيْلَهُمْ مِمَّنْ سَفَكَ دِمَاءَهُمْ ؛ فَقَدْ تَوَجَّهَ – بعدَ هذا السياقِ أىْ فى الأبياتِ السَّابقةِ – بخطابِهِ الشِّعْرِىِّ إلى آلِ البيتِ مُطَمْئِنًا لَهُم، نافيًا أَنْ يكونَ راضيًا عن مُنَاصَرَتِهِم بالأشعارِ فَقَطْ ؛ لأنه يعتزمُ أَنْ يثأرَ لهم بالسَّيْفِ والرُّمْحِ. ولكنْ لاتَ حِيْنَ قِتَالٍ. ومن ثَمَّ فهو يُنَاصِرُهُمْ شِعْرًا منتظرًا ظهورَ المهدىِّ.

وقد اعْتَرَضَ المرْتَضَى بينَ الفعلِ " أَرْضَى " والمفعولِ به " الأَشْعَار " بالمركَّبِ الفعلىِّ "وقد احْتَجْتُم إلى النَّصْرِ مِنِّى" ؛ ليقررَ ويؤكدَ لِسَامِعِيْهِ أَنَّ آلَ البيتِ يحتاجونَ إلى النَّصْرِ من الشِّيْعَةِ، وَذَلِكَ لِيُحَرِّكَ عَوَاطِفَهُمْ مِمَّا يُؤَدِّى إلى تجميعِ صُفُوفِهِم للنَّيْلِ من أَعْدائِهِم.

ومن قصيدةٍ فى مدحِ أبيه والتَّعْرِيْضِ ببعضِ أعدائِهِ، يقولُ :[2]

وَمِنْ عجيبِ الزمانِ أن يَـدَّعى شَـأْوَكَ فَشْلٌ لَمْ يَعْدُ أَنْ كَذَبَا
لم يـدرِ –والجهلُ مـن سَـجِيَّتِهِ– أَنَّـكَ أَحْرَزْتَ قَبْلَهُ الْقَصَبَا

---

1 – الديوان ٢/ ٥٨ (من الخفيف) .

2 – الديوان ١/ ٥٨ (من المنسرح) .

وقد وردَ البيتانِ السابقانِ في سياقِ فخرِ المرتضى بأبيه فَخْرًا مُمْتَزِجًا بهجاءِ أَعْدَائِهِ. وهو في البيتينِ يخاطبُ أَبَاهُ مُتَعَجِّبًا من ذلكَ الذي لا يستطيعُ أَنْ يُنْجِزَ عَمَلًا أَيَّ عَمَلٍ، وَهُوَ - مَعَ هَذَا - يَضَعُ نَفْسَهُ مَوْضِعَ النِّدِّ لأَبِيْهِ، فهو كَذَّابٌ أَشِرٌ، لَمْ يَدْرِ أَنَّه إلى المجدِ مَسْبُوقٌ، وَأَنَّه بأبيه - أَيْ بِأَبِي المُرْتَضَى - لَنْ يَسْتَطِيْعَ اللُّحُوقَ.

وقد اعترضَ المرتضى بينَ الفعلِ "يَدْر" والمفعولِ به، المصدرِ المؤولِ "أَنَّكَ أَحْرَزْتَ قَبْلَهُ القَصَبَا" بالمركبِ الاسميِّ الإِسْنَادِيِّ "والجهلُ مِنْ سَجِيَّتِه"؛ ليؤكدَ أَنَّ الجهلَ طَبْعٌ متأصلٌ فيه، مفطورٌ عليه وأنه إِنْ لَمْ يَكُنْ هذا طَبْعَهُ لَعَلِمَ مَنْزِلَةَ أبيه، مما يشيرُ إلى أَنَّ الناسَ طُرًّا تعلمُ منزلةَ أبيه عَدَا هذا الجاهلَ.

ومن قصيدةٍ في الافتخارِ، وَذَمِّ الأعداءِ، يقولُ:[1]

جَمَعْتُمْ - يَا بَنِي الدُّنْيَا - حُطَامًا ... يُرَى مِنْ بَعْدِكُمْ بيدِ النِّهَابِ

وقد وردَ البيتُ السابقُ في سياقِ مخاطبةِ المرتضى لأعدائِه مخبرًا لهم - على سبيل التَّهكُّمِ والسُّخْرِيةِ - بأنَّ ما يجمعونَ من الدنيا لَنْ يَبْقَى لَهُمْ، وَلَنْ يُبْقِيَ ذِكْرَهُمْ؛ وَلِذَا فَقَدْ اعترضَ المرتضى بينَ الفعلِ "جَمَعْتُم" والمفعولِ به "حُطَامًا" بالمَرَكَّبِ الفعليِّ "يا بني الدنيا"، فقالَ: "جَمَعْتُمْ - يَا بَنِي الدُّنْيا حُطَامًا" وَاصِفًا لهم بأنهم أبناءُ الدنيا؛ وذلكَ ليشيرَ إلى أَنَّهُمْ منقادونَ لها انقيادَ الأبناءِ لآبائِهم، إِذْ هُمْ حريصونَ على أَنْ يَجْمَعُوا من تَفَاهَاتِها مالا يَبْقَى لَهُم.

ومن قصيدةٍ في رثاء الحسينِ يقولُ:[2]

قَدْ جَعَلَ اللهُ إِلَيكُمْ - ... كَمَا عَلِمْتُمْ - المبعثَ والمحشَرَا

وقد وردَ البيتُ السابقُ في سياقِ حديثِ المرتضى إلى آلِ البيتِ وافتخارِهِ بهم. ومن ثَمَّ فَهُوَ في هذا البيتِ يخبرُ العلويينَ - على سبيلِ الافتخارِ لا الإخبارِ - مُؤَكِّدًا

1- الديوان ١/ ١٠١ (من الوافر).

2- الديوان ٢/ ٤٣ (من السريع).

لهمَ – بـ" قد " التحقيقيةِ – بأنَّ اللهَ قَدْ أَوْكَلَ إليهم أمورَ الجَنَّةِ والنَّارِ.

وقد جاءَ بالاعتراضِ بينَ الفعلِ " جَعَلَ " والمفعولِ به "المبعثَ والمُحْشَرَا" بِمُرَكَّبِ الجارِ والمجرورِ " كما عَلِمْتُمْ " [1]؛ ليؤكدَ أَنَّ آلَ البيتِ يعلمونَ هذه الحقيقةَ وَأَنَّ إِخْبَارَهُم بها كانَ على سبيلِ الافتخارِ على أعدائِهم.

وَمِنْ قصيدةٍ فى رثاءِ الشيخِ المفيدِ يقولُ [2]

فَخُذِ اليومَ من دُمُوعِى – وقد كُنْـ ... ـنَ جُمُودًا – على المصابِ سِجَامًا [3]

وقد وردَ البيتُ السابقُ فى سياقِ نَدْبِ ذَلِكَ الشيخِ نَدْبًا يَتَفَجَّرُ منه حُزْنًا وأسىً؛ ولذا فالمرتضى فى البيتِ يتوجَّه بحديثِهِ إلى صَاحِبِه مُظْهِرًا اللَّوْعَةَ والحُزْنَ، ذَاكِرًا أَنَّ دَمْعَهُ على هذا المصابِ غَزِيْرٌ.

وقد اعترضَ المرتضى بينَ الفعلِ " خُذْ " والمفعولِ به " سِجَاما " بمركبٍ فعليٍّ صُوْرِيٍّ "وقد كُنَّ جُمُودًا " ؛ وَذَلِكَ لِيُوْحِيَ بأَنَّ فَقْدَهُ للشيخِ مصابٌ جَلِيْلٌ، وأَنَّ المصائبَ التى مَرَّتْ به لَمْ تَكُنْ شَيْئًا وَلَمْ تُحَرِّكْ لَه دَمْعًا.

ومن قصيدةٍ فى رثاءِ زوجتِهِ أمِّ محمدٍ، يقولُ [4]

وداءُ الرَّدَى أفنى ظِبَاءَ سُوَيْقَةٍ ... وَطَيَّرَ عَنْ أجزاعِ تَدْمُرَ رُبْدَهَا [5]

1- الكاف : حرف ، "وما " المصدرية مع مدخولها فى تأويل مصدر مجرور بالكاف ، والتقدير " كقولهم" .

2- الديوان ٣/ ٢٠٥ (من الخفيف).

3- الدَّمْعُ السِّجَامُ فى هذا السياق : هو الدمعُ الغزيرُ ، إذ يُقَالُ : (سَجَمَ) الدَّمْعُ والمطرُ سُجُوماً وسِجَاماً : سَالَ قليلاً أو كثيراً.

4- الديوان ١/ ٢٥٠ (من الطويل).

5- أَجْزَاعٌ : جمعُ (جِزْع) : وهو مُنْعَطَفُ الوَادِى أَوْ وَسَطُهُ أَوْ مُنْقَطَعُهُ . الرُّبْدُ : مفردها الرَّبْدَاءُ وهى النَّعَامَةُ . تَدْمُر : بلدةٌ فى قلبِ الباديةِ الشَّامِيَّةِ.

وَأَفْضَى إلى حُجُبِ الملوكِ وَلَمْ يَخَفْ شَبَاهَا وَلَمْ يَرْقُبْ – هنالك – حَشْدَهَا[1]

والقصيدةُ تجمعُ بينَ الندبِ والتأبينِ والعزاءِ. وقد وَرَدَ البيتانِ السابقانِ فى سياقِ العزاءِ ومن ثَمَّ فالشاعرُ فيهما يؤكدُ – باسميه الجملة الممتدةِ – أنَّ الموتَ قد أَفْنَى غَزَالاتِ سُوَيْقَةَ ونعاماتِ تَدْمُرَ، كما دَخَلَ إلى الملوكِ فى قصورِهِمْ وقبضَ أَرْوَاحَهُمْ وَسْطَ سيوفِهِمْ وبينَ حشودِهم ولم يَخْشَ منهم شيئًا.

وقد أرَادَ المرتضى أنْ يؤكدَ هذا المعنى، فجاءَ بالاعتراضِ فى البيتِ الثانى باسمِ الإشارةِ الموضوعِ للبعيدِ "هنالك" – الذى يشيرُ به فى البيتِ إلى قصورِ الملوكِ المُشَيَّدَةِ العظيمةِ – بينَ الفعلِ " يَرْقُبْ " والمفعولِ به "حَشْدَهَا" ؛ ليؤكدَ على ذهابِ الموتِ إلى الملوكِ فى قُصُوْرِهِم المُشَيَّدَةِ العظيمةِ التى يُحْجَبُ منها كثيرٌ من الخلقِ، وليشيرَ إلى أَنَّ الموتَ لا يتركُ أحدًا مهما تَقَوَّى وَتَحَصَّنَ. وكلُّ هذا تعزيةٌ لنفسِهِ الحَزِيْنَةِ وَدَعْوَةٌ لها إلى الصَّبْرِ على فقدِ الزوجةِ.

وقد كَشَفَ التركيبُ الإبداعى " وَلَمْ يَرْقُبْ – هُنَالِكَ – حَشْدَهَا" عن تَأَثُّرِ المرتضى بالقرآنِ الكريمِ فى معانيه وأفكارِهِ وصورِهِ. فَهُوَ فيه يقررُ أَنَّهُ لا مَهْرَبَ من الموتِ مُصَوِّرًا الموتَ مخلوقًا لا يتركُ أحدًا إلا نَالَهُ، تمامًا كما جاءَ فى القرآنِ الكريمِ فى قولِهِ تعالى: " أَيْنَمَا تَكُوْنُوا يُدْرِكُكُمُ الموتُ ولو كنتم فى بروجٍ مُشَيَّدَةٍ"[2]

وَمِنْ قصيدةٍ فى الافتخارِ، يقولُ المُرْتَضَى[3]

كَمْ فِيهِمُ مِنْ قَسْوَرٍ مُتَخَمِّطٍ يُرْدِيْ – إذا شاءَ – الهِزَبْرَ الْقَسْوَرَا[4]

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ السَّابقُ فى سياقِ فخرِ الشاعرِ بقومِهِ، وَمِنْ ثَمَّ فهو فى البيتِ

1– شباها : سيوفها .

2– سورة النساء : آية (٧٧).

3– الديوان ٢/ ٣٥ (من الكامل).

4– القَسْوَرُ : الأسدُ ، المُتَخَمِّطُ : المتكبرُ والمتجبرُ ، والهِزَبْرُ : الأسدُ .

يريدُ أَنْ يُظْهِرَ قَوَّتَهم ؛ وَلِذَا فهو فيه يفتخرُ بقومِهِ عن طريقِ الحكايةِ، فيصورُ أَنَّ الكثيرَ منهم أبطالٌ أقوياءُ كالأسودِ، بَلْ هُمْ أقوى من الأسودِ.

وقد اعترضَ المرتضى بينَ الفعلِ "يُرْدِي" والمفعولِ بِهِ "الهِزَبْرَ القَسْوَرَا" بالمركبِ الفعليِّ المسبوقِ بأداةِ شَرْطٍ "إِذَا شَاءَ" ؛ لِيُنَبِّهَ عَلَى أَنَّ الأمرَ موكولٌ إليهم. فَهُمْ إِنْ أَرَادُوا أَهْلَكُوا الأسودَ، وَإِنْ أَرَادُوا العفوَ صَفَحُوا عَنْهُم ؛ وذلكَ ليبالغَ في قوتِهِمْ، وليشيرَ – أَيْضًا – إلى حِلمِهِمْ وَكَرَمِهِمْ، وَأَنَّهُمْ قَدْ يعفونَ عن أَعْدَائِهِمْ.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ – أَيْضًا – قَوْلُهُ :[1]

وَتَنَاسَيْتُمْ – وَمَا قَدُمَ العَهْـ ـدُ – عُهُودًا معقودةً وذمارا[2]

وقد وردَ البيتُ السَّابقُ في سياقِ حديثِ المُرْتَضَى – عن طريقِ الكنايةِ – عن غَدْرِ العباسيينَ بالعلويينَ واغتصابِهم الخلافةَ منهم، فهم ورثتُها الحقيقيونَ ؛ إذ هم أبناءُ بنتِ الرَّسولِ : فاطمةَ، وأبناءُ عليٍّ ابنِ عَمِّه، ومن ثَمَّ فهو في البيتِ يتوجَّهُ بخطابِهِ الشِّعْرِيِّ إلى العباسيينَ مُخْبِرًا إيَّاهم – على سبيل التَّقْرِيعِ – بأنهم قد تَنَاسَوْا ما قد قَطَعُوهُ من عُهُودٍ مع العلويينَ، إِذْ هُمْ قَدْ أَخَذُوا العَهْدَ على أَنْفُسِهِم بأنهم ليسوا طُلاَّبَ خِلاَفةٍ وإنما هُمْ يطلبونَ إِسْقَاطَ الدولةِ الأُمَوِيَّةِ الجائرةِ التي طالما أَرْهَقَتْهُم بعَسْفِهَا وَظُلمِهَا وَطَالَمَا احْتَكَرَتْهُم لمآرِبِها وَشَهَوَاتِها، وأَنَّهُمْ " لا يَأْخُذُونَ البيعةَ لأنفسِهم بالخلافةِ، إنما يأخذونها لإمامٍ رِضًا من آلِ البيتِ النبويِّ . . وكانوا يُشِيعُونَ دائمًا أَنَّهم نَهَضُوا لهذا الأَمْرِ كَيْ يَثْأَرُوا لِلشُّهَدَاءِ من أبناءِ فاطمةَ الزَّهْرَاءِ ؛ "[3]

وَإِذْ بِهِم – بَعْدَ أَنْ قَضَوا على الأُمَويينَ بمساعدةِ العَلَويينَ – يَنْسَوْنَ هذه العهودَ،

---

1 – الديوان : ٢/ ٥٥ – (من الخفيف).

2 – الزمار : العهود والزمم .

3 – شوقي ضيف : العصر العباسي الأول – دار المعارف – القاهرة – الطبعة الرابعة ١٠ – ١٩٦٦م – ص ١٣ .

ويحتجُّونَ بِآيِ القرآنِ الكريمِ على أنَّ البيتَ العباسيَّ أحَقُّ بالخلافةِ من البيتِ العَلَوِيِّ، ويطلبونَ الخلافةَ لأنفسِهِمْ.[1]

وَلِذَا فَقَدْ اعْتَرَضَ المرْتَضَى بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ "تَنَاسَيْتُمْ" وَالمفْعُولِ بِهِ "عُهُوْدًا مَعْقُوْدَةً" بِالمرَكَّبِ الْفِعْلِيِّ المنْفِيِّ "وَمَا قَدُمَ الْعَهْدُ" ؛ وَذَلِكَ لِتَقْرِيْعِ الْعَبَّاسِيِّيْنَ وَتَوْبِيْخِهِمْ.

٢- الاعتراضُ بينَ ما أصلُهُ المبتدأُ والخبرِ :

يقولُ المُرْتَضَىْ مِنْ قَصِيْدَةٍ فِيْ رِثَاءِ صديقٍ لَهُ :[2]

وَكَأَنَّنِي – وَجْدًا بِهِ وَصَبَابَةً – أَنِّيْ طَمَحْتُ بِنَاظِرَيَّ أَرَاهُ

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سياقِ حديثِ المرتضى عن تَمَكُّنِ صديقِهِ الفقيدِ من فؤادِهِ تمكنًا يأبى الفؤادُ معه أنْ ينساهُ، تمكنًا جَعَلَهُ يرى صديقَهُ فى كُلِّ مكانٍ ينظرُ إِلَيْهِ.

وَقَدْ اعترضَ المرتضى بينَ ما أصلُهُ المبتدأُ، وهو ياءُ المتكلمِ فى " كأنني " والخبرِ " أنى طَمَحْتُ بِنَاظِرَيَّ أَرَاهُ " بالمفعولِ لأجلِهِ " وَجْدًا " ؛ ليبينَ السَّبَبَ فى أنَّ هذا الفقيدَ لا يَغِيْبُ عن نَاْظِرِهِ وكَانَ السببُ هو شدةُ حُبِّ الشاعرِ لفقيدِهِ، وَوَلَهِهِ بِهِ.

وَمِنْ قصيدةٍ فى الافتخارِ، يقولُ :[3]

ألستُ – إنْ عُدَّ هذا الخلقُ – خَيْرَهُمُ لَمْ يَبْرَحُوا بَيْنَ جَدٍّ لِيْ وَبَيْنَ أَبِ ؟

وقد وردَ البيتُ السَّابقُ فى سياقٍ يَتَحَدَّثُ فيه المُرْتَضَى عن خِصَالِهِ ذَاكرًا أنه يحافظُ على أصدقائِهِ وأهلِ مَوَدَّتِهِ مِثْلَمَا يحافظُ على قَرَابَتِهِ وَأَنَّ الحلمَ لا يمنعُه من مواجهةِ البُغَاةِ كَمَا أَنَّ الْغَضَبَ لا يُنْسِيْهِ العَفْوَ عن المسيءِ، . . . ثم يأتى البيتُ الذى يقررُ فيه الشاعرُ أنه خيرُ الخلقِ ؛ لأنه ينتسبُ إلى خيرِ نَسَبٍ.

1- ينظر : المرجع نفسه – ص ١٣.

2- الديوان ٣/ ٣٥٧ (من الكامل).

3- الديوان : ١/ ١١٨ (من البسيط).

وقد اعترضَ المُرْتَضَى في البيتِ السابقِ بينَ اسمِ لَيْسَ وهو " التاءُ " فيها، وخبرِها "خَيْرَهُمُ" بمركبٍ فِعْلِيٍّ مَسْبُوقٍ بأداةٍ من أدواتِ الشَّرْطِ، وهو " إِنْ عُدَّ هذا الخلقُ " ؛ لينبه على أنَّه لا يفتخرُ على الخلقِ في كُلِّ وَقْتٍ وإنما افتخارُهُ مَشْرُوطٌ بافتخارِهم هُمْ عَلَيْه، وفي ذلكَ إِشَارةٌ إلى تَوَاضُعِهِ الجَمِّ.

فالاعتراضُ – إِذَنْ – يخدمُ سياقَ الافتخارِ الذي وَرَدَ فيه إِذْ يُضِيفُ إلى صفاتِ المرتضى صِفَةً أخرى هي صِفَةُ التَّوَاضُعِ.

٣- الاعتراضُ بَيْنَ الفعلِ والفَاعِلِ :

وَمِنْ قصيدةٍ كتبها إلى الوزيرِ أبي الفرجِ محمد بن جعفر بن فَسَانْجَس، يقولُ : [1]

وَكَمْ أتاني – وجنحُ الليلِ حُلَّتُهُ – مَنْ لَمْ يَكُنْ في حسابي أَنَّهُ يَاتِي

والقصيدةُ يبدؤها الشاعرُ بالحديثِ عن طيفِ المحبوبةِ الذي صارَ شحيحًا بزيارتِهِ لَهُ. وقد وردَ البيتُ السابقُ في هذا السياقِ. ومن ثَمَّ فالشاعرُ يخبرُ فيه – بـ " كم " الخبريةِ التي تفيدُ التكثيرَ – بأنَّ هذا الطيفَ البخيلَ بزيارتِهِ حاضرًا قد زاره مَاضِيًا زياراتٍ لَمْ تكنْ في الحُسْبَانِ.

وقد اعترضَ المرتضى بينَ الفعلِ والمفعولِ بِهِ من ناحيةٍ " أَتَانِيْ " والفاعلِ من ناحيةٍ أخرى "مَنْ لَمْ يكن في حِسَابِيْ أَنَّهُ يَاتي " بالمركَّبِ الاسميِّ الإسناديِّ " وَجُنْحُ اللَّيْلِ حُلَّتُهُ " ؛ ليؤكدَ المعنى المفادَ من السياقِ، وهو أَنَّ تلك الزياراتِ كانتْ حُلمًا يأتيه نائمًا لَيْلًا، لا واقعًا يَرَاهُ مُسْتَيْقِظًا نَهَارًا ؛ وذلكَ مِمَّا يُوحِي بأنَّ المرتضى يتحدثُ عن الخلافةِ التي ابْتَعَدَتْ عنهم وَاقِعًا.

٤- الاعتراضُ بينَ المبتدإِ والخبرِ :

وفي مطلعِ قصيدةٍ له يقولُ المرتضى : [2]

1- الديوان : ١/ ١٣٦ (من البسيط).

2- الديوان : ١/ ١٩٩ (من الوافر).

وَمَا مَرَحُ الفتى تَزْوَرُّ عَنْه ... خُدُودُ البيضِ بالحَدَقِ المِلاَحِ
وَيُصْبِحُ بينَ إعْرَاضٍ مبينِ ... - بلا سَبَبٍ - وَهجرانٍ صِرَاحِ
وقالوا : لا جُنَاحَ، فقلتُ: كَلاَّ ... مَشِيْبِى - وَحْدَهُ - فِيْكُمْ جُنَاحِى

والشاعرُ فى الأبياتِ السابقةِ يقولُ : إِنَّه لا فائدةَ للفتى من مَرَحِهِ طَالَمَا أعرضتْ عنه الصبايا الحِسَانُ وَهَجَرْنَهُ لِشَيْبِهِ. وقد اعترَضَ الشاعرُ بينَ المُبْتَدَإِ " مَشِيْبِي " والخبرِ " جُنَاحِى " بالحالِ المفردِ " وَحْدَهُ " ؛ ليؤكدَ أَنَّ الشيبَ / الضعفَ وَحْدَهُ لا شيءَ غَيْرَهُ هو سَبَبُ انْصِرَافِ الصَّبَايا / الخلافةِ عَنْهُ.

ومن قصيدةٍ فى رثاءِ جَدِّهِ الحسينِ ﷺ يقولُ : [1]

حَتَّى مَتَى أَنْتُمْ عَلَى ... صَهَوَاتِ حُدْبٍ شَامِصَاتِ [2]
وحقوقُكُمْ - دونَ البريةِ - فى أكفِّ عَاصِيَاتِ [3]

وهذان البيتان يأتيان فى سياق حديث المرتضى إلى آل البيت. وقد أتى هذا الحديثُ بَعْدَ عَرْضِهِ لما حَدَثَ لَهُمْ يَوْمَ كَرْبَلاءَ، وَمِنْ ثَمَّ فهو فيهما يخاطبُ آلَ البيتِ مُتَحَسِّرًا على ضَيَاعِ حَقِّهِمْ فى الخلافةِ، ووقوعِهِ فى أيدى قومٍ عُصَاةٍ، ومُسْتَبْطِئًا عَوْدَتَهُ إِلَيْهِم.

وقد اعترَضَ المرتضى فى البيتِ الثانى منهما بينَ المبتدإِ " حُقُوقُهُمْ" وَمُتَعَلِّقِ الخَبَرِ المحْذُوْفِ " فى أَكُفٍّ عَاصِيَاتٍ " بالمركبِ الاسميِّ الإضافىِّ " دون [4] البريةِ " ؛ لِيُنَبِّهَ عَلَى أنهم أَسْوَأُ الخلقِ، وَأَنَّ الخلافةَ لو كانتْ فى غَيْرِهِمْ لهانَ الأمرُ شيئًا.

فالتَّرْكيبُ - إِذَنْ - يجعلُ المتلقيِ ينفِرُ نُفُورًا من أولئكَ القومِ العُصَاةِ.

1- الديوان : ١/ ١٤٦ (من مجزوء الكامل).

2- صَهَوَاتٌ : جَمْعُ (صَهْوَة) وهى مِقْعَدُ الفارسِ من الفرسِ . والحُدْبُ : جَمْعُ (أَحْدَب) وهو ما ارتفعَ ظَهْرُهُ. والشَّامِصَاتُ : النَّافِرَاتُ.

3- "دون " هاهنا اسم بمعنى "غير".

4- الديوان ٢/ ٢٢٥ (من الكامل) .

ومن قصيدةٍ في رثاءِ ابنِ شجاعِ الصُّوفيِّ، يَقُولُ :[1]

وإذا دَنَا الأجلُ المقدَّرُ للفتى ... لم أُنجِهِ مِنْهُ وَضَاعَ دِفَاعِي

وَقَوَاطِعِي -وهي الحِدَادُ- كَلِيْلَةٌ ... عنه وَنَبْعِي فيه مثلُ يَرَاعِي[2]

وقد وردَ البيتانِ السابقانِ في سِيَاقِ العَزَاءِ. وَمِنْ ثَمَّ فالمرتضى فيهما يصورُ عَجْزَهُ أمامَ الموتِ، وأنه لا يستطيعُ أَنْ يُنْقِذَ المرءَ منه – بسيفِهِ أو رمحِهِ – إذا جاءَ أجلُهُ.

وقد أرادَ المرتضى أَنْ يؤكِّدَ هذا المعنى ؛ ولذا فقد اعترَضَ – في البيتِ الثاني من البيتينِ السابقينِ – بينَ المبتدإِ " قواطعي " والخبرِ " كَلِيْلَةٌ " بالمركبِ الاسميِّ الإسناديِّ " وَهِيَ الحِدَادُ " ؛ ليؤكدَ قُوَّةَ هذه السيوفِ لمن قد يَتَوَهَّمُ ضعفَها، وأنها على قوتِها تَقِفُ أمامَ الموتِ عاجزةً، مما يشيرُ إلى أَنَّ الموتَ قُوَّةٌ لا تُرَدُّ ولا تُدْفَعُ ؛ وفي ذلكَ ما يُعِينُهُ على التَّجَلُّدِ والصَّبْرِ على مُصَابِهِ.

ومن المُلاحَظِ أنَّ المرتضى في البيتينِ السَّابقينِ قد تَأَثَّرَ في مَعَانِيْهِ بالإسْلامِ وَحَضَارَتِهِ، حيثُ نراه قد استمدَ المعنى الواردَ فيهما من القرآنِ الكريمِ من قولِهِ تَعَالى : " وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ، فإذا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعةً ولا يَسْتَقْدِمُوْنَ "[3]. فالمرءُ إذا جاءَ أَجَلُهُ فإنه – لا مَحَالَةَ – مَيِّتٌ.

ومن قصيدةٍ كَتَبَهَا المرتضى إلى أبي سعدٍ عليِّ بنِ محمدِ بنِ خَلَفٍ، يقولُ :[4]

أَنْتُمْ – وإنْ لَمْ تُدْنِنَا رَحِمٌ – بِهَا ... أَخْلَصْتُمُوه أَقَارِبِي وَمَعَاشِرِي

وقد اعترَضَ المرتضى بينَ المبتدإِ " أَنْتُم " والخبرِ " أقاربِي " بمركبٍ فِعْلِيٍّ مَنْفِيٍّ

1- الديوان ٢/ ٢٢٥ (من الكامل).

2- النَّبعُ : شجرٌ يَنْبُتُ مِنْ قُلَّةِ الجبلِ تُتَّخَذُ منه السِّهامُ ، والمقصودُ بـ(نبعي) – ها هنا – سهامي . اليَرَاعُ : القَصَبُ . واحدتُهُ : يَرَاعَةٌ .

3- سورة الأعراف : آية ٣٤.

4- الديوان : ٢/ ٧٤ (من الكامل).

مَسْبُوْقٍ بأداةٍ من أدواتِ الشَّرْطِ، وهو " وَإِنْ لَمْ تُدْنِنَا رَحِمٌ " ؛ لِيُشِيْرَ إلى أن علاقةَ الرَّحِمِ لَيْسَتْ شَرْطًا لِلْقَرَابَةِ مِمَّا يُوْحِي بمدى القربِ الرُّوحيِّ بينَ الشاعرِ وبني خلفٍ. ذلكَ القربُ الذي جَعَلَهُ وإِيَّاهُم كأنهم أبناءُ رَحِمٍ وَاحِدَةٍ.

ومن قصيدةٍ في رثاءِ الأميرِ أبي الغَنَائِمِ محمدِ بنِ مزيدٍ يقولُ :(1)

وكيفَ أُعَاطِيْكَ العزاءَ ؟ وإنما مصابُكَ فِيْهِ – يا ابنَ حمدٍ – مُصَابِيَا

والمرتضى في البيتِ السابقِ يتوجَّهُ بخطابِه الشِّعْرِيِّ إلى الوزيرِ ابنِ حَمْدٍ مُسْتَبْعِدًا أَنْ يكونَ بهذا الخطابِ مُعَزِّيًا له ؛ إِذْ كيفَ يُعَزِّيه ومصابُهما واحدٌ.

وقد اعترضَ المرتضى بين المبتدإِ " مُصَابُكَ " والخَبَرِ " مُصَابِيَا" بالمركبِ الفعليِّ، وهو قوله " يا ابنَ حَمْدٍ " ؛ لِيَخُصَّ ابْنَ حَمْدٍ بالذِّكْرِ تَخْفِيْفًا لأَحْزَانِهِ، وتنبهًا على عُلُوِّ شَأْنِهِ. وهذا المعنى الأخيرُ مُسْتَفَادٌ من اختيارِ الشَّاعرِ للأداةِ (يا) التي هي لنداءِ البعيدِ مِمَّا يُوْحِي ببُعْدِ مَنْزِلَةِ ابنِ حَمْد.

٥- الاعتراضُ بين الفعلِ وَمُتَعَلِّقِهِ :

يقولُ المرْتَضَى من قصيدةٍ في رثاءِ جَدِّهِ الحسينِ ﷺ :(2)

لا تَفْخَرُوْا – قَطُّ – بِشَيْءٍ فَمَا تَرَكْتُمْ فينا لكم مَفْخَرَا

وقد وردَ البيتُ السَّابقُ في سياقِ مهاجمةِ الأمويينَ وَذَمِّهِم، ومن ثَمَّ فالشاعرُ في البيتِ يخاطبُ بني أُمَيَّةَ مُحَقِّرًا لهم، ناهيًا إيَّاهُم عن التفاخرِ بِشَيْءٍ ؛ لأنهم لم يُخَلِّفُوا وَرَاءَهُم مَا بِهِ يَتَفَاخَرُونَ.

وقد اعْتَرَضَ المرْتَضَى بَيْنَ الْفِعْلِ فِيْ قَوْلِه " لا تَفْخَرُوا " وَمُتَعَلِّقِهِ مُرَكَّبِ الجَارِ والمجْرُوْرِ " بِشَيْءٍ " بِكَلِمَةِ " قَطُّ " التي هي ظرفُ لاستغراقِ الزمنِ الماضي ؛ ليؤكدَ أنهم لم يَتْرُكُوا في مَاضِيْهِم شيئًا يَسْتَحِقُّ الافتخارَ، مما يُوْحي بأنهم قَوْمٌ لا يستحقونَ

1- الديوان : ٣/ ٣٧٣ (من الطويل).

2- الديوان : ٢/ ٤٣ (من السريع).

الخلافةَ التى سَلَبُوهَا.

فالتركيبُ يفيدُ زِيَادَةَ التَّنفِيرِ من أولئكَ القومِ الذينَ لا فائدةَ فِيهِم، وَلاَ نَفْعَ مِنْهُمْ.

ويقولُ المرْتَضَى : [1]

لا أَشْبَعَ اللهُ مَنْ أُلْهُوا – وما علموا – عن المعالى بإرواءٍ وَإِشْبَاعِ

والبيتُ من قصيدةٍ يبدؤُها المرتضى بسياقٍ يَشْكُو فيه إلى صَاحِبِه من الزَّمَانِ الذى أَذَلَّهُ وَأَهَانَهُ وَجَعَلَهُ يُقِيمُ على كُرْهٍ بينَ قومٍ يُكَلِّفُونَهُ مالا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْه. ويخبرُ بأنَّ الخيرَ فى الرَّحِيْلِ عن هذا البلدِ إلى بلدٍ آخرَ حيثُ العِزَّةُ والكَرَامةُ، وذلكَ فى ثلاثةٍ وَعِشْرِيْنَ بَيْتًا.

ثم ينتقلُ المرتضى فى عَشرةِ أبياتٍ تاليةٍ إلى سياقٍ آخرَ، يدعو فيه على الكُسَالى الذينَ يَتَقَاعَسُونَ عن طَلَبِ المعالى، ويقسمُ بأنه سَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ من أَجْلِ المجدِ والعُلاَ. وَهَذَا هو سياقُ بيتِ الشَّاهِدِ.

ثم ينتقلُ المرتضى أخيرًا إلى سياقٍ يُحَذِّرُ فيه الأعداءَ منَ بَطْشِهِ.

ويبدو لى من سياقِ القصيدةِ أنَّ الشاعرَ يتحدثُ عن ضَيَاعِ الخلافةِ وتَقَاعُسِ الشِّيْعَةِ عن اسْتِرْدَادِها، وَأَنَّه لابُدَّ من الأخذِ بالثَّأْرِ من الأعداءِ.

وَإِذَا تَأَمَّلْنَا البيتَ السابقَ فى إطارِ قَصِيدَتِهِ التى وَرَدَ فيها نقولُ : إنَّ الشاعرَ يدعو على الذينَ أَغْفَلُوا سُبُلَ المعَالِى / مُنَاصَرَةَ آلِ البيتِ واهْتَمُّوا بالطَّعَامِ والشَّرابِ، يدعو عليهم بألا ينالوا مُبْتَغَاهُم فى هذه الحياةِ.

وقد اعترضَ المرتضى بين الفعلِ فى قوله "أُلْهُوا" ومُتَعَلِّقِهِ مركبِ الجارِ والمجرورِ "عن المعالى" بالمركبِ الفعلىِّ المنفىِّ "وما علموا" ؛ لِيُنَبِّهَ على أَنَّهُمْ جَاهِلُوْنَ لا يعلمونَ أَنَّهُ.

خَيْرٌ مِنَ الذُّلِّ فى قَصْرٍ تَمَارِقُهُ مَبْثُوثَةٌ منزلٌ لِلعِزِّ فى قَاعِ [2]

1- الديوان : ٢/ ٢٣٤ (من البسيط).

2- الديوان ٢/ ٢٣٤ (البسيط).

وأنهم لو عَلِمُوا ذَلِكَ لَسَعَوْا فى طَلَبِ العِزِّ والعُلاَ.

٦ – بين المعطوفِ والمعطوفِ عليه :

ومن مقطوعةٍ فى النَّسِيبِ، يقولُ المرتضى : [1]

مَـاْ ضَرَّ مَـنْ للنَّـوى زُمَّـتْ رَكَائِبُـهُ ... لَـوْ جَـادَ لِىْ سَـاْعَةَ التَّوْدِيْـعِ بـالنَّظَرِ؟

رَمَيْتُمُ الْقَلْبَ منى بالوجيبِ – وقـد ... فـارقتموني – والعينـينِ بالسَّهَرِ

والشاعرُ فى البيتِ الأولِ يتحدثُ عَنْ مَحْبُوْبِهِ / الْخِلافَةِ مُسْتَنْكِرًا رَحِيْلَهَا عَنْهُ دُوْنَ أَنْ تلتفتَ إليه لِتَوْدِيْعِهِ أَيَّ اِلْتِفَاتٍ، فَقَدْ كانَ يَؤْمُلُ أَنْ تجودَ عليه بنظرةٍ. وَلَكِنْ هَيْهَات.

ثُمَّ هُوَ فى البيتِ الثانى يتحـدثُ إلى محبوبِـهِ / الخلافـةِ مـستعطفًا لهـا، فهـي قـد أصابَتْ قَلْبَهُ بالاضطِرَابِ والْخَفَقَانِ، وَأَبْعَدَتْ النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْـهِ فَغَـدَاْ سَـهْرَاْنَ. وَقَـدْ اعْتَرَضَ المرْتَضَى فى هذا البيتِ بينَ المعطوفِ عليه " القلـبِ " والمعطـوف " الْعَيْنَـيْنِ " بالمُرَكَّبِ الْفِعْلِيِّ المَسْبُوقِ بقد التَّحْقِيْقِيَّةِ " وَقَدْ فَارَقْتُمُونِى " ؛ لِيُنَبِّهَ المتَلَقِّى ويؤكدَ له أَنَّ ما حَدَثَ للشَّاعِرِ من اضطِرَابٍ لم يكنْ إلا حَالَ فِرَاقِ الأَحْبَابِ / الخلافةِ.

وَمِنْ قَصِيْدَةٍ فِىْ رثاءِ الحسينِ ﷺ يقولُ المُرْتَضَى : [2]

فَلَنَـاْ بـالطُّفُوْفِ قَـتْلَىْ – وَلاْ ذَنْـ ... ـبَ سُوى البغىِّ من عِدًى – وَأُسَـاْرَىْ [3]

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ السَّابقُ فى سياقِ حـديثِ المرتـضى إلى صـاحبِهِ راجيًـا مِنْـهُ أَنْ يُعَرِّجَ بأرضِ الطفوفِ بكَرْبَلاَءَ باكيًا آلَ البيـتِ مـن كـانوا سببًا فى سعادةِ الشَّاعِرِ وَهَنَائِهِ. فَهُمْ قَدْ قُتِلُوْا بأرضِ الطفوفِ وَأُسِرُوْا.

وَقَدْ اعترضَ المُرْتَضَى بينَ المعطوفِ عليه " قَتْلَى " والمعطوفِ " أُسَـارَى " بالمركـبِ الاسْمِيِّ / لا النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ وَاسْمِهَا " ولا ذَنْبَ سِوَى الْبَغْىِّ مِنْ عِدًى " ؛ لِيَنْفِىَ عَنْ

---

1 – الديوان : ٢/ ١٠١ (من البسيط).

2 – الديوان ٢/ ٥٣ (من الخفيف).

3 – الطفوف : موضع مقتل الحسين وآله على أرض كربلاء.

آلِ البيتِ أَنْ يكونوا قد اقْتَرَفُوا أيَّ ذنبٍ مِنْ أَجْلِهِ يعاقبونَ، مُشِيْرًا إلى أَنَّ ما حَلَّ بهم من قَتْلٍ وَأَسْرٍ كانَ ظلمًا من أعدائِهم.

٧- الاعتراضُ بينَ القولِ والمَقُولِ :

وَمِنْ قصيدةٍ فى رثاءِ الحسينِ ﷺ يقولُ المرتضى :(١)

فَقُلْ لِبَنِى حربٍ – وفى القلبِ مِنْهُمُ ... دَفَائِنُ تَبْدُو عَنْ قَلِيْلٍ وَتَظْهَرُ

ظَنَنْتُمْ وَبَعْضُ الظَّنِّ عَجزٌ وَغَفْلَةٌ ... بِأَنَّ الذى أَسْلَفْتُمُ لَيْسَ يُذْكَرُ

وَهَيْهَاتَ تَأْبى الخَيْلُ والبِيْضُ وَالقَنَا ... مَجَارِيَ دَمٍ لِلْفَاطِمِيِّيْنَ يُهْدَرُ

وهذه القَصِيْدَةُ تَقَعُ فِىْ سِتَّةٍ وَعِشْرِيْنَ بَيْتًا، يَسْتَهِلُّهَا المرْتَضَى بالقَسَمِ باللهِ وبالجَمَرَاتِ الَّتِى تُقْذَفُ فى مِنًى، وبيومِ عرفاتٍ، وذلك فى سَبْعةِ أبياتٍ. ويأتي جوابُ القسمِ – فى البيتِ الثامنِ – مؤكدًا فيه أنَّ الدِّينَ قَدْ أُصِيْبَ بِكَسْرٍ لا يُجْبَرُ يَوْمَ كَرْبَلاءَ. ثُمَّ يستأنفُ كلامَهُ واصفًا حالَ الحسينِ ورفاقِهِ فى ذلكَ اليومِ. فَهُمْ بينَ سَبْيٌ يقادُ بقوةِ الرِّمَاحِ، وقتيلٍ هو بالترابِ مُعَفَّرٌ، وجرحى بالرماحِ والسيوفِ، وَصَرْعَى هُمْ للضِّبَاعِ والنسورِ طعامٌ، ثم تأتى الأبياتُ السابقةُ، وفيها يَسْتَأْنِفُ المرْتَضَى كلامَهُ بالفاءِ مُهَدِّدًا بنى حَرْبٍ، مُخْبِرًا إيَّاهم بأنَّهُم قد أخطَؤُا حين ظَنُّوا بأنَّ ما سَلَفَ منهم بالأمسِ يومَ كَرْبلاءَ سَيُنْسَى، وأَنَّ دَمَ أبناءِ فاطمةَ لَنْ يَذْهَبَ هَدَرًا.

وَقَدْ اعترضَ المرتضى فى الأبياتِ السابقةِ بينَ القولِ " فَقُلْ " وَمَقُوْلِهِ، وهو قَوْلِهِ " ظَنَنْتُم بأنَّ الذى أُسْلَفْتُمُ لَيْسَ يُذْكَرُ " بمركبٍ اسميٍّ إسناديٍّ، وهو قولُهُ " وفى القلبِ منهم دفائنُ تبدو عن قليلٍ وتظهرُ " ؛ وذلكَ ليؤكدَ لمتلقيه أَنَّ قلوبَ العلويينَ تمتلئُ بالضَّغائِنِ الدفينةِ لبنى حربٍ (الأمويين) وأَنَّ ما يظهرُ منها إِنَّما هو غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ.

١- الديوان : ٢/ ٢٩ (من الطويل).

ثم يبدأُ الشاعرُ بَعْدَ هذا السياقِ فى إظهارِ بعضِ دفَائِنِهِ حَيْثُ يُوَجِّهُ اللَّومَ إلى بنى حرب وَيُعَنِّفُهُمْ، وينذرُهم بظهورِ المهديِّ الذى يثأرُ مِنْهُمْ، فيقولُ خاتِمًا قَصِيْدَتَهُ :[1]

وَيَثْــأَرُ مِــنْكُمْ ثــائرٌ طَــالَ مَطْلُــهُ وَقَــدْ تُظْفِــرُ الأَيَّــامُ مَــنْ لَــيْسَ يَظْفَــرُ

فالقصيدةُ – إِذَنْ مُتَمَاسِكَةٌ مترابطةٌ تَرْكِيبيًّا ودَلاليًّا. وَقَدْ استطاعَ المرتضى بهذا الاعتراضِ – فى سياقِهِ الذى وَرَدَ فيه من القصيدةِ أَىْ بَعْدَ تصويرِهِ لما حدثَ لآلِ البيتِ – أَنْ ينقلَ مَشَاعِرَهُ لمتقليه نحو بنى حَرْبٍ بَلْ أَنْ يَصُبَّهَا صبًّا فِيْهِ.

وَمِنْ مقطوعةٍ فى رثاءِ صديقٍ يقولُ :[2]

أقولُ – وَقَدْ عَزَّ اصْطِبَارِىَ – هكذا أرادَ مليــكُ الأرضِ أو هكــذا قَــضَى

والمرتضى فى البيتِ السابقِ يُعَزِّى نَفْسَهُ عزاءً يفيضُ نَدْبًا وبكاءً.

ولذا فهو فيه قد اعترضَ بين القولِ " أقولُ " ومقولِهِ : " **هكذا أرادَ مَلِيْكُ الأرضِ** " بالمركبِ الفعلىِّ المَسْبُوقِ بِقَدِ التَّحْقِيْقِيَّةِ " **وقد عَزَّ اصْطِبَارىَ** " ؛ لِيُنَبِّهَ عَلَى فَدَاحَةِ المصَابِ، وأنَّه – وَإِنْ كانَ يَرْضَى بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِه – لا طاقةَ له على تَحَمُّلِهِ.

٨- الاعتراضُ بينَ خبرِ النَّاسِخِ واسْمِهِ :

ومن قصيدةٍ يُعَزِّىْ فيها أبا الحسن علىَّ بنَ شهفيروزَ فِىْ أَخِيْهِ، يقولُ :[3]

والمــوْتُ دَاْءٌ مَــاْ لَــهُ -عِنْــدَ المــدَاوِى- مِــنْ دَوَاْءِ

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سياقِ حديثِ الشاعرِ عَنْ حتميةِ الموتِ، وَمِنْ ثَمَّ فالشَّاعِرُ يُقِرُّ فيه بِأَنَّ الموتَ دَاْءٌ عَيَاءٌ لاْ بُرْءَ مِنْهُ وَلاْ شِفَاءَ.

وقد اعترضَ المرتضى بينَ مُتَعَلِّقِ خَبَرِ النَّاسِخِ " **لَهُ** " وَاسْمِهِ " **دَوَاْء** " بالمركبِ الظرفىِّ " **عِنْدَ المدَاوِى** " ؛ لِيُؤَكِّدَ اسْتِحَالَةَ الفرارِ من الموتِ، وَأَنَّ الموتَ لا طِبَّ لَهُ ولا

1- الديوان ٢/ ٢٩.

2- الديوان ١/ ١٢ (من الطويل).

3- الديوان ١/ ٢٠ (من مجزوء الكامل).

بُرْءَ مِنْهُ. فها هو ذَا الطبيبُ المُدَاوِى الذى يَشْفِىْ من الأَدْوَاءِ يَقِفُ أَمَامَ دَاءِ الموتِ عَاْجِزًا عَنْ فِعْلِ شَيءٍ أَىَّ شَيءٍ.

وفى مطلعِ مقطوعةٍ فى الغزلِ يقولُ :(1)

مــا كــانَ عِنْــدِىْ - والرِّكَــابُ مُنَاْخَــةٌ   قَبْــلَ التَّفَــرُّقِ - أَنَّنِـــىْ أُشْـــتَاْقُ

والمُرْتَضَى يُصَوِّرُ فى هذه المقطوعةِ حَالَّهُ بَعْدَ رَحِيْلِ محبوبتِهِ / الخِلافَةِ عَنْهُ ويظهرُ قِلَّةَ صَبْرِهِ على فراقِها. وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فى البيتِ السابقِ يُخْبِرُ بأَنَّهُ لم يعتقدْ أبدًا أَنَّ الدَّهْرَ سيفرقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ محبوبته / الخلافةِ.

وَقَدْ انحرفَ المرتضى عَنْ النِّظَامِ النَّحْوِىِّ، واعترضَ بينَ خبرِ كان " عندى " واسمِها " أننى أُشْتَاقُ " بالمركبِ الاسمىِّ الإسنادىِّ " والرِّكابُ مُنَاخَةٌ قبلَ التَّفَرُّقِ " ؛ لِيُنَبِّهَ المتلقى على أَنَّ هذا الاعتقادَ كان يَدُوْرُ بِخَلَدِهِ سَاْعَةَ قُرْبِ مَحْبُوبتِهِ / الخِلاَفَةِ مِنْه قَبْلَ التَّفَرُّقِ.

٩- الاعتراضُ بَيْنَ مُتَعَلَّقِ الخبرِ المحْذُوفِ والمبتدإِ المؤَخَّرِ :

وَمِنْ قَصِيْدَةٍ فى رِثَاءِ جَدِّهِ الحسينِ ﷺ، يقولُ:(2)

بالـــدَّارِ - ظُلْـــمًا - غـــيرُ سُـــكَّانِهَا   وَقَـــدْ قَـــرَىْ مَـــنْ لَمْ يَكُـــنْ يَقْـــرِىْ

وَمِنْ المعلومِ أَنَّ مَنْ يَقْرِى الضَّيفَ أَىْ يُطْعِمُهُ وَيُكْرِمُهُ هُوَ صاحَبُ الدَّارِ.

وَإِذَنْ فقولُ المرتضى فى البيتِ السابقِ : "وقد قَرى مَنْ لَمْ يَكُنْ يَقْرِى " كنايةٌ عن أولئكَ الذينَ صاروا أصحابَ دَاْرٍ، وكانوا - قَبْلًا - لا يمتلكونها. والدارُ التى يتحدثُ عنها المرتضى - هاهنا - هى دَارُ الخلافةِ وَقَدْ وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سياقِ حديثِ المُرْتَضَى إلى صاحبِهِ الذى سَكَنَ القبرَ متمنيًا أَنْ يكونَ بِجِوَاْرِهِ ؛ لأنه لا يستطيعُ أَنْ يدركَ ثَأْرَهُ من أعدائِهِ، فيخففَ جراحَ صَدْرِهِ.

1- الديوان ٢/ ٢٩٤ (من الكامل).

2- الديوان ٢/ ٩٣ (من السريع)

والشَّاعرُ فِي البيتِ يَتَوَجَّهُ بخطابِهِ الشعريِّ إلى صديقِهِ الذى وَارَاهُ في التُّرَابِ مُتَحَسِّرًا عَلَى ضَيَاعِ دَارِ الخلافةِ، وَمُقَرِّرًا لَهُ أَنَّ الأعداءَ قَدْ اغْتَصَبُوهَا، وَصَارَتْ لهم، وكانتْ – قَبْلًا – لِغَيْرِهِمْ.

وَقَدْ اعْتَرَضَ المرْتَضَى بَيْنَ مُتَعَلِّقِ الْخَبَرِ المحْذُوفِ " بالدَّارِ "، والمبتدإِ المُؤَخَّرِ " غيرُ سكانها " بالمفعولِ لأَجْلِهِ " ظُلما " ؛ ليؤكدَ أَنَّهُ لا حَقَّ للأعداءِ فى دارِ الخلافةِ التى اغْتَصَبُوها، وأنَّ استيلاءَهُمْ عليها كان ظلمًا منهم لآلِ البيتِ ؛ لأنها حَقُّهُمْ المنصوصُ عليه قرآنًا وحديثًا شريفًا على حَدِّ زَعْمِ الشِّيْعَةِ.

ومن قصيدةٍ فى الافتخارِ، يقولُ :[1]

وَلَنَا – يَعْلَمُ الأَنَامُ – قَنَاةٌ ... لَيْسَ فيها لِعَاجِمِيْهَا صُدُوْعُ

وقد وَرَدَ البيتُ فى سياقِ فخرِ المرتضى بقوةِ قومِهِ. وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فى البيتِ السابقِ يؤكدُ باسميهِ الجملةِ – أنهم يمتلكونَ رُمْحًا صُلْبًا لا يتصدَّعُ عند الحربِ. وذلك كنايةٌ عن قوتِهم وبأسِهم فى الحروبِ.

وَقَدْ اعْتَرَضَ المرْتَضَى بَيْنَ مُتَعَلِّقِ الْخَبَرِ المحْذُوفِ " لنا "، والمبتدإِ المؤَخَّرِ " قَنَاةٌ " بالمُرَكَّبِ الْفِعْلِيِّ " يَعْلَمُ الأنامُ " ؛ ليشيرَ إلى أنَّ هذه القُوَّةَ التى ذَكَرَها لقومِهِ ليستْ شيئًا يَدَّعِيْه لهم، بَلْ هى شَيْءٌ مُقَرَّرٌ لقبيلتِهِ العظيمةِ قد عَلِمَهَا الناسُ جميعًا ؛ وذلكَ مما يرهبُ الأعداءَ.

وفى مطلعِ قصيدةٍ يُعَزِّى فيها الخليفةَ القادرَ العباسيَّ يقولُ المُرْتَضَى:[2]

مَا فِيْ السُّلُوِّ لَنَا نصيبٌ يُطْلَبُ ... الحزنُ أَقْهَرُ والمصِيْبَةُ أَغْلَبُ

لَكِ – يَا رَزِيَّةُ – فِيْ فُؤَادِيَ زَفْرَةٌ ... لا تُسْتَطَاعُ وَمِنْ جُفُونِيَ صَيِّبُ

والشاعرُ فى البيتِ الأولِ يُقِرُّ بِأَنَّهُم لَنْ يَسْتَطِيْعُوا النِّسْيَانَ ؛ لأنَّ المصيبةَ التى

---

1 – الديوان ٢/ ٢٠٣ (من الخفيف).

2 – الديوان : ١/ ٤٧ (من الكامل).

حلَّتْ بهم أَعْظَمُ من أن تُنْسَى. وفى البيتِ الثانى يؤكدُ – باسميةِ الجملةِ – أنها مصيبةٌ لا تُحْتَمَلُ وأنه سَيَذْرِفُ عليها الدَّمْعَ مِدْرارًا.

وَقَدْ اعْتَرَضَ المُرْتَضَى بَيْنَ مُتَعَلِّقِ الْخَبَرِ المحْذُوفِ "لَكِ" والمبتدإِ المؤَخَّرِ "زَفْرَةٌ" بجملةِ النِّدَاء "يا رَزِيَّةُ". فقالَ "لَكِ – يَا رَزِيَّةُ – زفرةٌ لا تُسْتَطاعُ" مخاطبًا الرَّزِيَّةَ، وكأنَّهَا – وهى شَيْءٌ مَعْنَوِيٌّ لا يُرَى – حاضرةٌ أمامَهُ يَرَاها بِعَيْنَيْهِ ويُحَادِثُهَا، مما يوحى بأنَّ المصِيبَةَ عظيمةٌ، حتى خُيِّلَ إليه – من عِظَمِها أنها قد صَارَتْ شَيْئًا مُجَسَّدًا مُحَسًّا يَرَاه بِعَيْنَيْهِ، فمضى يخاطبُها مقرًّا لها أنَّه قد أصبحَ عاجزًا أمامَها، وأنه لا رَادَّ لها.

وفى مطلعِ قصيدةٍ فى الغزلِ يقولُ:(1)

مِنَّا الوِصَالُ وَمِنْكُمُ الْهَجْرُ	وَعَلَى إِسَاءَتِكُمْ بِنَا الشُّكْرُ
وَلِكُلِّ مَنْ أَسْدَى الجميلَ سِوَى	مُسْدِي الجميلِ إِلَيْكُمُ – أَجْر

والشَّاعِرُ فِى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ يَتَحَدَّثُ عَنْ بُخْلِ صاحبتِهِ / الخلافةِ بالوصالِ، فيؤكدُ لها مُسْتعطفًا أنه يُوَاصِلُها وهى تَهْجُرُهُ، وأنه يشكرُها على إساءَتِها بِهِ، كما يؤكدُ لَها أنَّ مَنْ يُقَدِّمُ معروفًا لأحدٍ يَجْزِيهِ عَلَى مَعْرُوفِهِ.

وقد اعْتَرَضَ المرتضى بينَ مُتَعَلِّقِ الْخَبَرِ المحْذُوفِ "لِكُلِّ مَنْ أَسْدَى الجميلَ" والمتبدإِ المُؤَخَّرِ "أجرُ" بالمركبِ الإضافيِّ / الاستثناءِ "سِوَى مُسْدِي الجميلِ إِلَيْكُمُ"؛ لِيُنَبِّهَ صاحبتَهُ على أنها تَخْتَلِفُ عن النَّاسِ جميعًا، وأنها تَلْتَزِمُ سُلُوكًا لا يلتزِمُهُ أحدٌ لَعَلَّهَا ترجعُ عن غَيِّها. فالناسُ يُكَافِئُوْنَ من يُحْسِنُون إليهم أَمَّا هِيَ فلا تَجْزِي مَنْ يُقَدِّمُ لها جَمِيْلًا.

١٠– بين الصِّفَةِ والموصوفِ:

ومن قصيدةٍ يَرُدُّ بها على قصيدةِ أبى سعدِ عليِّ بنِ خَلَفٍ، يقولُ:(2)

1- الديوان ٢/ ٥ (من الكامل).

2- الديوان ٢/ ٧٤ (من الكامل).

هل تذكرونَ – فإننى لم أَنْسَهُ – ذَاْكَ التَّدَانِىْ فى الزَّمَانِ العَاْبِرِ؟
إِذْ نَحْنُ فِىْ أَرْضِ التَّصَابِىْ جِيْرَةٌ فِىْ ظِلِّ أَيَّام – هُنَاكَ – نَضَائِرِ

وَقَدْ وَرَدَ البيتانِ فى سياقِ تذكرِ المرتضى لأيامِ الوصالِ التى كانتْ بَيْنَهُ وبينَ صديقِهِ. وهو فى البيتينِ يقررُ أنَّ صديقَهُ ما زالَ يَذْكُرُ الأيامَ السالفةَ الجميلةَ / أيامَ القربِ والوصالِ التى لم يَنْسَها الشَّاعرُ. فقد كَانَا – وهما صَبِيَّانِ – مُتَجَاوِرَيْنِ.

وَقَدْ اعترضَ المرتضى بين الصفةِ "نَضَائِرِ" والموصوفِ "أيامِ" باسمِ الإشارةِ "هناك" الذى يشيرُ إلى المكانِ الذى يجمعُ المرتضى بصديقِهِ؛ وذلكَ لِيُنَبِّهَ على مَدَى حُبِّهِ لهذا المكانِ، وأنه عزيزٌ عليه. فهو دائمًا ما يحنُّ إِلَيْهِ وَيَذْكُرُهُ طالما ذَكَرَ أَيَّامَ الوِصَالِ.

وفى مطلع قصيدةٍ فى الفخرِ، يقولُ المرتضى:[1]

قد كانَ يُدْرِكُ عِنْدَكُنَّ السُّؤْلُ ... فالآنَ لا وَصْلٌ ولا تَعْلِيْلُ
لَيْلِىْ – وأنتمْ نُزَّحٌ بِمُحَجَّرِ – ... لَيْلٌ – كما شاءَ الغرامُ – طَوِيْلُ

والشاعرُ فى البيتِ الأولِ يتحدثُ عن علاقتِهِ بمحبوبتِهِ / الخلافةِ، وأنَّها كَانَتْ قَائِمَةً فى الماضى على الوصالِ ثم تحولتِ الحَبِيْبَةُ / الخلافةُ – بَعْدُ – إلى الصَّدِّ والاجْتِنَابِ دونَ ذِكْرِهَا للأسبابِ. أما فى البيتِ الثانى فنراه يخبرُ متألمًا بطولِ لَيْلِهِ يومَ رحيلِ محبوبتِهِ / الخلافةِ.

ولذا فقد اعترضَ المرتضى فى البيتِ الثانى بين الموصوفِ "ليل" والصِّفَةِ "طَوِيْلٌ" بمركبِ الجارِّ والمجرورِ "كما شاءَ الغرامُ" رَغْبَةً منه فى وَصْفِ حَالَتِهِ فى تلكَ الليلةِ. فقد قَضَى الشاعرُ لَيْلَتَهُ مُسَهَّدًا أَرِقًا؛ إِذْ إِنَّ ليلَ العُشَّاقِ – كَمَا هُوَ مَعْلومٌ – ليلٌ يَمْلَؤُهُ الألَمُ.

١١ – الاعتراضُ بَيْنَ الفعلِ والمفعولِ المُطْلَقِ :

يقولُ المرتضي فى النَّسِيبِ :[2]

---

1 – الديوان ٣/ ٣١ (من الكامل).

2 – الديوان ١/ ٢٩٤ (من الطويل).

صَدَدْتِ – بلا جُرْمٍ – صُدُودَ قَطِيْعَةٍ وَعنْدَكِ أَنِّي لا أجازيكِ بالصَّدِّ
وَغَرَّكِ أَنِّي فى إِسَارٍ مِنَ الهوى وَكَمْ فَلَتَ المأسورُ من حَلَقِ القِدِّ
فَلاْ تَطْلُبِيْ مَاْ لَيْسَ عِنْدِيْ تَعَنُّتًا سيكفيكِ مِنِّي – لو تَأَمَّلْتِ – مَا عِنْدِيْ

وهذه مقطوعةٌ يتوجه فيها المرتضى بخطابِهِ الشعريِّ إلى صاحبتِهِ / الخلافةِ التى انْصَرَفَتْ عَنْهُ، وبانتْ مِنْهُ واثقةً مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ بقادرٍ على أَنْ يبتعدَ عنها ؛ لأنه – فى ظَنِّها – قد وَقَعَ فى شَرَكِ الهوى، وأصبحَ مُكَبَّلًا بقيودِهِ ؛ ولذا فهو يخبرُها بأنها مُخْطِئَةٌ فى ظَنِّها، وأَنَّهُ بإمكانِهِ أن يَفْلِتَ مِنْ قيودِ هَوَاْهَا.

ولو اقتصرَ المرتضى على هذا القولِ لكفى، ولما أَتى بالاعتراضَيْنِ فى البيتينِ الأولِ والثالثِ . لكنه انحرفَ عن ذلكَ، وَاعْتَرَضَ فِى الْبَيْتِ الأَوَّلِ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالمفْعُوْلِ المطْلَقِ بمركبِ الجارِّ والمجرورِ، فقالَ : " صَدَدْتِ – بلا جُرْمٍ – صُدُوْدَ قَطِيْعَةٍ " ؛ لِيُبَيِّنَ أَنَّهَا مُخْطِئَةٌ فى صَدِّهَا، ولا مُبَرِّرَ لِفِعْلِهَا، فَهُوَ لَمْ يرتكبْ ذنبًا تعاقبُهُ عَلَيْهِ.

ثُمَّ اعترضَ المرتضى فى البيتِ الثالثِ بالمركبِ الفعليِّ بينَ الفعلِ والفاعلِ، فقالَ : "سَيَكْفِيْكِ مِنِّى – لو تَأَمَّلْتِ – مَاْ عِنْدِي " ؛ لِيُؤَكِّدَ المعنى المفَادَ مِنَ الاعتراضِ فى البيتِ الأولِ من أنها (المحبوبةَ / الخلافةَ) مخطئةٌ فيما فَعَلَتْ وأنها لَمْ تُعْمِلْ عَقْلَهَا، وَلَمْ تَتَدَبَّرْ أَمْرَهَا، فهى إِنْ احْتَكَمَتْ إلى الْعَقْلِ لَفَازَتْ بِقُرْبِهِ، وَهَنِئَتْ بِوَصْلِهِ.

١٢ – بَيْنَ فِعْلِ الشَّرْطِ وَجَوَابِهِ :

وَفِى مَطْلَعِ قصيدةٍ يَرْثِى بِهَا جَدَّهُ الحسينَ ﷺ، يقولُ: (١)

عَرِّجْ على الدَّرَاسَةِ القَفْرِ وَمُرْ دموعَ العينِ أَنْ تَجْرِى
فَلَوْ نَهَيْتُ الدَّمْعَ عَنْ سَحِّهِ – والدارُ وحشٌ – لَمْ تُطِعْ أَمْرِى

والمرتضى فى هذا المطلعِ يطلبُ مِنْ صاحبِهِ أَنْ يَمُرَّ على ديارِ الأحبةِ ذَارِفًا الدَّمْعَ

١ – الديوان ٢/ ٩٢ (من السريع).

دُوْنَ تَوَقُّفٍ، ويخبرُهُ بأنَّ ذلكَ حَالُهُ أيضًا، وأن دَمْعَهُ يَنْهَمِلُ مُمْتَنِعًا عَنِ التَّوَقُّفِ.

وقد اعترضَ الشاعرُ بينَ فعلِ الشرطِ " نَهَيْتُ الدَّمْعَ عن سَحِّه" وجوابِ الشرطِ " لم تُطِعْ أَمْرِى" بالمركبِ الاسميِّ الإسناديِّ " والدارُ وحشٌ " ؛ ليشيرَ إلى أنَّـهُ سيستمرُ فى البكاءِ على هذه الديارِ الَّتِى طَالَمَا رَحَلَ عَنْها أَهْلُهَا فَخَرِبَتْ وذلكَ مما يوحى لمتلقيه بأنَّ عينَهُ ستكفُ عـن الـدَّمْعِ عنـدما يعـودُ الرَّاحِلُـونَ / آلُ البيـتِ إلى أوطـانِهم / الخلافةِ، وَتُعَمَّرُ دُوْرُهُمْ.

وفى مطلعِ قصيدةٍ فى النَّسِيْبِ يقولُ : (1)

حَمَلْـتُمْ - كَـمَا شـئتم - عَـلَىَّ كَـاْهِلِى	وَأَرْشَـدتُمُ نَـارَ الْغَـرَامِ إلَـى قَلْبِـى
ولَـمَّـا دَخَلْـتُمْ بـالهَوى فى جَوَانِحِـى	-بِـمَا جَنَـتِ العينـانِ - لانَ لَكُـمْ صَـعْبِى

وَقَدْ وَرَدَ البيتانِ فى سياقِ مخاطبةِ الشاعرِ لمحبوبَتِهِ / الخلافةِ حاثًّا لها على حُبِّهِ، مخبرًا إياها بأنَّهُ قَدْ تَحَمَّلَ الكثيرَ فى هواها، وأنَّ قلبَهُ قَدْ اكتوى بنارِ حُبِّهَا، وأنَّهُ أَصْبَحَ سَهْلَ القيادِ لَهَا.

وقد اعْتَرَضَ المرْتَضَى فِى الْبَيْتِ الثَّانِى مِنْهَا بَيْنَ فِعْلِ الـشَّرْطِ " دَخَلْـتُم بـالهَوَى فى جَوَانِحى " وجوابِهِ " لانَ لَكُمْ صَعْبِى " بِمُرَكَّبِ الجارِ والمجرورِ" بما جنتِ الْعَيْنَـانِ " ؛ ليشيرَ إلى سببِ حُبِّهِ، وَأَنَّهُ كَانَ بِنَظْرَةٍ مِنْ عَيْنِهِ.

ومن قصيدةٍ فى الشَّيْبِ، يقولُ : (2)

وَلاْ تَطْلُبِـى شَـيْئًا يَكُـونُ طِلاْبُـهُ	- وَقَـدْ ضَـلَّ عنـه رَائِـدُوه - عنـاءَ
فإنـكِ إنْ ناديـتِ غِـبَّ تَلَهُّـفٍ شَـبَابًا	- وقـد وَلَّى - أَضَـعْتِ نِـدَاءَ

وَقَدْ وَرَدَ البيتانِ السَّابِقَانِ فى سِيَاقِ مخاطبةِ المرتضى صاحبتَهُ / الخلافةَ التى تَـأْبَى الشَّيْبَ / الضَّعْفَ منه، وتطلبُ الشَّبَابَ / القُوَّةَ، مُيَئِّسًا لها من عَوْدَتِـهِ (الـشباب)

1- الديوان ١/ ١١٨ (من الطويل).

2- الديوان ١/ ١٨ (من الطويل).

إليه مُخْبِرًا إِيَّاها بأنَّهُ لا طائلَ من وراءِ طَلَبِهَا وقدْ اعترضَ المرتضى بين فعلِ الشرطِ " نَادَيْتِ شَبَابا" وجوابِهِ " أَضَعْتِ نِدَاءَ " بالمركبِ الفعليِّ " وَقَدْ وَلَّى " ؛ ليشيرَ إلى أَنَّ عدمَ تلبيةِ الشبابِ / القُوَّةِ لِطَلَبِهَا ومثولِهِ بينَ يَدَيْهَا ليسَ فى كُلِّ حالٍ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ فِى حَالِ مُضِيِّهِ وذهابِهِ فَحَسْبُ.

١٣ - بين الصلة والموصول :

وَمِنْ قصيدةٍ فى رثاءِ جَدِّهِ الحسينِ ﷺ يقولُ:(١)

يـــا آلَ أحمـــدَ والذيـــــــنَ - غَـدًا - بحـبِّهِمُ نَجَـاتِى

وقد وردَ هذا البيتُ فى سياقِ مخاطبةِ الشاعرِ آلَ البيتِ ووصْفِهِمْ بأنَّهُم سَيَشْفَعُوْنَ لِمَنْ يُحِبُّوْنَهُم. وقد اعترضَ الشاعرُ بينَ الاسمِ الموصولِ " الذينَ " وصلتِهِ " بِحُبِّهِم نَجَاتى " بالظرفِ " غَدا " ؛ لِيُنَبِّهَ على أَنَّ هذه الشفاعةَ ستكونُ - لا مَحَالَةَ - فى الغَدِّ أى فى يومِ القيامةِ.

فالتركيبُ السابقُ يشيرُ إلى ما زَعَمَه الشِّيْعَةُ ودعاتُهم من أَنَّ آلَ البيتِ (العلويينَ) بيدِهِم النَّجَاةُ يومَ القيامةِ فـ "لَقَدْ بَلَغَ بهم الغُلُوُّ فى عليٍّ بنِ أبى طالبٍ ﷺ أَنْ يَصِفُوه بأَنَّهُ عينُ الإلِه - تعالى الله عَمَّا يصِفُونَ - وأنه محيطٌ بعلمِ الغَيْبِ ولا تخفى عنه خَافِيَةٌ وأنه عِلَّةُ إيجادِ الكائناتِ، وأنه بيدِهِ النَّجَاةُ، وَرَمْيُ أعدائِه فى النَّارِ "(2)

ومن قصيدةٍ فى رثاءِ زوجَتِهِ أُمِّ محمدٍ، يقولُ :(3)

وقد كنتُ من قبلِ الفِرَاقِ أَهَابُهُ كَمَا هَابَ ظُلمانُ الصَّرِيْمَةِ أُسْدَهَا

---

1 - الديوان ١ / ١٤٦ (من مجزوء الكامل).

2 - عامر النجار: فى مذاهب الإسلاميين، الخوارج - الإباضية - الشيعة - دار المعارف - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٩٥ م - ص ١٧٧ .

3 - الديوان ١ / ٢٤٨ (من الطويل).

وَأُشْفِقُ مِمَّا - لا محالةَ - واقعٌ　　　وَهَلْ للمنايا قادرٌ أَنْ يَرُدَّهَا

وقد وردَ البيتانِ السَّابقانِ فى سياقِ نَدْبِ المرتضى زَوْجَتَهُ نَدْبًا كُلُّهُ صُرَاخٌ وعَوِيلٌ. والشاعرُ فى البيتينِ يؤكدُ أنَّه كانَ يتوقعُ الفِرَاقَ ويخشاهُ خَشْيَةَ النَّعَامِ للأسدِ، وأنه كانَ يخافُ الموتَ الذى لا يستطيعُ أحدُ أىُّ أَحَدٍ أَنْ يَرُدَّهُ.

وقد اعترضَ المرتضى بينَ الاسمِ الموصولِ "ما" وصلتِهِ "واقع" بالمركبِ الاسمىِّ / لا النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ وَاسْمِهَا "لا مَحَالَةَ"؛ لِيُؤَكِّدَ أَنَّ المَوْتَ لا مَهْرَبَ مِنْهُ ولا مَفَرَّ فهو لا شَكَّ وَاقِعٌ.

١٤ - الاعتراض بين الحال وصاحبها :

ومن قصيدةٍ قصيرةٍ فى الغزلِ، يقولُ المرتضى : [1]

ثُمَّ وَلَّى - كما أتى - أَرِجَ الأَخْـ　　　ـبَارِ فى النَّاسِ طَيِّبَ الأثوابِ.

والمرتضى فى القصيدةِ يَصِفُ مَشْهَدًا من مشاهدِ الحُبِّ واللِّقَاءِ بَيْنَهُ وبينَ محبوبِهِ، يَنُمُّ عن عفتِهما وينبئُ عَنْ طُهْرِهِمَا. فالمحبوبُ قَدْ أَتَاهُ ليلًا وباتَ مَعَهُ، عَلَى أَنَّهُمَا لَمْ يَأْتِيَا بِمُنْكَرٍ، فَهُمَا لَمْ يَفْعَلا سُوءًا، ولم يُصِيبَا قَبِيحًا، فَقَدْ كَانَتْ خَشْيَةُ اللهِ حِائِلًا بَيْنَ الْمُحِبَّيْنِ وفعلِ القبيحِ.

والمرتضى فى البيتِ السابقِ يخبرُ بأنَّ محبوبَهَ قد انصرفَ عنه - بعد أن قَضَى الليلَ مَعَه - وسيرتُهُ عَطِرَةٌ، وَعِرْضُهُ طَاهِرٌ لم يُدَنَّسْ.

ولو اقْتَصَرَ المُرْتَضَى عَلَى هذا المعْنَى لَكَفَى، وَلَمَا أَتَى بالاعْتِرَاضِ بَيْنَ الحالِ "أَرِجَ الأخبارِ" وصاحِبِها الضميرِ المستترِ فى الفعلِ "وَلَّى" العائدِ على المَحْبُوبِ. وَلَكِنَّهُ اعْتَرَضَ بينهما بالمركبِ الإضافىِّ "كما أَتَى" [2]، فقال : "ثُمَّ وَلَّى - كَمَا أَتَى - أَرِجَ

1- الديوان ١ / ٧٦ (من الخفيف).

2- الكافُ : اسمٌ بمعنى (مثل)، مبنى على الفتحِ، فى محلِّ نصبٍ، مفعولٌ مطلقٌ لـ (ولَّى) نائبٌ عن المصدرِ.

الأَخْبَارِ " ؛ لأنه أرادَ أَنْ يُنَبِّه على أن محبوبَهُ طيبُ السُّمْعَةِ، معروفٌ بالعِفَّـةِ والطُّهْـرِ، فَهُمَا سَجِيَّةٌ مُتَأَصِّلَةٌ فيه. فلا غَرْوَ – إِذَنْ – من محافظتِهِ على عِفَّتِهِ حالَ بياتِـهِ عِنْـدَهُ. " وكثيرٌ من هذا الغزلِ العذريِّ كان يصوغُهُ العلماءُ والفقهاءُ صورةً لطهارةِ نفوسِـهم ونقائِها وما يَتَجَشَّمُونَ فى الحُبِّ من آلامٍ دونَ أن يشوبَ تَفْكِيرَهُمْ شَيْءٌ مـن الغريـزةِ النوعيةِ، فقد تَسَامَوْا عن الحِسِّ وكلِّ ما يتصلُ بالحِسِّ "[1] .

وهو مضافٌ . و"مَا" مصدريةٌ . والمصدرُ المؤولُ من "ما" وما بعدها فى محل جرٍّ، مضافٌ إليه. والتقديرُ : ثمَّ وَلَّى مثلَ إتيانه.

1 – شوقى ضيف : عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية – العراق – إيران) – دار المعارف – الطبعة الرابعة ١٩٩٦ م – ص ٦٠٥ .

القصـــــر

تمهيد:

وَالْقَصْرُ فِى اللُّغَةِ هو الْحَبْسُ (1) وَفِى اصْطِلاَحِ البَلاغِيِّيْنَ هُوَ " تَخْصِيْصُ الموْصُوْفِ عِنْدَ السَّامِعِ بِوَصْفٍ دُوْنَ ثَانٍ " (2) أو هـو تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ بطريـقٍ مخصوصٍ، والشيءُ الأولُ هـو المقـصورُ "الموصـوفُ"، والثـانى هـو المقـصورُ عليـه "الـصفة"، والطريقُ المخصوصُ هو أدواتُ القصرِ، والمرادُ بتخصيصِ الـشيءِ بالـشيءِ إثبـاتُ الحكمِ للمذكورِ ونفيُهُ عن غيرِهِ، وبهذا تكونُ جملةُ القـصرِ فى قُـوَّةِ جملتـين، ويكـونُ القصرُ طريقًا من طُرقِ الايجازِ. (3)

" ويجبُ أَنْ نلاحظَ أَنَّ "الحكمَ" المقصودَ هو "صفةٌ" تعملُ الصِّيَاغَةُ عـلى إلحاقِهـا "بموصوفٍ "، ولا نعنى هنا الصفةَ النَّحْويةَ، بل نعنى الصِّفَةَ المعنويَّـةَ، بـل إنَّ الأولى ليس لها مدخلٌ فى بنيةِ القصرِ لأنه غـيرُ مـسموحٍ – نَحْوِيًّـا – بالفـصلِ بـينَ الـصفةِ والموصوفِ بأداةِ الاستثناءِ " (4)

وَقَدْ قَيَّدَ الْبَلاغِيُّوْنَ التَّخْصِيْصَ "بِالطَّرِيْقِ المخْصُوْصِ " ؛ لِيَخْـرُجَ كُـلُّ مَـا أَفَـادَ الْقَصْرَ بِغَيْرِ تِلْكَ الطُّرُقِ المخْصُوْصَةِ، وَذَلِكَ نَحْوُ : مُحَمَّدٌ مَقْصُوْرٌ عَلَى الْعِلم. . وَجَاءَ عَلِيٌّ وَحْدَهُ. . وَزَيْدٌ يَخْتَصُّ بِقَوْلِ الشِّعْرِ.

فَهَذِهِ الأَقْوَالُ – وَإِنْ أَفَادَتْ اخْتِصَاصَ شَيْءٍ بِشَيْءٍ – لا تَدْخُلُ فِى نِطَاقِ دِرَاسَةِ الْبَلاغِيِّيْنَ

1- ينظر : الزمخشرى : أساس البلاغة : مادة (قصر) – ص ٥٠٩ .

2- السكاكى: مفتاح العلوم – مرجع سابق – ص ١٦٢ .

3- ينظر : عبدالمتعال الصعيدى : بغية الايضاح لتلخيص المفتاح – جـ٢ – ص ٣ .

4- محمد عبدالمطلب : البلاغة العربية، قراءة أخرى – مرجع سابق – ص ٢٦١ .

وَمَيْدَانِ بَحْثِهِمْ ؛ لأَنَّ التَّخْصِيص فِيْهَا لَمْ يَتِمْ عَنِ الطُّرُقِ المخصُوصَةِ الَّتِي ذَكَرُوها.

وَتَجْدُرُ الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ عَبدَالقَاهِرِ الجرجَانِيَّ كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَنَاوَلَ بَعْضَ قضايا الْقَصْرِ وَدَلالاتِهِ، وَمَا لَهُ مِنْ أَثَرٍ فِي الأُسْلُوْبِ، وَذَلِكَ فِيْ مَعْرِضِ حَدِيْثِهِ عَنِ الرَّبْطِ بِـ " إِنْ " ثُمَّ حَدِيْثِهِ عَنْ " إِنَّمَا "، وَمَا تَتَضَمَّنُهُ مِنَ المعْنَى، وَمَا تَشْتَرِكُ بِهِ مَعَ غَيْرِهَا، وَمَا تَنْفَرِدُ بِهِ كُلُّ أَدَاةٍ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ تَطَرَّقَ - أَيْضًا - إِلَى الْحَدِيْثِ عَنِ الْقَصْرِ بِالنَّفْيِ والاسْتِثْنَاءِ وَالْعَطْفِ[1].

وَلَقَدْ فَتَحَتْ إِشَارَةُ عَبْدِ الْقَاهِرِ الْبَابَ أَمَامَ مُتَأَخِّرِي الْبَلاغِيِّيْنَ، وَهُمْ قَدْ اهْتَمُّوا بِتُرَاثِهِ الْبَلاغِيِّ، وَعَمَدُوْا إِلَى وَضْعِ المصْطَلَحَاتِ لَهُ، وَالتَّفْرِيْعِ عَلَيْهِ. وَقَدْ تَحَدَّدَتْ عَلَى أَيْدِيْهِمْ مُصْطَلَحَاتُ هَذَا المبْحَثِ، كَمَا تَحَدَّدَتْ عَلَىْأَيْدِيْهِمْ مُصْطَلَحَاتٌ أُخْرَى.

والْقَصْرُ فى الشِّعْرِ يقومُ على تَحْدِيْدِ المقصورِ ثُمَّ اختيارِ مقصورٍ عليه من عددٍ من البدائلِ ؛ ليفيَ بالمعنى الذى يَقْصِدُ المبدعُ إلى تَصْوِيرِهِ وهو ذاتيٌّ ؛ يقصرُ شيئًا على شيءٍ بِطَرِيْقٍ مَخْصُوْصٍ لِهَدَفٍ فَنِّيٍّ.[2]

وَلِكُلِّ طَرِيْقٍ مِنْ طُرُقِ الْقَصْرِ مَعْنًى وَضْعِيٌّ، فَمَثَلًا الْقَصْرُ بالنَّفْيِ والاستثناءِ يُسْتَعْمَلُ فِي الأمرِ الَّذِي يُنْكِرُهُ المخَاطَبُ أَوْ يَجْهَلُهُ أَمَّا الْقَصْرُ بِـ(إِنَّمَا) فَيُسْتَعْمَلُ فِي الأمرِ المعلومِ.

وَلَكِنَّ الشَّاعِرَ قَدْ يَنْحَرِفُ عَنْ هَذَا المعْنَى الْوَضْعِيِ إِلَى مَعَانٍ بَدِيْلَةٍ يَتَطَلَّبُهَا السِّيَاقُ اللُّغَوِيُّ وَذَلِكَ باستخدامِ طريقٍ مِنْ طُرُقِ القصرِ فِي سِيَاقٍ يَقْتَضِي اسْتِخْدَامَ غَيْرِهِ ؛ لِيُفْرِزَ دَلالاتٍ مَا كَانَتْ تُفْرَزُ بِطَرِيْقِ الْقَصْرِ الْوَضْعِيِّ.

إِذْ قَدْ يُسْتَخْدَمُ (النَّفْيُ والاستثناءُ) فِي الأمرِ المعلومِ الَّذِي لا يُنْكَرُ، كَمَا تُسْتَخْدَمُ(إِنَّمَا) فِي الأُمُوْرِ الَّتِي يُنْكِرُهَا المخَاطَبُ وَيَدْفَعُهَا تَنْزِيْلًا لِتِلْكَ الأمورِ مَنْزِلَةَ مَا لا يَجْهَلُهُ المخَاطَبُ وَلا يُنْكِرُهُ.

1- ينظر : دلائل الاعجاز – مرجع سابق – ص ٣١٥ : ٣٥٨ .

2- ينظر : منير سلطان : بديع التراكيب – مرجع سابق – ص ٣٢ .

الْقَصْرُ فى دِيْوَانِ الشَّرِيْفِ المرتضى :

وقد وردَ القصرُ فى شعرِ المرتضى فى ثمانٍ وستينَ وستمائةٍ (٦٦٨) موضعٍ، وَتَنَوَّعَتْ طرقُهُ إِذْ جاءَ بطريقِ النفيِّ وَالاسْتِثْنَاءِ، وَبِطَرِيْقِ " إِنَّمَا " وبطريقِ العطفِ بـ " بل – لا – لكن "، كما جاءَ بطريقِ التقديمِ، على أَنَّ هذا الأخيرَ قَدْ تَمَّ استبعادُهُ من هذا الفَصْلِ ؛ لأَنَّهُ قَدْ دُرِسَ – قبلًا – فِى الْفَصْلِ الخَاصِّ بالتَّقْدِيْمِ.

وَسَأَسْتَعْرِضُ – فِيْمَا يَلِى من صَفَحَاتٍ – طُرُقَ القَصْرِ فى شِعْرِ الشَّرِيْفِ المرتضى كَاشِفًا عن دَلالاتِها فى إطارِ سياقِها الذى وَرَدَتْ فيه.

وهذا – أَوَّلًا – جَدْوَلٌ إحصائيٌّ بِطُرُقِ الْقَصْرِ، وأعدادِ ورودِها فى الديوانِ

م	طرق القصر	العدد
١	النفى والاستثناء	٥٤٨
٢	إنما	٩٥
٣	العطف بـ لكن	١٦
	العطف بـ لا	٦
		٣
المجموع		٦٦٨

أولًا: الْقَصْرُ بالنَّفْيِّ والاستثناءِ :

ويقولُ فى مديحِ الملكِ السَّعِيْدِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ : [1]

وما الْبَلِيَّةُ إلاّ أَنَّنِى كَلِفٌ بِفَارِغٍ وَفُؤَادِى منه مَلآنُ

وَقَدْ وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سِيَاقِ النَّسِيْبِ، وَمِنْ ثَمَّ فالمرتضى فيه يؤكدُ – خلالَ

١– الديوان ٣/ ٢٨٦ (من البسيط).

أُسْلُوْبِ الْقَصْرِ – أَنَّ الْمُصِيْبَةَ الْحَقَّةَ به، النَّازِلَةَ عليه مَقْصُوَرةٌ علـى كَوْنِـهِ يَعْـشَقُ مَـنْ يَخْلُو قلبُهُ من عِشْقِهِ، إِذْ لا مصيبةَ – عِنْدَه – إلا هَذِىْ.

ولا يخفى تأثرُ المرتضى فى البيتِ بِلُغَـةِ الْقُـرْآنِ الكـريمِ وَمَعَانِيْـهِ، إِذْ هُـوَ فيـه قَـدْ وَصَفَ فؤادَ الحبيبِ بأنه فارغٌ من حُبِّهِ، وهذا مما يوحى بأنه ملآنٌ بِحُـبِّ غـيرِهِ، وفى القرآنِ قد وَصَفَ الحقُّ (سبحانَهُ) فؤادَ أُمِّ مُوْسَى (عليـه الـسلام) – حـينَ ذَهَـبَ ولدُهَا فى البحرِ – بأنه قَدْ أصبحَ فارغًا، فقالَ تعالى : " وأصبحَ فؤادُ أُمِّ موسـى فـارغًـا "[1] أى فارغًا "مِنْ كُلِّ شيءٍ من أمورِ الدنيا إلا مِنْ موسى "[2] فهو مـلآنٌ بِحُبِّـهِ ؛ بـدليلِ قَوْلِهِ تعالى : " إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِه "[3] " أَىْ إِنْ كادَتْ من شدةِ وَجْدِها وحزنِها وأسفِها لَتُظْهِرُ أنه ذهبَ لها ولدٌ وَتُخْبِرُ بحالِها لو لا أَنَّ اللهَ ثبتَهَـا وصـبرَهَا "[4] إِذْ قـالَ تعـالى : " لو لا أَنْ رَبَطْنَا على قَلْبِها لتكونَ من المؤمنينَ "[5]

فالحبيبُ – إِذَنْ – رَمْزٌ للخلافةِ التى ملكتْ عـلى المرتـضى قَلْبَـهُ، ومـلأتْ أَنْحَـاءَهُ، وهى فارغةٌ من حُبِّهِ، إِذْ هِىَ قَدْ انشغلتْ بغيرِهِ أو انشغلَ بها غيرُهُ، وهذا مما يشعرُ بمدى حزنِ المرتضى وشدةِ أَلَمِهِ على ضياعِ حُبِّه، وما البليةُ إلا أنه كَلِفٌ بِمَنْ يَكْلَفُ غَيْرَهُ.

ومن قصيدة فى رثاء جده الحسين يقول[6] :

فَقُـلْ لبنـى زيـادَ وآلِ حـربٍ ... ومَـنْ خَلَطُـوا بِغَـدْرِهِمُ خِلاطـا
دِمَـاؤُكُمُ لَكُـمْ، وَلَهُـمْ دِمَـاءٌ ... تُرَوِّيهـا سـيوفُكُمُ البَلاطـا

1- سورة القصص : آية ١٠ .

2- ابن كثير:تفسير القرآن العظيم تصحيح نخبة من العلماء-دار المنار للنشر والتوزيع-القاهرة-الجزء الثالث- ص٣٨١.

3- سورة القصص : آية ١٠ .

4- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم – مرجع سابق – جـ٣ – ص ٣٨١ .

5- سورة القصص : آية ١٠ .

6- الديوان ٢/ ١٧٦ ، ١٧٧ (من الوافر).

كُلوهـا بَعْـدَ غَـصْبِكُمْ عليهـا انْـ تِهَابًـا وازْدِرَادًا واسْـتِرَاطا[1]
فَـمَا قُـدِّمْتُمُ إلا سَفَاهـاً ولا أُمِّرْتُـمُ إلا غِلاطـا

والمرتـضى فى الأبيـاتِ الـسابقةِ يتحـدثُ إلى الأمـويينَ أولئـكَ الـذينَ غَـدَرُوا بالعلويينَ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فى الأبياتِ يخبرُهُمْ – على سبيلِ التَّحَزُّنِ والتَّحَسُّرِ – بـأَنَّهُمْ قَدْ أَهْدَرُوا دماءَ العلويينَ، وَسَـقَوْا بهـا الأرضَ، ودمـاؤُهُم موفـورةٌ، كـما أنهـم قـد اغْتَصَبُوا الخلافةَ مِنْهُمْ وهم لا يستحقونَها، إِذْ حُكِّمُوا جَهْلًا، وأُمِّرُوا خطًا.

فالْقَصْرُ فى قَوْلِهِ " فَـمَا قُـدِّمْتُمْ إلا سَفَاهًا " يؤكـدُ أن الـسببَ الوحيـدَ فى تقـديمِ الأمويينَ على العلويينَ مقصورٌ عَلَى الجهلِ لا يتعداهُ إلى سببٍ غَيْرِهِ، كما أَنَّ القصرَ فى قولِـهِ : " ولا أُمِّـرْتُمْ إلا غِلاطـا " يؤكـدُ – أيـضًا – أنَّ الـسببَ الوحيـدَ فى حـصولِ الأمويينَ على الخلافةِ مقصورٌ على الخطأِ لا يتعداهُ إلى سببٍ آخرَ.

والمرتضى يؤكدُ هَذَيْنِ المعْنَيَيْنِ ؛ لأَنَّهُمَا مُتقرِّرَانِ فى نفسِهِ مُؤَكَّدَانِ فِىْ ضَمِيرِهِ، وَهُوَ يريدُ أَنْ يُنْزِلَ هذا التأكيدَ وذاكَ التقريرَ اللذينِ فى نَفْسِهِ فى نَفْسِ المتلقى وَحِسِّهِ.

ومن قصيدةٍ كَتَبَهَا إلى هلالِ بنِ المحسنِ بنِ أبى إسحاق الصَّابىءِ يقول المرتضى[2]

وَإِنَّـكَ مِـنْ أنـاسٍ مَـا رَأَيْنَـا لَهُـمْ إلاَّ الرياسـةَ والجلالَـه

وقد وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سياقِ مـدحِ ابـنِ أبـى إسـحاقَ الـصَّابىءَ، وَمِنْ ثَـمَّ فالمرتضى فى البيتِ يؤكدُ أَنَّ ممدوحَهُ من أناسٍ لم يُخْلَقُوا إلا للرِّيَاسةِ والسِّيَادةِ.

فالقصرُ " ما رأينا لهم إلا الرياسةَ والجلالَه " يؤكدُ أَنَّ عملَ قومِ الممدوحِ فى الحياةِ مقصورٌ على الرِّياسَةِ والسِّيادةِ لا يتعداهُ إلى شيءٍ غيرِ ذَلِكَ، وهذا مما يـشيرُ إلى عُلُـوِّ قَدْرِ قومِ الممدوحِ.

---

1 – ازْدِرَاداً : ابْتِلاَعًا ، وكذلكَ اسْتِرَاطاً .

2 – الديوان ٣/ ٦٧ (من الوافر) .

ومن قصيدة في الافتخار يقول المرتضى : [1]

وَلَقَدْ فَخَرْتُ بمعشرٍ لَمَّا اعْتَلُوا ... لَمْ يَرْتَضُوا النَّسْرَيْنِ والعَيُّوقَا

مَلكوا الفخارَ فما تَرَى مِنْ بَعْدِهِمْ ... إلا افتخارًا مِنْهُمُ مَسْرُوقَا

والبيتانِ السابقانِ يأتيانِ في سياقِ افتخارِ المرتضى بقومِهِ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فيهما يقررُ ويؤكدُ أَنَّهُ قَدْ افتخرَ بقومٍ حِيْنَ ارْتَقَوْا سُلَّمَ الشَّرَفِ، لم يقنعوا بمواقعِ النجومِ رفعةً ؛ ولذا فَقَدْ سَدُّوْا على الناسِ بابَ التفاخرِ، حتى إذا ما افتخرَ قومٌ بَعْدَهُمْ سَرَقُوا من فَضَائِلِهِمْ.

فالقصرُ " فَمَا تَرَىْ مِنْ بَعْدِهِمْ إلا افتخارًا مِنْهُمُ مسروقا" يفيدُ أَنَّ افتخارَ غيرِ قَوْمِهِ مقصورٌ على السَّرِقَةِ من فضائلِ قَوْمِهِ ومآثرِهم حتى لكأنهم قد مَلَكُوا كُلَّ الفضائلِ والمآثرِ، وهذا مما يُشْعِرُ بِمَدَى رفعةِ قَوْمِهِ وَأَحَقِّيَّتِهِمْ بِالخِلافَةِ مِنْ غَيْرِهِمْ.

ومن قصيدة في مدح الملك السعيد يقول المرتضى : [2]

شَعْرٌ تَبَدَّلَ لَوْنُهُ فَتَبَدَّلَتْ ... فيه القلوبُ شَنَاءَةً بِوِدادِ

لَمْ تَجْنِهِ إلا الهمومُ بِمَفْرِقِيْ ... ويخالُ جَاءَ بِهِ مع الميلادِ

وَقَدْ وَرَدَ البيتانِ السابقانِ في سياقِ حديثِ المرتضى عن شَيْبِهِ وانصرافِ الغانياتِ عَنْهُ، وَهُوَ في البيتينِ يؤكدُ أَنَّ تَبَدُّلَ شَعْرِ رَأْسِهِ من السوادِ إلى البياضِ كانَ سببًا في تَبَدُّلِ قلوبِ الغانياتِ من المحبةِ إلى البَغْضَاءِ، وَأَنَّ ذَلِكَ البياضَ بمفارقِهِ كانَ بسببِ الهمومِ التي تَجَمَّعَتْ عليه.

فالقصرُ " لَمْ تَجْنِهِ إلا الهمومُ بِمَفْرِقِيْ " يؤكدُ أَنَّ سَبَبَ شَيْبِهِ مقصورٌ على الهموم لا يتعداهُ إلى غيرِهِ. وسببُ هذه الهمومِ – كما قلتُ قبلًا [3] – هو تذكرُ ما حدثَ لآلِ البيتِ. والجملة الاستئنافية " ويُخَالُ جاءَ به مع الميلادِ " تؤكدُ ذَلِكَ، إِذْ قَدْ وُلِدَ المرتضى فَوَجَدَ آلَ البيتِ مُشَرَّدِينَ، وَحَقَّهُمْ في الخلافةِ مُغْتَصَبًا، فتجَمَّعَتْ عليه

1- الديوان : ٢/ ٣٢٢ (من الكامل) .

2- الديوان ١/ ٢٦١ (من الكامل) .

3- ينظر : ص١٢ ، ص ١٩ ، ص ٨٢ من هذا البحث.

الهمومُ منذ مولِدِه وشَاب رأسُهُ ولاتَ حينَ مَشِيبِ.

ومن قصيدةٍ فى مديحِ الخليفةِ والقادرِ حينَ وَلِيَ الخلافةَ يقولُ : (1)

والبِيضُ تَعْلَمُ أَنَّها ما جُرِّدَتْ بِيَدَيْكَ إلاَّ مِنْ حُشَاشَةِ مُعْتَدِ

والمرتضى فى البيتِ السابقِ يخاطبُ مَمْدُوحَهُ مؤكدًا أَنَّ السيوفَ اللامعةَ تعلمُ أَنَّ مهمتَهَا بينَ يَدَىْ مَمْدُوحِهِ قبضُ أَرْوَاحِ المعتدينَ.

فالقصرُ "مَاْ جُرِّدَتْ بِيَدَيْكَ إلاَّ مِنْ حُشَاشَةِ مُعْتَدِ" يُظْهِرُ قوةَ ممدوحِهِ وبأسَهُ فى الحروبِ، إِذْ يؤكدُ أَنَّ السيفَ فى يَدَيْهِ مقصورٌ على قبضِ أَرْوَاحِ الأعداءِ لا يتعداهُ إِلَىْ غَيْرِهِ.

ومن قصيدةٍ فِىْ الشَّيبِ، يقولُ : (2)

وقد كنتُ مِمَّنْ يشهدُ الحربَ مَرَّةً وَيُرْمَى بأطرافِ الرِّمَاحِ كما يَرْمِى

إِلَىْ أَنْ عَلاْ هذا المشيبُ مَفَارِقِىْ وَلَمْ يَدْعُنِىْ الأقوامُ إلاَّ إلى السِّلم

والمرتضى فى البيتينِ السابقينِ يخبرُ بأَنَّهُ كانَ فى حَالِ شبابِهِ يشهدُ الحربَ وَيَرْمِىْ أَعْدَاءَهُ بأطرافِ الرِّمَاحِ كما يُرْمَىْ هُوَ بِهَا ثُمَّ صَارَ بِشَيْبِهِ لا يُطْلَبُ للحربِ وإنما هُوَ يُدْعَىْ إلى السِّلم فَحَسْبُ.

فالقصرُ "وَلَمْ يَدْعُنِىْ الأقوامُ إلاَّ إِلَىْ السِّلم" يفيدُ أَنَّ حاجةَ قومِهِ إِلَيْهِ ودعوتَهُمْ لَهُ أصبحتْ مقصورةً على السِّلم لا تتعداهُ إلى شيءٍ غَيْرِهِ، وَهَذَا مما يشعرُ بِمَدىْ حزنِ المرتضى وأَلمِهِ ؛ إِذْ إِنَّهُ لَنْ يقدرَ على تحقيقِ حُلمِهِ، فقدْ سُلِبَتْ الخلافةُ من العلويينَ بِحَدِّ السيفِ ولنْ تعودَ إليهم إلا بِحَدِّ السيفِ، وَقَدْ أصبحَ المرتضى ضعيفًا عاجزًا لا يقوى على الحربِ ومنازلةِ الأعداءِ وصارَ لا يُدْعَىْ إلاَّ إِلَىْ السِّلم.

يقولُ المرتضى من قصيدةٍ فى مديحِ الملكِ جلالِ الدَّولةِ : (3)

1- الديوان ١/ ٢٥٤ (من الكامل).

2- الديوان : ٣/ ٢٣٠ (من الطويل).

3- الديوان ٣/ ١٩٦ (من الطويل).

تَـصُدِّينَ عَنَّـا سَـاهِرَاتٍ عُيُونُنَـا وَمَــا زُرِتِنَــا إلا ونحــنُ نِيَــامُ

والمُرْتَضَى فى البيتِ السابقِ يخاطبُ محبوبتَه / الخلافةَ مُسْتَعَطِفًا ؛ إِذْ هِى تَنْفِرُ مِنْهُ فى حالِ اليَقَظَةِ، وَلاَ تَزُوْرُه إلا فى المنامِ.

فالقصرُ فى البيتِ بالنفىِّ والاستثناءِ " وَمَا زُرْتِنَا إلا ونحنُ نيامُ" يؤكـدُ أَنَّ زيـارةَ المحبوبةِ لَهُمْ كانتْ مقصورةً على سَاعَةِ نَوْمِهِم لا تتعداها إلى غيرِها، وذلكَ مما يوحى - كما ذكرت قبلًا - بأنَّ هذه المحبوبةَ لَيْسَتْ محبوبةً حقيقيةً وإنما هى رمـزٌ للخلافـةِ الإسلاميةِ المسلوبةِ من العلويينَ والتى لا تَزُورُهُمْ إلا فى الخَيَالِ.

ومن قصيدةٍ فى الشَّيْبِ، يقولُ: [1]

فَلا تَنْفِـرِى يـا نفسُ يومًـا مـن الـرَّدَى فَـمَا أَنْـتِ إِلاَّ فى طريــقٍ مــن الــرَّدى.

والمرتضى فى البيتِ السابقِ يخاطبُ نَفْسَهُ ناهيًا إِيَّاهَا عـن النفـورِ مـن المـوتِ قـاصرًا سَيْرَها على طريقِ الرَّدَى لا تتعداهُ إلى غيرِهِ، إِذْ يقولُ : " فما أنتِ إلا فى طريقٍ من الرَّدَىْ "

فالمرتضى يؤكدُ لنفسِهِ - خِلالَ القصرِ بالنفىِّ والاستثناء - أنـه لا محالـةَ مَيِّـتٌ ؛ وذلكَ ليحثَّ نَفْسَهُ ويدعُوَهَا إلى تَقَبُّلِ أَمْرِ الموتِ الذى لا شَكَّ مُقْبِلٌ.

كما يكشفُ القصرُ عن تَأَثُّرِ المرتضى بالقرآنِ الكريمِ فى قولِهِ [2] " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ"

يقولُ المرتضى فى مطلعِ قصيدةٍ فى العتابِ : [3]

أَجِيْرَتَنَــا لا جــمَّعَ اللهُ شَمْلَنَــا فــما أنــتمُ إلا الــذِّئَابُ الأطالــسُ [4]

ومــا أنــتُمْ الإ سرابٌ بِقِيْعَــةٍ تُغَــرُّ برؤيــاهُ الظِّــماءُ الخــوامسُ [5]

1- الديوان ١/ ٢٤٧ (من الطويل) .

2سورة الأنبياء : آية ٣٥ .

3- الديوان : ٢/ ١٢٠ (من الطويل) .

4- الأطالس : جمع أطلس وهو مغبر اللون.

5- الخوامس : الإبل التى رعت ثلاثة أيام ووردت الرابع.

مـا أنـتمُ فـيها رجـاكُمْ - وَمَـادَرَى - لمنفعـــةٍ إلا الطُّلـــولُ الـــدَّوَارِسُ
بـــذلتُ لَكُـــمْ مِنِّـــى الـــودادَ تكرُّمًـــا وما فـــيكم إلا الـــذى هـــو شـــامسُ

والأبياتُ السابقةُ تأتى فى سياقِ عتابِ المرتضى لجيرانِهِ وَذَمِّهِـمْ، وَمِـنْ ثَـمَّ فَقَـدْ استخدمَ القصرَ بالنفىِّ والاستثناءِ فيها أربعَ مراتٍ ؛ ليؤكـدَ لَهُـمْ أَنَّهُـمْ مَـا هُـمْ إلا ذِئَابٌ، وأنهم لا نَفْعَ يُرْجَى مِنْهُمْ ولا صُحْبَةَ تُبْتَغَى فِيْهِم.

فالنفىُّ والاستثناءُ فى الأبياتِ يكشفُ عن عتابٍ عنيفٍ لأولئكَ الجيرانِ مُضَمَّنٍ بالتوبيخِ والتَّأنيبِ.

وقد كَشَفَ التركيبُ " وما أنـتم إلا سرابٌ بقيعـةٍ " عـن تـأثرِ المرتـضى بـالقرآنِ الكريمِ فى قولِهِ تعالى " والذينَ كفروا أعمالُهم كسرابٍ بِقِيْعَةٍ يحسبُهُ الظمآنُ ماءً حتـى إِذَا جَاْءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا"[1]

يقولُ مِنْ قَصِيْدَةٍ كَتَبَهَا إِلَى الوزيرِ أَبِى الفرجِ محمدِ بْنِ جعفرَ بن فَسَانْجَس :[2]

كـأَنَّ أَيْـدِيَهُمْ فى النَّـاسِ مـا خُلِقَـتْ إلاَّ لِبَـــذْلِ الأيـــادِى والعَطِيَّـــاتِ

وقد وَرَدَ البيتُ السابقُ فى سياقِ مديحِ المرتضى لقومِ الوزيرِ ابنِ فَسَانْجَس، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فى البيتِ يؤكدُ كَرَمَ أولئكَ القومِ - خـلالَ القـصرِ بـالنفىِّ والاسـتثناءِ -، إِذْ يقصرُ خَلْقَ أيدِيْهِم على الإنفاقِ لا يتعـداهُ إلى شيءٍ آخـرَ وهـذا كـلامٌ - لا شـكَ - فيـه غرابةٌ للسامعِ الذى قَدْ يَتَوَقَّفُ فى قَبُوْلِهِ ؛ وَلِذَا فَقَدْ أَكَّـدَهُ المرتـضى وَصَـاغَهُ فى أسـلوبِ القصرِ بالنفىِّ والاستثناءِ الذى يتميزُ بالنبرةِ الحَادَّةِ والنَّغْمَةِ الحاسمةِ والتعبيرِ الشديدِ.

وفى مطلعِ قصيدةٍ فى مديحِ فخرِ الملكِ يقولُ :[3]

مَـــا أَرَادَتْ إِلاَّ الجفـــاءَ ظَلُـــومُ يـــومَ رَامَـــتْ عَنَّـــا وَلَـــسْنَا نَـــرِيْمُ

1- سورة النور : آية ٣٩ .

2- الديوان : ١/ ١٣٨ (من البسيط) .

3- الديوان : ٣/ ١٨١ (من الخفيف) .

والمرتضى فى البيت السابق يَقْصِرُ رغبةَ محبوبتِهِ (ظَلُوْمَ) فى الفراقِ على الهجرِ لا تتعداهُ إلى غيرِهِ، فيقولُ : " مَا أَرَادَتْ إلا الجفاءَ ظلومُ " فالقصرُ يؤكدُ أَنَّ السببَ الوحيدَ لرحيلِ المحبوبةِ / الخلافةِ عَنْهُ هُوَ أَنَّهَا تريدُ هَجْرَهُ، ولا شيءَ وَرَاءَ ذَلِكَ، وَهَذَا ما يُوْحِي بشدةِ حزنِ المرتضى، بدليل قَوْلِهِ " ولسنا نَرِيْمُ " إِذْ إِنَّهَا جُمْلَةٌ حاليةٌ تشيرُ إِلَىْ أَنَّ المحبوبةَ / الخلافةَ قد هَجَرَتْهُ حالةَ كَوْنِهِ ما زالَ بها كَلِفًا، ولا يستطيعُ لَهَا فِرَاقًا.

يقولُ المرتضى من قصيدةٍ فى رثاءِ الحسينِ ﷺ : (1)

وَمَا فَخْرُنَا إلا الذى هَبَطَتْ بِهِ الـ ـملائِكُ أَوْ مَا قَدْ حَوَىْ مِنْهُ مُصْحَفُ

والبيتُ السابقُ يأتى فى سياقِ حديثِ المرتضى إلى الأمويينَ الذين ينكرونَ أحقيةَ الإمامِ علىٍّ ﷺ بالخلافةِ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ أثرَ التعبيرَ بالنفىِّ والاستثناءِ ؛ ليناسبَ هذا السياقَ، إذ المرتضى فى البيتِ يخاطبُ الأمويينَ مفتخرًا قاصرًا فخرَهُ على القرآن الكريم الذى هَبَطَتْ بِهِ الملائكُ، وعلى مَا قَدْ حَوَاهُ هذا القرآنُ من آياتٍ تشيرُ – على حَدِّ زَعْمِ الشِّيْعَةِ – إلى أحقيةِ الإمامِ علىٍّ بالخلافةِ (2) .

ثانيًا: القصر بـ " إنما" :

ومن قصيدةٍ فى عزاءِ القاضى أبى القاسمِ عبدِ العزيز بنِ محمدٍ العسكرىِّ فِىْ وَلَدِهِ يقولُ : (3)

إِنَّمَا العيشُ – لو تَأَمَّلْتَ – ثَوْبٌ خِيْلَ مُلْكًا لَنَا وكانَ معارا

وقد وردَ البيتُ السابقُ فى سياقِ حديثِ المرتضى إلى ابنِ عبدِالعزيزِ مُعَزِّيًا، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فيه يؤكدُ أَنَّ الحياةَ مقصورةٌ للمتأملِ على ثوبٍ مُعَارٍ يظنُّهُ الغافلُ ملكًا لَهُ، وفى هذا التوكيدِ تسليةٌ لابنِ عبد العزيز، وتصبيرٌ لَهُ عَلَىْ مُصَابِهِ.

1- الديوان : ٢/ ٢٥٨ (الطويل)

2- ينظر : عامر النجار : فى مذاهب الإسلاميين – مرجع سابق – ص ٢٥٨ وما بعدها.

3- الديوان: ٢/ ٤٨ (من الخفيف) .

يقولُ المرتضى من قصيدةٍ في عزاءِ بهاءِ الدولةِ في وَلَدِهِ : (١)

مَــا نحــنُ إلا لِلْفَنَــاءِ وَإِنَّمَــا ... تَغْتَرُّنَــا بِمُرُورِهَــا الأَيَّــامُ
ومتــى تَأَمَّلْــتَ الزَّمَــانَ وَجَدْتَــهُ ... أَجَــلًا وأيــامُ الحيــاةِ سَقَــامُ
نُــضْحِي وَنُمْــسِي ضَــاحِكِينَ، وَإِنَّمَا ... لبكائِنَــا الإصــباحُ والإظــلامُ
وَنُــسَرُّ بالعــامِ الجديــدِ، وإنــما ... تَــسْرِي بنــا نحــو الــرَّدَى الأعــوامُ

والأبياتُ السابقةُ تأتي في سياقِ العزاءِ، وَمِنْ ثَمَّ فالمرتضى فيها يخاطبُ قَوْمَهُ قاصرًا وجودَهُمْ على الفناءِ لا يتعداهُ إلى سواهُ، إِذْ يقولُ : " مَا نَحْنُ إلا للفناءِ " وقد آثرَ المرتضى التعبيرَ بالنفيِّ والاستثناءِ في هذا السياقِ ؛ لأنَّ قَوْمَهُ يلعبونَ ويمرحونَ، وهم لما بعدَ الموتِ لا يعملونَ، بِدَلِيْلِ قَوْلِهِ : " وإنما تغتَرُّنَا بمرورِها الأَيَّامُ " ؛ وَلِذَا فَقَدْ نَزَّلَهُمْ منزلةَ الشاكينَ في أمرِ الفناءِ المنكرينَ لَهُ. وَنَجِدُهُ في البيتِ نَفْسِهِ يقصرُ غُرُوْرَ قَوْمِهِ على الأيامِ، فيقولُ : " وإنما تغتَرُّنَا بمرورِها الأيامُ "، أَيْ إِنَّ الأيامَ وَحْدَهَا هي التي تغتَرُّهم لاْ سِوَاهَا، وهذا على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ أَجَلَهُمْ – للمتأملِ – محدودٌ، وأيامَهُمْ سَقَامٌ، وَذَلِكَ مما يستدعي أَنْ يَبْكُوا ليلَ نهارَ وَمَعَ هذا فهم يضحكونَ وبالعامِ الجديدِ يُسَرُّونَ، وَإِذْ بِهِمْ نَحْوَ الرَّدَىْ يَسِيْرُونَ. وَلِذَا فَهُوَ في البيتينِ الأخيرينِ.

قَدْ قصرَ الإصباحَ والإظلامَ على بكاءِ قومِهِ لا سواهُ، فقالَ :" وإنما لِبُكَائِنَا الإصباحُ والإظلامُ " أي إنه يجبُ عليهم أَنْ يبكوا الليلَ نهارَ ولا يتركُوا البكاءَ إلى غيرِهِ.

ثم نجدُهُ قَدْ قَصَرَ الأعوامَ على أنها تمضي بقومِهِ نَحْوَ الموتِ لا وظيفةَ لها إلا هَذِىْ، فقالَ : " وإنما تَسْرِي بِنَا نحوَ الرَّدَى الأعوامُ ".

وقد آثرَ المرتضى التعبيرَ بـ " إنما " في المواضعِ الثلاثةِ السابقةِ ليشيرَ إِلَىْ أَنَّ الأمورَ التي وَرَدَتْ بِهَا لا أحدَ يُنْكِرُهَا، وَلِيَحُثَّ قَوْمَهُ على الاتعاظِ والتَّدَبُّرِ في صُنْعِ الأيامِ، وَيَدْعُوَهُم إِلَىْ الصبرِ على مصيبتِهم.

---

١ – الديوان ٣/ ١٧٤ (من الكامل).

ثالثًا : القصر بالعطف بلا وبل ولكن :

يقول المرتضى من قصيدة فى رثاء الحسين ﷺ : [1]

فَلَنَـا بـالطُّفُوفِ قَتْلَـى وَلاذَنْـ ـبَ سِوَى البَغْىِّ من عِدًى وَأُسَارَى
لم يَذُوقُوا الـرَّدَى جُزَافًا وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ أَكْرَهُوا القَنَا والشِّفَارَا [2]

والمرتضى فى هذين البيتين يؤكدُ أَنَّ مَنْ قُتِلُوا عَلَى أَرْضِ الطُّفُوفِ / كَرْبَلاَءَ وَأُسِرُوا كانوا من آلِ البيتِ لا غيرِهِم وَأَنَّ قَتْلَهُم لم يكنْ إلاَّ ظُلْمًا لهم من أعْدَائِهم ثم يَصِفُ أولئكَ القَتْلى بأنهم قد قَاوَمُوا رماحَ أعدائِهم وسيوفَهم، ولم يُقْتَلُوا جُزافًا أَىْ مِنْ غَيْرِ مقاومة.

وَإِذَنْ، فالعَطفُ بـ " لكن " فى البيتِ الثانى يفيدُ قَصْرَ قتلِ آلِ البيتِ على حالِ مُقَاوَمَتِهم للأعداءِ، وَنَفْيِه عن حالِ عَدَمِ مُقَاوَمَتِهم، وهذا مما يشيرُ إلى أَنَّهُم جَدِيْرُونَ بأمرِ الخلافةِ، إِذْ إِنَّهُم لَمْ يَهْرَبُوا من أعدائِهم، بَلْ قَاوَمُوهُم، وَأَدَّوا مَا عَلَيْهِم.

ويقولُ المرتضى من قَصِيْدَةٍ فى الطَّيْفِ : [3]

وَلَمْ يَشْفِ ذَاكَ القربُ وَهْوَ مُرَجَّمٌ مِنَ القومِ سُقْمًا بَلْ أثارَ سَقَامَا [4]

وقدْ وردَ البيتُ السابقُ فى سياقِ حديثِ المرتضى إلى طيفِ محبوبتِهِ سَلمى، ومِن ثَمَّ فهو فيه ينفى أَنْ يكونَ قربُ المحبوبةِ / الخلافة حالةَ كونِهِ طيفًا قد شَفَى من القومِ سَقْمًا، ويثبتُ أَنَّ هذا القربَ المُرَجَّمَ – أَىْ غيرَ الحقيقىِّ – قَدْ كانَ سببًا فى ترادفِ الأسقامِ على قومِهِ.

1- الديوان : ٢/ ٥٣ (من الخفيف) .

2- المقصودُ بقولِهِ: (لم يَذُوقُوا الرَّدَى جُزَافًا) : أَىْ من غيرِ مُقَاوَمَةٍ ، وبقوله : أَكْرَهُوا: أى صَدُّوا . أما الشِّفَارُ : فهى حَدُّ السيوفِ ، ومفردُها الشَّفْرَةُ و(القَنَا) هى الرِّمَاحُ ، وَمُفْرَدُها القَنَاةُ.

3- الديوان : ٣/ ٢١٤ (من الطويل) .

4- لقد تَوَسَّعَ العربُ " حتى وَضَعُوا الرَّجْمَ والتَّرْجِيْمَ موضعَ الظَّنِّ ، فقالوا : قالَ ذَلِكَ رَجْمًا أَىْ ظَنًّا . وحديثٌ مُرَجَّمٌ : مَظْنُونٌ... " * الزمخشرى : أساس البلاغة : مادة (رجم) ص٢٢٣.

فالعطفُ بـ "بل " فى البيتِ يفيدُ قَصْرَ قُرْبِ المحبوبةِ على إثارةِ السُّقْمِ فى القومِ وَنَفْيِهِ عَنْ شِفَائِهِ.

كَمَا لا يَخْفَى أَنَّه قَدْ رَمَزَ بهذه المحبوبةِ (سَلمى) إلى الخلافةِ التى ابتعدتْ عن العلويينَ واقعًا، واقتربتْ منهم طيفًا وخيالًا، بدليلِ شبهِ الجملةِ " من القوم " التى تُوحِي بهذا الرَّمْزِ ؛ لأنَّ المرتضى لو كانَ يتحدثُ عن امرأةٍ حَقِيْقِيَّةٍ لقالَ : " لَمْ يَشْفِ ذاكَ القربُ منى سَقْمًا " ولمْ يقلْ " . . . . من القومِ. . . . " أىْ من العلويينَ، قومِ الشاعرِ، إذْ الألفُ واللامُ فيها للعهدِ الخارجى العلمى.

كما أنَّ الجملةَ الحاليةَ " وهو مُرَجَّمٌ " تؤكدُ هذا الإيحاءَ ؛ إذْ تُشِيرُ إلى أنَّ هذا القربَ كان ظَنًّا أىْ خَيَالًا، ولم يكنْ قُرْبًا حَقِيْقِيًا.

وتأثُرُ المرتضى بالقرآنِ الكريمِ فى البيتِ واضحٌ جَلِيٌّ، إذْ قَدْ استخدمَ كلمةَ " مُرَجَّم" بمعنى الظَّنِّ، تمامًا كما استَخْدَمَها القرآنُ فى قولِهِ تعالى مخبرًا عن اختلافِ النَّاسِ فى عِدَّةِ أصحابِ الكهفِ :

" سيقولونَ ثلاثةٌ رابِعُهُم كَلْبُهُم، ويقولونَ خمسةٌ سادسُهُم كَلْبُهُم رَجْمًا بالْغَيْبِ " [1] أىْ إنَّ كَلامَهُم هذا كانَ على سبيلِ الظَّنِّ بالغيب، فهو كلامٌ لا علمُ لهم بحقيقتِهِ، أو كما يقولُ ابنُ كثيرٍ فى تفسيرِهِ لقولِهِ : " رَجْمًا بالغيبِ " : " أىْ قولًا بلا عِلم كَمَنْ يَرْمِىْ إلى مكانٍ لا يعرفُهُ فإنه لا يكادُ يصيبُ وإنْ أصابَ فبلا قَصْدٍ " [2]

ويقولُ مِنْ قصيدةٍ قالها عندما نُعِيَ إليه بعضُ الأعداءِ : [3]

وَسُقِيْتَ الْعَذَابَ لا الْعَذْبَ والزُّلْـ ـزَالَ تَأْتِىْ بِهِ يَدُ الزَّعْزَاعِ [4]

1- سورة الكهف : آية ٢٢ .

2- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم – مرجع سابق – جـ٣ _ ص٧٨.

3- الديوان ٢/ ٢٣٠ (من الخفيف).

4- الزَّعْزَاعُ : الشَّدِيْدُ الذى يُزَعْزِعُ الأشياءَ.

وَإِذَا جُـــوزِىَ الأنَـــامُ فَـــلاَ جُـــوْ زِيْــــتَ إلاَّ بـــالمؤلِمِ اللَّـــذَّاعِ

والبيتانِ السَّابِقَانِ يأتيانِ فى سياقِ حديثِ المرتضى إلى عَدُوِّه الذى وَارَاهُ الـتُّرَابُ، وَمِنْ ثَمَّ فهو يخاطبُهُ دَاعِيًا عليـه فيقـصرُ سَـقْيه فى الآخـرةِ عـلى الْعَـذَابِ والزَّلْـزَالِ الشَّدِيْدِ وينفيه عن الماءِ العَذْبِ، ثم يقصرُ جزاءَهُ يومَ القيامـةِ عـلى المـؤلمِ العنيـفِ / النَّارِ، لا يَتَعَدَّاهُ إلى غيرِها.

ويكشفُ أُسْلُوبَا الْقَصْرِ فى البَيْتَيْنِ عن تَحْقِيْرِ المرتضى لِعَدُوِّهِ.

الفصل السابع

الالتفات

تمهيد :

يُعَدُّ الالتفاتُ من المَسَالِكِ التَّعْبِيرِيَّةِ الَّتِي يُعْنَى عِلم الأُسْلُوبِ بِرَصْدِهَا وَتَحْلِيلِهَا فِي اللُّغَةِ الشِّعْرِيَّةِ، وَهُوَ لا يَتَحَقَّقُ. – عِنْدَ الأُسْلُوبِيِّنَ – " إلا عندما يتوالى فى سِيَاقٍ أو نَسَقٍ كَلامِيٍّ واحدٍ عنصرانِ متماثلانِ وظيفيًا أو معنويًا وينحرفُ الثانى منهما عن الأولِ فى نَمَطِ الأداءِ، وعلى هذا الأساسِ ذَاتِهِ فإنَّ الالتفاتَ لا يتجددُ فى هذا السياقِ أو النَّسَقِ إلا بحدوثِ انحرافٍ أو انكسارٍ آخَرَ فى مَسَارِهِ "[1]

ومن الجديرِ بالإشارةِ فى هذا السياقِ أَنَّ جمهورَ البلاغيينَ من أمثالِ ابنِ المعتزِ (ت ٢٩٦ هـ) والزمخشريِّ (ت ٥٣٨هـ) و السَّكَّاكِيِّ (ت ٦٢٦هـ) والخطيبِ القَزْوِينِيِّ (ت ٧٣٩ هـ)والبلاغيينَ المتأخرينَ الذى عُنُوا بِشَرْحِ كتابِ " التلخيص" لهذا الأخيرِ، قَدْ ضَيقُوا مَفهومَ الالتفَاتِ وَقَصَرُوه عَلَى لَوْنٍ وَاحِدٍ من أَلْوَانِ الظاهرةِ هوَ " المخَالَفَةُ فى الضمائرِ "[2] أما ابنُ الأثيرِ (ت ٦٣٧هـ) والعَلَوِيُّ (ت ٧٤٩هـ) والزركشيُّ (ت ٧٩٤هـ) فَقَد وَسَّعُوا هَذَا المَفهومَ، فَشَمِلَ كُلَّ تَحَولٍ فى الأسلوبِ، إِذْ يُعَرِّفُ العَلَوِيُّ الالتفَاتَ بأَنَّهُ : " العدولُ من أسلوبٍ إِلَى أسلوبٍ آخَرَ "[3]

1- حسن طبل : أسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية دار الفكر العربى – القاهرة – الطبعة الأولي-١٩٩٨م – ص ٤٢ .

2- ينظر : الزمخشرى: الكشاف – دار المعرفة – بيروت – (د . ت) – ١/ ١ ، السكاكى : مفتاح العلوم – دار الكتب العلمية – بيروت – (د . ت) – ص ٨٨ ، الخطيب القزوينى : الإيضاح فى علوم البلاغة – مرجع سابق – ١/ ١١٥ .

3.- العلوى : الطراز – مرجع سابق – ٢/ ١٣٢ ، ينظر : المثل الثائر – مرجع سابق – ص ١٦٥ / ١٦٩ ، الزركشي: البرهان فى علوم القرآن – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – مكتبة دار التراث – القاهرة – ١٩٥٧م – ٣/ ٣٢٥ : ٣٢٦

وَبِهَذَا فَإِنَّ مَفهومَ ابنِ الأثيرِ وَمَنْ تَبِعَهُ من البَلاغيينَ للالتفَاتِ يَلْتَقي وَمَفهومَ الأسلوبيينَ، عَلَى أنه – للأسَفِ – لَمْ يُكْتَبْ لِهَذَا المفهومِ الانتشارُ في مَسيرَةِ البَحثِ البَلاغيِّ.

الالتفَاتُ في ديوَانِ الشَّريْفِ المُرْتَضَى :

وَلَقَد كَانَ أسلوبُ الالتفَاتِ أَحَدَ المَسَالِكِ التعبيريةِ التي يَشيعُ استخدَامُهَا في شعرِ المُرْتَضَى. فَقَد وَرَدَ في شعرِهِ في خمسمائةٍ وَوَاحِدٍ وَستينَ (٥٦١) مَوضعًا في سيَاقَاتٍ مختَلفَةٍ دَالًا – في كل سيَاقٍ منهَا – عَلَى مَعنىً بعَينِهِ، وَمُوحِيًا بأَسرَارٍ وَلَطَائفَ.

وَأَوَدُّ – في هَذَا المَبْحَثِ – أَنْ أُحَدِّدَ أَبْرَزَ المَجَالاتِ التي تَحَقَّقَ فيها الالتفَاتُ في ديوَانِ المُرْتَضَى، وَأَنْ أَتَوَقفَ في تَنَاولِ التفصيليِّ لكلِّ مَجَالٍ منهَا إزَاءَ بَعضِ الصوَرِ التي تَنْتَمِي إِلَيه ؛ كَيْ أَسْتَشِفَ بعضَ ما تُوْمِضُ بِهِ من قِيَمٍ وَأَسْرَارٍ.

وَأَبْرَزُ مجالاتِ الالتفاتِ في شِعْرِ المُرْتَضَى – فِيما أرَى – هِيَ :-

١) العدد. ٢) الضمير. ٣) التذكير والتأنيث.

وفيما يلي جدولٌ لصورِ هذه المجالاتِ وأعدادِ ورودِها في الديوانِ. ثُمَّ يلي هذا الجدولَ عرضٌ وتفصيلٌ لبعضِ هذه الصورِ، وذلكَ على النَّحْوِ الآتي :-

أولًا: العدد :

مسلسل	نوع الالتفات	العدد
١	من المفرد إلى الجمع	٢٥٧
٢	من الجمع إلى المفرد	٢٢٨
٣	من الجمع إلى المثنى	٨
٤	من المثنى إلى الجمع	٤
المجموع		٤٩٧

ثانيًا: الضمائر :

مسلسل	نوع الالتفات	
١	من المتكلم إلى الخطاب	١٦
٢	من الخطاب إلى التكلم	١٣
٣	من الغياب إلى الخطاب	٩
٤	من الخطاب إلى الغياب	٥
٥	من المتكلم إلى الغياب	٣
المجموع		٤١

ثالثا : التذكير والتأنيث :

مسلسل	نوع الالتفات	العدد
١	الإخبار عن المؤنث بالمذكر	٢
٢	من الإناث إلى الذكور	١٢
٣	من الذكور إلى الإناث	٤
المجموع		٢٣

أولًا: العدد :

١) الالتفات من ضمير الواحد إلى ضمير الجمع :

وفى مطلعِ قصيدةٍ فى رثاءِ جلالِ الدولةِ، يقولُ المُرْتَضَى [1]

١- الديوان : ٢/ ٢٣٠ (من الطويل)

دَعُوا اليومَ ما عُوِّدتُم من تَصَبُّرٍ فإنَّ نِزَاعِي غالبٌ لنزوعي[1]
فما القلبُ مني فارغًا من تذكُّرٍ ولا العينُ منيَّ غيرَ ذاتِ دموعِ
ولو كنتُ مُسْطِيعًا جعلتُ صَبابةً مكانَ دموعي في البكاءِ نجيعي[2]
ففيها تركتُ لا يُخافُ تَرَدُّدِي وفيها وهبتُ لا يُخافُ رجُوعي
وكيف بقائي لا أموتُ وإنما ربوعُ الأنامِ الهالكينَ رُبوعي ؟
وما أنا إلا منهُمُ وعليهمُ إذا ما انقضى عُمْري يكونُ طُلوعي
ألمْ ترَ هذا الدهرَ كيف أَظَلَّنا على غفلةٍ مِنَّا بِكُلِّ فظيعِ ؟
وكيف انتقى عظمي وَشَرَّدَ صَرْفُهُ رُقادي وأَوْدى عَنْوَةً بِهُجُوعِي
وَجَرَّ على شوكِ القتادِ أخامِصي وَأَضْرَمَ نارًا في يبيسِ ضُلُوْعِي

والمُرْتَضَى في الأبياتِ السابقةِ يَنْدُبُ جلالَ الدولةِ. وَمِنْ ثَمَّ فهو يخاطبُ قَوْمَهُ حاثًّا لهم على التَّحَزُّنِ، داعيًا إياهم إلى عدمِ نسيانِهِ، وذرفِ الدموعِ على فقدِهِ، مشيرًا إلى أنه كان يتمنى أنْ يذرفَ دمًا لا دمعًا حبًا لفقيدهِ، كما يتمنى ألا يبقى حيًا بعدَ موتِهِ، ومقرًا بأنَّ الدهرَ قد أصابهم -على حينِ غفلةٍ- بمصيبةٍ عظيمةٍ قد أرهقتْ جِسْمَهُ، وَحَرَمَتْ النومَ عينَهُ، وجعلتْهُ يتألمُ، وكأنه يسيرُ على شوكِ القتادِ، إذ أشعلتْ نارًا في الفؤادِ.

ومن الملاحظِ أنَّ هناكَ ثلاثةَ التفاتاتٍ في الأبياتِ السابقةِ في مجالِ العددِ. أما الالتفاتُ الأولُ فنجدُهُ حينَ تحدثَ المُرْتَضَى عن نَفْسِهِ بضميرِ المتكلمِ المفردِ في الأبياتِ من الأولِ إلى السادسِ - فقالَ : " نزاعي - نزوعي - مني - كنتُ - دموعي - نجيعي - تركتُ - ترددي - وهبتُ - رجوعي - بقائي - لا أموتُ - ربوعي - أنا - عمري - طلوعي " ثُمَّ التفتَ في حديثِهِ عن نَفْسِهِ من ضميرِ المفردِ إلى

---

1 - النُّزُوْعُ : الاشْتِيَاقُ .
2 - النَّجِيْعُ : الدَّمُ .

ضميرِ الجمعِ في البيتِ السابعِ، فقالَ "أَظَلَّنَا – مِنَّا" وكانَ من مقتضى السياقِ أن يقولَ : "أظلَّنِي – مِنِّي " لكنه انحرفَ ليفيدَ أَنَّهُ لَيْسَ حَزِيْنًا وَحْدَهُ على فقدِ جلالِ الدولةِ، وإنما يشاركُهُ في حُزْنِهِ آخرونَ، مِمَّا يُوْحِي بِعِظَمِ قَدْرِ الفقيدِ، وسموِ مكانتِهِ بين أهلِهِ وقومِهِ.

والالتفاتُ الثاني نجدُهُ حينَ انتقلَ المُرْتَضَى من الحديثِ عن نفسِهِ في البيتِ السابعِ بضميرِ الجمعِ إلى الحديثِ عنها بضميرِ المفردِ في البيتينِ الثامنِ والتاسعِ، فقالَ: " عظمي – رقادي – هجوعي – أخامصي – ضلوعي " وكان من مقتضى السياقِ أنْ يقولَ : " عظمُنَا – رقادُنا – هجوعنا – أخامصُنَا – ضلوعنا " ؛ ليسيرَ الكلامُ على وتيرةٍ واحدةٍ، ولكنه انحرفَ وعادَ مرةً ثانيةً إلى المفردِ، وأدخلَ نَفْسَهُ ضِمْنَ الجمعِ، ونابَ عنهم جميعًا في التَّحَزُّنِ على فقدِ جلالِ الدولةِ، مما يوحي بأنَّ المُرْتَضَى كانَ يألمُ ألمًا شديدًا لهذه المصيبةِ. فقد حَزِنَ على الفقيدِ حزنًا لا يعدِلُهُ حزنٌ، حتى لكأنه قَدْ حملَ وحده أحزانَ قومِهِ على الفقيدِ.

وأما الالتفاتُ الثالثُ في مجالِ العددِ، فكانَ يَخُصُّ ضميرَ الخطابِ، حيثُ نَجِدُ المُرْتَضَى في البيتِ الأولِ يخاطبُ الجمعَ، قائلًا : " دَعُوْا "، " مَا عُوِّدْتُمْ " ثم يلتفتُ في البيتِ السابعِ إلى مخاطبةِ المفردِ، قائلًا : " أَلَمْ تَرَ " وكان السياقُ يقتضي أنْ يقولَ : "أَلَمْ تَروا" لكن المُرْتَضَى انحرفَ عن هذا السِّيَاقِ.

ويبدو لي أنَّ اضطرابَ المُرْتَضَى نفسيًّا وفكريًّا حالَ ندبِهِ لجلالِ الدولةِ ورثائِهِ كان سببًا في هذا الاضطرابِ في التعبيرِ أَيْ في هذا الالتفاتِ.

٢- الالتفاتُ من ضميرِ الجمعِ إلى ضميرِ الواحدِ :

يقولُ المُرْتَضَى في مطلعِ مقطوعةٍ في النسيب : (١)

عَنَّ النِّسَاءُ لَنَا عَلَىْ وَادِيْ مِنًى   فَاصْطَادَنِيْ مِنْهُنَّ بَعْضُ الرَّبْرَبِ

والشاعرُ في البيتِ السابقِ يخبرُ بأنَّه قد رأى نساءَ على وادي منىً، وأنه قَدْ وَقَعَ في هَوَى إِحْدَاهُنَّ.

١- الديوان: ١/ ١١٠ (من الكامل) .

وهو فى الشطرِ الأولِ من البيتِ يتحدثُ عن نفسِهِ بضميرِ الجمعِ، فيقولُ : " عنَّ النِّسَاءُ لنا " ؛ ليشيرَ إلى أنه لَمْ يَرَ هؤلاءِ النسوةَ وَحْدَهُ، وإنما هو قَدْ رَآهُنَّ وقومَـهُ، ثـم ينحرفُ الشاعرُ فى الشطرِ الثانى إلى الحديثِ عن نفسِهِ بضميرِ الواحدِ، فيقولُ : " فاصطادنى مِنْهُنَّ " ؛ ليشيرَ إلى أنَّ امرأةً من هؤلاءِ النِّسْوَةِ قَدْ سَلَبَتْ لُبَّهُ وأطارتْ عَقْلَهُ، وَجَعَلَتْهُ وَحْدَهُ مِنْ دُوْنِ قَوْمِهِ يَقَعُ فى هَوَاهَا ولا ينظرُ لِسِوَاهَا.

٣- الالتفات من الجمع إلى المثنى :

وفى مطلع قصيدة فى رثاء جده الحسين ﷺ، يقول المُرْتَضَى : [1]

خُذُوا من جفونى ماءَهَا فَهْىَ ذُرَّفُ ... فما لكُمُ إلا الجَوَى والتَّلَهُّفُ
وإنْ أنتما استوقفتُما عن مَسِيْلِهَا ... غُرُوْبَ مآقينا فما هُنَّ وُقَّفُ
كَأَنَّ عيونًا كُنَّ زَوْرًا عن الْبُكَا ... غصونٌ مطيراتُ الذُّرا فهى وُكَّفُ [2]
دَعَا العذلَ والتعنيفَ فى الحزنِ والأسي ... فما هجرَ الأحزانَ إلا المعنِّفُ؟
تقولونَ لى : صبرًا جميلًا، وليسَ لى ... على الصبرِ إلا حسرةٌ وتَلَهُّفُ
وكيفَ أطيقُ الصبرَ والحزنُ كلما ... عَنُفْتُ بِهِ يقوَى علىَّ وَأَضْعُفُ
ذكرتُ بيومِ الطَّفِّ أوتادَ أرضِهِ ... تَهُبُّ بهمْ للموت نكباءُ حَرْجَفُ [3]

والشاعرُ فى الأبياتِ السابقةِ يندبُ الحسينَ ﷺ نَدْبًا يَفِيْضُ بالحزنِ والأسى. وهو فى البيتِ الأولِ يخاطبُ أَصْحَابَهُ باكيًا ذارفًا من عينيه دموعًا لا تَكِفُّ ولا تَجِفُّ، إِذْ لَمْ يَعُدْ أمامَهُ إلا الحزنُ والتلهفُ. ثم ينحرفُ فى الأبياتِ التاليةِ (الثانى والثالث والرابع) إلى مخاطبةِ صاحبيه مشيرًا إلى أَنَّ عَيْنَيْهِ لَنْ تَتَوَقَّفَا – وإنْ طَلَبَا إِلَيْهِ الصَّاحبانِ ذَلِكَ – عَنْ البكاءِ وكأنهما يُسْقِطَا أمطارًا. فَعَلَى الصَّاحِبَيْنِ – إِذَنْ – أَنْ

1- الديوان : ٢/ ٢٥٥ (من الطويل).

2- زَوْرًا : مَيْلا .

3- النَّكْبَاءُ : الرِّيْحُ تَهُبُّ مُنْحَرِفَةً ، والحَرجَفُ :الرِّيْحُ الباردةُ الشَّدِيْدَةُ .

يَتَوَقَّفَا عن لومِهِ وتعنيفِهِ فى حزنِهِ وَأَسَاهُ ؛ إِذْ الكلُ مَحْزُوْنٌ مَكْلُوْمٌ سواهما. ثُمَّ ينحرفُ الشاعرُ فى البيتِ الخامسِ عن مخاطبةِ صاحبيه إلى مخاطبةِ أصحابه الذين يَدْعُونَهُ إلى الصبرِ الجميلِ، وهو لا يطيقُ الصبرَ ولا يتحملُ المصابَ ؛ إِذْ إِنَّه يتذكرُ ما حدثَ لآلِ البيت يومَ الطَّفِّ، وكيفَ أَنَّ الموتَ أَهْلَكَهُمْ وكأنه ريحٌ عاصفةٌ.

وَمِنَ الملاحَظِ فى الأبياتِ السابقةِ أَنَّ هناك اضطرابًا فى الصياغة فالشاعرُ قد بدأَ أبياتَ قصيدتِهِ بمخاطبةِ الجمعِ، فقالَ " خذوا"، " فما لكم" ثُمَّ انحرفَ إلى مخاطبةِ المثنى، فقالَ:" وإن أنتما استوقفتما"، " دَعَا الْعَذْلَ " ثم عادَ مرةً أخرى إلى مخاطبةِ الجمعِ، فقالَ :" تقولون لى "، وليسَ هناكَ من تفسيرٍ لهذا الاضطرابِ فى الصياغةِ سوى اضطرابِ الحركةِ الفكريةِ والنفسيةِ عند المُرْتَضَى – بسببِ شِدَّةِ حُزْنِهِ على مَصْرَعِ جَدِّهِ – الَّتِى يَتْبَعُهَا – بالضَّرُورةِ – اضطرابُ الحركةِ التعبيريةِ.

٤ – الالتفات من المثنى إلى الجمع :

يقولُ المُرْتَضَى فى مطلعِ قصيدةٍ فى الافتخارِ على بنى عَمِّهِ العباسيينَ : [1]

قِفَا بِىْ عَلَىَّ تلكَ الطُّلُوْلِ الرَّثَائِثِ ... مُحِيْنَ بنسجِ المعصراتِ المواكثِ[2]

ولا تسألوا عن اصطبارِ عَهِدْتُمَا ... فَقَدْ بَانَ عنى بانتهاكِ الحوادثِ

والشاعرُ فى البيتينِ يَقِفُ على أطلالِ أحبتِهِ / آلِ البيتِ مَحْزُونًا، فاقدَ الصَّبْرِ، وَمِن ثَمَّ فَهُوَ فيهما يخاطبُ صاحبيه طالبًا إليهما أَنْ يتوقفا على الأطلالِ الباليةِ التى مَحَتْ آثارَها الرياحُ، ناهيًا عن التعجبِ من نفادِ صبرِهِ الذى يعلمانه. فقد زالَ صبرُهُ بِمَا فعلته الأيامُ.

وَمِنْ الملاحظِ أَنَّ الشاعرَ فى البيتينَ السابقينِ قد اضْطَرَبَ فى صياغتِهِ ؛ حيثُ خاطبَ فى البيتِ الأولِ المثنى، فقالَ : " قفا " ثم انحرفَ فى مطلعِ البيتِ الثانى إلى مخاطبةِ الجمعِ قائلًا "لا تسألوا " ثم عادَ مرةً أخرى إلى مخاطبةِ المثنى فى البيتِ نفسهِ بل

---

1 – الديوان ١/ ١٥٥ (من الطويل)

2– الرَّثَائِثُ الباليات . المُعْصِرَاتُ : السُّحُبُ الماطِرَةُ .

فى الشطر نفسه، فقالَ " عهدتما ".

وهذا الاضطرابُ فى الحركةِ التعبيريةِ فى البيتينِ منشؤُهُ اضطرابُ الْمُرْتَضَى فِكْرِيًّا وَنَفسِيًّا. فَقَدْ كَانَ الْمُرْتَضَى فِى مَوْقِفٍ نَفْسِىٍّ مُرْهِقٍ، يُعَانِى فيه من فِرَاقِ أَحِبَّتِهِ وَابْتِعَادِهِم عَنْهُ.

ثانيًا : الضمائر :

١، ٢ – الالتفاتُ من ضميرِ التَّكَلُّمِ إلى ضميرِ الخطابِ، ثُمَّ من الخطابِ إلى التَّكَلُّمِ :

يقولُ الْمُرْتَضَى فى الغزلِ : (١)

ضَنَّتْ عليكَ بوصلِها لَكَ زَيْنَبُ	وطلبتَ لما عَزَّ منها المطلبُ
وَأَرَتْكَ برقًا لامعًا من وَعْدِهَا	لَكِنَّهُ بَرْقٌ – لَعَمْرُكَ – خُلَّبُ
وتقولُ لِىْ – جهلًا بأسبابِ الهوى-	كيفَ الهوى والرأسُ مِنْكَ الأَشْيَبُ
والحبُّ داءٌ للرجالِ تَبَاعَدُوا	عن شَيْبَةٍ وشبيبةٍ وَتَقَرَّبُوا

والشاعرُ فى المقطوعةِ يتحدثُ عن محبوبتِهِ زينبَ، وأنها بخيلةٌ عليه بوصالِها؛ بسببِ مَا بِهِ من شَيْبٍ، فهى تَعِدُ ولا تفى، وهى تسخرُ من حُبِّهِ لها.

وامرأةٌ هذه طبيعتُها، وهذا خُلُقُها مَعَ مَنْ يُحِبُّهَا لَيْسَتْ جَدِيرَةً بِحُبِّهِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَسَلَّى عنها وَيَنْسَاهَا، ولكنْ هَيْهَاتَ، فقد تَمَكَّنَ من قلبِهِ الحبُّ، وصارَ داءً لا يُمْكِنُ مِنْهُ الْبُرْءُ ؛ وَلِذَا فقد انحرفَ الْمُرْتَضَى عَمَّا تقتضيه اللُّغَةُ من التعبيرِ عَنْ نَفْسِهِ بلسانِ المتكلمِ، فعبرَ عنها بضميرِ المخاطبِ فى البيتينِ الأولينِ، قائلًا "ضَنَّتْ عليكَ بَوَصْلِها"، " وَأَرَتْكَ برقًا" وكانَ من مقتضى سياقِ الكلامِ أن يقولَ " ضَنَّتْ عَلَىَّ بوصلِها"، " وأرتنى برقًا " ولكنَّ الْمُرْتَضَى لما عَجَزَتْ نفسُهُ عن نسيانِها، غَاظَهُ ذلكَ،

---

١ – الديوان : ١/ ٢٨ (من الكامل).

فأقامها مَقَامَ المستحقِ للعتابِ والتوبيخ، فَجَرَّدَ من نفسِهِ شخصًا يخاطبُهُ، ويقولُ لَهُ : لَقَدْ بخلَتْ زينبُ عليكَ بوصالِها، ولم تَفِ بِمَا وَعَدَتْ. لَعَلَّهُ يفيقُ من سكرتِهِ، ويرجعُ إلى رُشْدِهِ فينصرفُ عنها.

ثُمَّ هو فى البيتِ الثالثِ ينحرفُ، فيلتفتُ من الخطابِ إلى التكلمِ، قائلًا : " وتقول لى " وكان سياقُ البيتينِ الأولينِ يقتضى أنْ يقولَ : " وتقولُ لكَ " ليستمرَ السياقُ فى طريق الخِطابِ، وليسيرَ الكلامُ على وتيرةٍ واحدةٍ، ولكنَّ المُرْتَضَى خالفَ سياقَ الكلامِ ؛ لأنه أرادَ أَنْ يُنَبِّهَ على أَنَّ هذا الأمرَ يخصُّه هُوَ ولا يَخُصُّ أحدًا سواهُ.

ويبدو لِيْ أَنَّ المرأةَ فى هذه المقطوعةِ ما هى إلا رمزٌ للخلافةِ الإسلاميةِ التى ابتعدتْ عن العلويينَ، وَهَجَرَتْهُمْ إلى غيرِهم بسببِ شيخوختِهم وَضَعْفِهِمْ.

٣- الانتقال من ضمير الغياب إلى ضمير الخطاب :

يقول المُرْتَضَى (١):

ما ضَرَّ مَنْ للنوى زُمَّتْ ركائبُهُ ... لو جادَ لِيْ ساعةَ التوديعِ بالنَّظرِ

رميتمُ القلبَ مِنِّى بالوجيبِ - وقد ... فأَرَقْتُمُوْنِى - والعينينِ بالسَّهَرِ

ومن الملاحظِ أنَّ المُرْتَضَى - فى البيتينِ السابقينِ - كانَ يعمدُ إلى تعديلِ حركةِ الصياغةِ ؛ لتَتَوَازَى مَعَ تَعْديلِ حَرَكَةِ المَعْنَى. فَفى البَيْتِ الأولِ الذى يستنكرُ فيه رحيلَ محبوبِهِ دونَ توديعِهِ آثَرَ أن يكونَ حديثُهُ عنه غيابيًّا، فَقَالَ " زُمَّتْ ركائِبُهُ "، و" جادَ لى " ؛ وذلك لكى لا يُشْعِرِ المحبوبَ باستنكارِهِ لفعلِهِ فيتَمادَى فِى صَدِّهِ.

ثم لما بَدَا له أن يَسْتَعْطِفَهُ فى البيتِ الثانى، آثَرَ الشاعرُ أَنْ ينحرفَ عن الغيابِ إلى الخطابِ، قائلًا لمحبوبِهِ " رميتمُ القلبَ منى بالوَجِيْبِ " وكان من مقتضى السياقِ أَنْ يقولَ "رمى القلب " ؛ وذلك لِيُطْلِعَ المحبوبَ على اضطرابِهِ لفراقِهِ، وأرقِهِ لبعدِهِ، لَعَلَّهُ يعطفُ عَلَيْه، ويرقُ لِحَالِهِ.

١- الديوان ٢/ ١٠١ (من البسيط).

ومن قصيدة فى الغزل يقول المُرْتَضَى: [1]

عـــادت إلىَّ بغيـــضةٌ فتَـــوَدَّدَتْ هَيْهَـاتَ، مَـنْ جَعَـلَ البَغـيْضَ حَبِيْبَـا ؟
عـــادتْ إلىَّ فَخِلْـتُ أَنَّ شَبِيْبَتِـــى خُلِـسَـتْ وَأَبْـدَلَهَا الزمـانُ مَـشِيْبًا
فكـأننى أبـصرتُ منهـا بَغْتَـــةً يــومَ الوصـالِ مـن الحبيـبِ رَقِيْبَـا
وودتُ أَنَّ طلوعَهـــا مقليــــةً مَـشْنِيَّةً فى النـاسِ كـان غُرُوبَـا
قــد كنـتِ لى داءً ولكـنْ لَمْ أجِـدْ مـن داءِ سُـقْمِكِ فـى الرجـالِ طَبِيْبَـا
ولحبـذا زمـنٌ مـضى مـا كـان لى قـربٌ إليـك وكنـتُ مِنْـكِ سِـلِيْبا

. . . .

. . . .

لـو كنـتِ عيبًـا واحـدًا صـبرتْ لـه نفـسى ولكـن كنـتِ أنْـتِ عيوبـا

والقصيدةُ مكونةٌ من ستةَ عشرَ بيتًا، وهى تتحدثُ عن بُغْضِ الشاعرِ لإمرأةٍ كان يعشقُها، ورغبتِهِ فى أَنْ تنصرفَ عَنْهُ. ومن ثَمَّ نَرَاهُ فى بدايةِ القصيدةِ يتحدثُ عن هذه المرأةِ بضميرِ الغيابِ، مُصوِّرًا للمتلقى مَشَاعِرَهُ نحوها، وأنه لم يَعُدْ يُطِيْقُهـا، ومخبرًا إيَّاه بأنها – بعد جفاءٍ – قد عَادَتْ إليه راجيةً وصالًا، ولكنْ هيهاتَ إذ كيفَ يتحولُ الكُرْهُ إلى حُبٍّ، ومظهرًا أنه – حين أَصَرَّتْ على العودةِ إليه – قد سَئِمَ منها، وَظَنَّ أَنَّ قدومَهَا قَدْ أفقده شبَابَهُ وألبسه مشيبًا. . . . ثم هو يتمنى أن تغربَ هذه البغيضةُ من حياة الناسِ جميعًا لا من حياته فَحَسْبُ.

ثُمَّ نَرَاهُ يَنْحَرِفُ فِى بَـاقِى الْقَـصِيْدَةِ (أى فى الأبيـات مـن الخـامسِ إلى الـسادسَ عشرَ) عن ضميرِ الغيابِ إلى ضميرِ الخطابِ متوجهًـا بحديثـه إلى هـذه المـرأة مخبرًا إياها بأنها قد كانت له داءً عُضَالًا لَمْ يجدْ منه شافيًا، وأنه يُفَضِّلُ زمنًـا وَلَّى كـان بعيـدًا

1 – الديوان: ١/ ٧٣، ٧٤ (من الكامل).

عنها . ذاكرًا لها – فى خِتامِ القصيدةِ – أَنَّ بها عيوبًا كثيرةً، وأنه لو كانَ بها عيبٌ واحدٌ لاحتمله لعله بهذا الصنيعِ – أى بمواجَهَتِها بكرهِهِ لها – يُيَئِّسُها من وصالِهِ، فتنصرفُ عَنْهُ.

٤ – الانتقال من ضمير الخطاب إلى ضمير الغياب :

يقولُ المُرْتَضَى فى مطلعِ مقطوعةٍ فى النَّسِيبِ (1)

على كُلِّ حَالٍ أَنْتِ قاسيةُ القلبِ ... فلا عَذْلى يُجْدِىْ عَلَىَّ ولا عَتْبِى

ولم أَنْسَهَا يومَ الفراقِ ووجْهُهَا ... يضئُ لَنَا خَلْفَ البراقعِ والحُجْبِ

والشاعرُ فى البيتِ الأولِ يتحدثُ إلى صاحبتِهِ معاتبًا لها واصفًا إياها بأنها ذاتُ قلبٍ قاسٍ، لا يلينُ لَهُ ولا يَرْحَمُهُ، وأنها لا ينفعُ معها لومٌ أو عتابٌ. لعلَّ قلبَها بهذا العتابِ يرقُّ لَهُ ولا يقسو. ثُمَّ هُوَ فى البيتِ الثانى يخبرُ بأنها قد هَمَّتْ بفراقِهِ، ولم تتراجعْ عَمَّا هَمَّتْ بِهِ، وأنه لم ينسَ جمالَ وجهِها الذى بَدَا له من خلفِ حجابِها ساعةَ فِرَاقِها.

وقد انحرفَ الشاعرُ فى البيتِ الثانى عن ضميرِ الخطابِ إلى ضميرِ الغيابِ، فقالَ " ولم أنسها يومَ الفراقِ ووجهُها يضئُ" وكانَ من مقتضى السياقِ أَنْ يقولَ " ولم أنسكِ يومَ الفراقِ ووجهُكِ يضئُ" حيثُ غَيَّبَ المحبوبةَ وتحدثَ عنها فى البيتِ الثانى بعد ما تحدثَ إليها فى البيتِ الأولِ، إذْ إنه يتحدثُ فى البيتِ الثانى عن رحيلِ المحبوبةِ وفراقِها. فالمحبوبةُ قَدْ رَحَلَتْ عن الشاعرِ، وَذَهَبَتْ بعيدًا عن مقامِ الخطابِ، فلاءَمَ ضميرُ الغيبةِ حالَ المحبوبةِ / الخلافة.

٥– الانتقال من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة :

وَمِنْ قصيدةٍ فى الافتخارِ يقولُ المُرْتَضَى : (2)

1– الديوان : ١ / ١١٧ (من الطويل).

2– الديوان ١ / ١٥٦ (من الطويل) .

فأقسمُ بالبيتِ الذى جَوَّلَتْ بِهِ أَخَامِصُ أَقْوامٍ كِرَامٍ مَلاوِثِ[1]

والبُدْنِ فى وَادِى مِنىً يومَ عَقْرِهِمْ يُقَدْنَ إلى أَيْدٍ هناكَ فَوَارِثِ[2]

وَمَنْ باتَ فى جمعٍ كليلًا من الوجا إلى شُعُثٍ من السُّرى وأشاعثِ

لنحنُ بنشرِ الفخرِ أعبقُ منكم وأسمقُ منكم فى الجبالِ اللَّوابِثِ

لنا السَّلَفُ الأعلى الذى تعهدونَهُ عَلَقْنَا بِهِ من وراثٍ بَعْدَ وارثِ

هُمْ أَوْسَعُوا فى الناسِ ضِمْنَ أكفِّهِمْ وَهُمْ أوسعوا فى الأَزْمِ جوعَ المغارثِ

وَهُمْ وَرِثُوا آباءَهُم مأثُراتِهِمْ وَأَنْتُمْ مِنَ العَلْيَاءِ غيرُ مَوَارِثِ

ونحنُ غَدَاةَ الجَدْبِ خيرُ مَخَاصِبٍ وَنَحْنُ غداةَ الرَّوْعِ خَيْرُ مَغَاوِثِ

والشاعرُ فى الأبياتِ السابقةِ يخاطبُ بنى عَمِّهِ العباسيينَ مفتخرًا عليهم، فيقسمُ بالكعبةِ وبالنوقِ التى قُيِّدَتْ إلى وَادِى مِنًى لتذبحَ، كما يقسمُ بالحجيجِ الذين أمضوا ليلتَهم مرهقينَ، حفاةً شُعْثَ الشعورِ لسيرهم ليلًا يقسمُ بِكُلِّ ذَلِكَ مؤكدًا للعباسينَ أَنَّ مفاخرَ العلويينَ تفوقُ مفاخِرَهُمْ؛ فالعلويونَ ينتسبونَ لخيرِ سلفٍ أولئكَ الكرامِ المجاويدِ الذين وَرِثُوا الشمائلَ الكريمةَ من آبائِهم، أما العباسيونَ فَلَمْ يرثوا مجدًا يفتخرونَ به.

ومن الملاحظِ أن المُرْتَضَى حينَ أرادَ أَنْ يناظرَ العباسيينَ ويفاخرَهم قد تحدثَ عن نفسِهِ بضميرِ المتكلمينَ فى البيتينِ الرابعِ والخامسِ، فقالَ " لنحنُ بنشرِ الفخرِ "، " لنا السلفُ الأعلى " ليشيرَ إلى أَنَّ المناظرةَ كانتْ بينه وبينهم. ثُمَّ لَمَّا بَدَا له أَنْ يتحدثَ عن مفاخرِ أجدادِهِ انحرفَ بالحديثِ عن نفسِهِ من المتكلمِ إلى الغيبةِ فى الأبياتِ السادسِ والسابعِ والثامنِ، فقالَ " هم أوسعوا "، " هم ورثوا " ؛ وذلك ليقصَّ علينا مأثراتِ أجدادِهِ وفضائلَهُمْ. ثُمَّ انحرفَ المُرْتَضَى مَرةً أخرى بالحديثِ عن نفسِهِ من الْغَيْبَةِ إلى

1- مَلاوِثُ : شُرَفَاءُ.

2- البُدْنَ : النُّوقُ ، الفَوَارِثُ : القواطعُ.

التَّكَلُّمِ، فقالَ "ونحنُ غَدَاةَ الجَذْبِ"، " ونحنُ غَدَاةَ الرَّوْعِ " ومضى على هـذه الطريقـةِ إلى أخرِ القصيدةِ ؛ ـ لأنَّ طريقةَ التكلمِ " هي التى تتسعُ لِفَـيْضِ شعورِهِ، واعتـزازِهِ بفضائلِهِ"[1]

ثالثا التذكير والتأنيث :

١ -الإخبار عن المؤنث بالمذكر / الغزل بالمذكر :

ولقدْ انحرفَ المُرْتَضَى عن الغزلِ بالمؤنثِ إلى الغَـزَلِ بالمـذكرِ ؛ لأنـه قـد تـأثرَ – كشعراءِ عصرِهِ – بما طرأَ على مجتمعِهِ من تغيرٍ. فقدَ " كَثُرَ الرقيقُ فى العصرِ العباسـيِّ كثرةً مُفْرِطَةً بسببِ كثرةِ من كانوا يُؤْسَرُونَ فى الحـروب وبـسببِ انتـشارِ تجارتِـه"[2] ومن ثَمَّ فقد كَثُرَ استخدامُ الغلمانِ فى القصورِ وفى دورِ الوجهاءِ وفى حاناتِ الشرابِ وغيرها. وقد كان من المألوفِ أنْ يَهَبَ الخليفةُ أو غيرُهُ شـاعرًا مـن الـشعراءِ الـذين يمدحونه – سوى المنحة الماليةِ – جاريةً أو غلامًا.[3]

هَذَا، ولمْ يخرجْ المُرْتَضَى فى غزلِهِ بالمذكرِ عن إطارِ غزلِهِ بالمؤنثِ، حيثُ كانَ غـزلًا عفيفًا لا فُحْشَ فِيْهِ.

ويبدو لى أنَّ المُرْتَضَى قـد إسْـتَطَاعَ أَنْ يُوَظِّـفَ هـذا الغـزلَ تَوْظِيْفًـا فَنِّيًـا حيـثُ استخدمَ فى تعبيرِهِ لغةَ شعراءِ الغزلِ العفيفِ ومعجمَهَم الشعريَّ استخدامًا رَمْزِيًّـا، فتراهُ يرمزُ بالمحبوبِ – كما سنبينُ – تارةً إلى عفتِهِ ونقائِهِ وطهرِهِ، وتاراتٍ إلى الإمامةِ التى سُلِبَتْ من العلويينَ.

1- خصائص التراكيب – ص ٢٥٣ .

2- شوقي ضيف: العصر العباسي الأول – مرجع سابق – ص ٥٦ .

3- انظر: ابن المعتز : طبقات الشعراء- تحقيق عبدالستار فراج – دار المعارف – مصر – ص٢٠٥.

يقولُ المُرْتَضَى فى النسيب : [1]

فـؤادىَ مَـشْغُـولٌ بِـكَ العمـرَ كُلَّـهُ ... وأنْـتَ - كـما يهـوى الخَلِيُّـونَ - فـارغُ
وإنْ أكُ فى دارِ الهـوى وَسْـطَ عقرِهـا ... فإنـك عـن دارِ الـصبابةِ رائـغُ
تباعـدتَ عَنِّـى بَعْـدَ أنْ قـد ملكتنـى ... فـألا ولم تبلـغْ بقلبـى المبـالغُ
خُلِقْـتَ بقلـبٍ لَمْ تجزْ فيـه صَبْوَةٌ ... وقـد صـاغَ قلبـى للـصبابةِ صـائغُ

والمُرْتَضَى فى هذه المقطوعةِ يتوجه بخطابِـهِ الـشعرىِّ إلى محبوبِـهِ الـذى لا يـشعرُ بهواه، مستعطفًا إياه. فالمحبوبُ قد ابتعدَ عنه بعـدما اسـتقرَ فى قلـبِ الـشاعرِ حُبُّـهُ، وملكَ عليه كُلَّ شيءٍ مِنْ أمرِهِ.

ويبدو لى أَنَّ هذا الغزلَ يَنْحُو مَنْحـىً رَمْزِيًّـا، وأنَّ الـشاعرَ قـد رمـزَ بـالمحبوبِ للإمامةِ / الخلافةِ التى تقعُ فى الصميمِ من قلبِهِ، وهى بعيدةٌ عَنْهُ.

وفى النسيب أيضًا، يقول المُرْتَضَى : [2]

أَمَلَلْتَنـى وزعمـتَ أَنْـ ... ـنَكَ خـائفٌ مِنِّـى المَلالَـه ؟
وَأَطَعْـتَ فِىَّ ومـا أَطَعْـ ... ـتَ مُحَرِّفًـا - أبـدًا - مَقَالـه
وَعَلِمْـتَ مِنِّـى مَـا عَلِمْـ ... ـتَ فَلِـمْ علمـتَ عـلى الجهالـه
يـا مَـنْ جفـاني فى الـضحى ... وأزارنـى وهنـا خيالـه
وَحُرِمْـتُ منـه صحيحَـهُ ... وقلبـتُ مـضطرًا مُحَالـه
هَـلْ ضـامنٌ منكم لنـا ... ضِـمْنَ الجميـلِ فَـمَا بَدَالـه

والمُرْتَضَى فى هذه المقطوعةِ يتوجه بخطابِهِ الشعرىِّ إلى محبوبِهِ مُعَاتِبًا له. فهـو قـد صَدَّ عنه وأطاعَ فيه قولَ الوشاةِ، ولم يتبينْ حقيقةَ ما عَلِمَ. ثم يمضى المُرْتَضَى فى حديثِه فيصفُ محبوبَه بأنه قد كان يزوره ليلًا لا نهارًا، يـزوره حُلـما لا حقيقـةً. والمُرْتَـضَى -

---

1- الديوان: ٢/ ٢٤١ (من الطويل).

2- الديوان: ٣/ ٧٣، ٧٤ (من مجزوء الكامل).

رغمًا عنه – قانعٌ منه بهذا، وإلا فماذا يفعلُ ؟ لا شيءَ سوى الأمنيةِ. إنه يتمنى من محبوبِهِ ألا يبخلَ عليه ببعضِ الجميلِ، ويجودَ عليه بزيارةٍ حقيقيةٍ.

فالمحبوبُ هاهنا – كما هو واضحٌ – رمزٌ للخلافةِ التى ابتعدتْ عن أيدى العلويينَ، وصارتْ لا تأتيهم واقعًا بَلْ حُلما، والتى يتمنى الشاعرُ أَنْ تعودَ إلى أصحابِها مَنْ هُمْ أَحَقُّ مِنْ غيرِهم بها.

وإذنْ، فقدْ استطاعَ المُرْتَضَى بِحَقٍّ – من خلالِ تأثرِهِ بحضارةِ عصرِهِ أى خلالَ غزلِهِ بالمذكرِ – أَنْ يُعَبِّرَ عن هَمٍّ يشغلُ عَقْلَهُ، ويقضُّ مَضْجَعَهُ، وهذا الهمُّ هو انتزاعُ الخلافةِ (الإمامةِ) من العَلَوِيِّيْنَ.

٢- الالتفات من ضمير الإناث إلى ضمير الذكور :

ويقولُ المُرْتَضَى فى النسيبِ : (١)

أقولُ لها لَمَّا التقينا على مِنًى ... وأبرزَها ذَاكَ الخِمارُ المُصَبَّغُ
وَأَبْدَتْ صُدُودًا لم يكنْ عادةً لها ... وقد يَتَجَنَّى فى الهوى المتمرِّغُ
لقد خانَ مَنْ أَدَّى المحالَ إليكُمُ ... ومانَ علينا فى المقالِ المبلِّغُ (٢)
شُغلنا وأنتمْ فارغونَ ولم يَعُجْ ... عَلَىَّ ذِىْ اشتغالٍ – دَهْرَهُ – المتفرِّغُ
كأنِّىَ أشكو الحبَّ شكوى مُجَمْجِمٍ ... فَتِىٍّ ضَلَّ عَنْ وَادِىْ البلاغةِ أَلْثَغُ

والشاعرُ فى المقطوعةِ السابقةِ يتوجه بخطابِهِ الشعرىِّ إلى محبوبتِهِ حاثًّا لها على حُبِّهِ. فهو قد التقى بها على وادى منىً، وقد أعرضتْ عنه على غيرِ عادتِها. وهو قد شُغِلَ بحبِّهَا ولا يستطيعُ أَنْ يبوحَ بِهِ، وهى فارغةٌ من حُبِّهِ.

ومن الملاحظِ أَنَّ المُرْتَضَى قد خاطبَ محبوبتَهُ فى البيتينِ الأولِ والثانى بضميرِ المفردِ المؤنثِ، فقالَ " أقول لها "، " أبدتْ صدودًا" ثم انحرفَ عن ذَلِكَ فى الأبياتِ

١- الديوان ٢/ ٢٤١ (من الطويل)..
٢- مَانَ : كَذَبَ .

التاليةِ للبيتينِ، والتفتْ إلى مخاطبةِ محبوبتِهِ بضميرِ جمعِ الذكورِ، فقالِ " إليكم "، " أنتم فَارِغُونَ " وكان من مقتضى السياقِ النحويِّ أنْ يقولَ " إليكِ "، " أنتِ فارغةٌ".

وأنا أرى أنَّ المُرْتَضَى قَدْ انحرفَ في هذه المقطوعةِ، فالتفتَ في مخاطبتِهِ للمحبوبةِ من ضميرِ الإناثِ إلى ضميرِ الذكورِ؛ ليوحيَ لمتلقيه بأنَّهُ لَمْ يكنْ يتحدثُ عن حُبِّ امرأةٍ، وإنما هو يتحدثُ عن حُبِّ حُكْمٍ وخلافةٍ. وما المرأةُ في هذا السياقِ إلا رمزٌ للخلافةِ، بدليلِ قَوْلِهِ في آخرِ مقطوعَتِهِ:

كَأنِّيَ أشكو الحُبَّ شكوى مُجَمْجِمٍ | فتىً ضَلَّ عن وادي البلاغةِ أَلْثَغُ

فالمُرْتَضَى يُحِبُّ حُبًّا يُغَمْغِمُ به لسانُهُ ولا يستطيعُ أنْ يبوحَ به، وكأنه فتىً أَلْثغُ لا يحسنُ الكلامَ ولا يجيدُهُ. إنَّهُ يُحِبُّ الخلافةَ حُبًّا لا يستطيعُ أنْ يفصحَ عنه أو أنْ يشيرَ إليه تَقِيَّةً لأُولي الحكمِ والسُّلْطَانِ.

ويقولُ مِنْ قَصِيدَةٍ في الفخرِ:(1)

قد كان يُدْرَكُ عندكُنَّ السُّوْلُ | فالآنَ لا وصلٌ ولا تعليلُ
ليلي – وأنتم نُزَّحٌ بِمُحَجَّرٍ – ليلٌ | – كما شاءَ الغرامُ – طويلُ
لم يَبْقَ منى بعد يوم فِرَاقِكُمْ | إلا دموعٌ للفراقِ تسيلُ

وقد وردت الأبياتُ السابقةُ في سياقِ النسيبِ والشاعرُ في البيتِ الأولِ يتحدثُ – كما قلتُ قبلًا عن علاقتِهِ بمحبوبتِهِ، وأنها كانتْ قائمةً في الماضي على الوصالِ ثم تحولتْ الحبيبةُ – بَعْدُ – إلى الصَّدِّ والاجتنابِ دونَ ذكرِها للأسبابِ. وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ آثرَ الشاعرُ مخاطبةَ هذه المحبوبةِ بضميرِ جمعِ الإناثِ، فقالَ " عندَكُنَّ" لأنَّ سِيَاقَ البيتِ سياقُ حديثٍ عن عَلاقَةِ الشَّاعِرِ بِمَحْبُوْبَتِهِ. وهذه العَلاقَةُ لا تكونُ إلا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا فَحَسْبُ وَلِيُوحِيَ لِلمتَلَقِّي بإِشَارَاتِهِ هذِهِ إلى أُنوثَتِها – بأنَّه يَسْتَعْطِفُهَا أَمَلًا في وِصَالِهَا.

1- الديوان: ٣/ ٣١ (من الكامل).

ثم انحرفَ الشاعرُ فى البيتينِ الثانى والثالثِ عن ضميرِ الإناثِ إلى ضميرِ الذكورِ، فقالَ: " أَنْتُم "، " فراقكم " وكانَ من مقتضى السياقِ أن يقولَ: " أَنْتُنَّ "، " فراقكنَّ"، ولكنَّ الشاعرَ انحرفَ عن هذا السِّياقِ ؛ لأنَّهُ فى الْبَيْتَيْنِ يَتَحَدَّثُ عن رحيلِ المحبوبةِ وفراقِها وهذا الرحيلُ لَمْ يَكُنْ منها وَحْدَها وإنما هى قَدْ رَحَلَتْ وقومَهَا، مما يوحى بِعِفَّتِها وَطُهْرِها.

كما يُوحِى هذا الالتفاتُ بأنَّ هذه المرأةَ – التى عَدَلَ عنها إلى المذكرِ – رمزٌ للخلافةِ التى رحلتْ عن الشاعرِ وَفَارَقَتْهُ، وَلَمْ تُبْقِ له إلا الدموعَ والأحزانَ.

٣- الالتفات من ضمير الذكور إلى ضمير الإناث :

يقولُ الْمُرْتَضَى فى مطلعِ قصيدةٍ فى الفخرِ : (١)

رَضِينَا من عِداتِكِ بالمِطالِ ... ومن جَدْوَاكِ بالوعدِ الْمُحالِ
وأَقْنَعَنَا هَوَاكِ وَقَدْ ظَمِئْنَا ... إلى وِرْدِ الزُّلالِ بِكُلِّ آلِ
وأنسانا دوامُ الهجرِ منكُمْ ... وطولُ النَّأيِ أيَّامَ الوِصَالِ
وكنتِ الزَّوْرَ يطرقُنى مساءً ... وإنْ منعَ الضُّحى فإلى ظِلالى
إلى أَنْ صَدَّكِ الواشون عنَّا ... فما نُزْدَارُ إلا فى الخَيالِ

والمُرْتَضَى فى الأبياتِ السابقةِ يخاطبُ محبوبَتَهُ يائسًا من وصالِها. فهو قَدْ أصبحَ راضيًا بمماطلتِها فى اللُّقْيَانِ، وصارَ قانعًا بوعدِها المحالِ، فقد أنساه الصدُّ منها أيامَ الوصالِ. أما المحبوبةُ فقد كانتْ تزورُهُ ليلًا ثم غَدَتْ – بصنعِ الوشاةِ – لا تزورُهُ إلا حُلمًا، وَمِنْ الملاحَظِ فِى الأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ – الَّتِى وَضَعَهَا الْمُرْتَضَى مُقَدِّمَةً لِلْفَخْرِ بِأَجْدَادِهِ – أنَّ الْمُرْتَضَى قَدْ خَاطَبَ مَحْبُوبَتَه فِى الْبَيْتَيْنِ، الأوَّلِ والثانى بِضَمِيرِ المفْرَدِ المؤنَّثِ، قَائِلًا : "عِدَاتِكِ"، " هواكِ " ثم انحرفَ الْمُرْتَضَى فى البيتِ الثالثِ، فخاطبَ

---

١ – الديوان ٣/ ٨٤ (من الوافر).

المحبوبةَ بضميرِ جَمْعِ الذُّكُورِ، فقال : " مِنكُمْ " وكان من مُقْتَضَى السِّيَاقِ أَنْ يَقُولَ " مِنْكِ ". ثُمَّ انْحَرَفَ مِنْ جَمْعِ الذُّكُورِ إِلَى المؤَنَّثِ المفْرَدِ فِي الْبَيْتَيْنِ الرابعِ والخامسِ فقالَ " وكنتِ "، " صَدُّكِ" وكانَ مِنْ مُقْتَضَى سِيَاقِ الْبَيْتِ الثالثِ أَنْ يَقُولَ " كنتم "، "صدُّكُم" ليستمرَ الخطابُ عَلَى وَتِيْرَةٍ وَاحِدَةٍ.

وَيَبْدُو لِيْ أَنَّ الْمُرْتَضَى قَدْ قَامَ بِهَذَا الانحرافِ عن النِّظَامِ النَّحْوِيِّ فى هذا السِّيَاقِ الَّذِيْ يُقَدِّمُ بِهِ للافتخارِ بِأَجْدَادِهِ ؛ لِيُوْحِيَ لِلمتَلَقِّى بأَنَّ المحبوبةَ التى يتحدثُ إِلَيْهَا لَيْسَتْ امْرَأَةً حَقِيْقِيَّةً وَإِنَّمَا هِيَ رَمْزٌ لِلْخِلافةِ / الإمامةِ الَّتِى هَجَرَتْهُم لِغَيْرِهِم، وَمَاطَلَتْ فِي الْوِصَالِ، وَصَارَتْ لا تَزُورهم إِلا حُلما بسببِ الواشينَ. وَقَدْ رَمَزَ الْمُرْتَضِى بكلمةِ " الوَاشُونَ " فى البيتِ الخامسِ إلى خلفاءِ الْعَبَّاسِيِّيْنَ آنَذَاكَ الذين يمنعونَ الخلافةَ مِنْ أَنْ تَذْهَبَ لِغَيْرِهِم.

الخاتمة

لَقَدْ قُمْتُ فى هذا الْبَحْثِ - مُعْتَمِدًا عَلَى المنْهَجِ الأُسْلُوْبِىِّ - بِرَصْدِ الخَوَاصِّ الأسلوبيةِ التَّرْكِيْبِيَّةِ فِى شِعْرِ المرْتَضَى وَتَصْنِيْفِهَا ثُمَّ وَصْفِها وَتَحْلِيْلِهَا مَعَ رَدِّهَا إلي أَصْلِها المعْيَارِىِّ ؛ وذَلِكَ بِهَدَفِ الْوُصُوْلِ إِلَى الدَّلالَةِ مِنْ وَرَاءِ التَّرْكِيْزِ عَلَى تِلْكَ السِّمَاتِ التَّرْكِيْبِيَّةِ دُوْنَ غَيْرِهَا وَبَيَانِ دَوْرِهَا فِى سِيَاقِ النَّصِّ مَوْضِعِ الدِّرَاسةِ.

ولأنَّ الْبَحْثَ بَحْثٌ تَطْبِيْقِىٌّ فَهُوَ جَدِيْدٌ، وَمُعْظَمُ جَوَانِبِه نَتَائِجُ ؛ وَلِذَا فَإِنَّنِى سَأَكْتَفِى فِىْ هَذِهِ الْخَاتِمَةِ بِذِكْرِ أَهَمِّ التَّفْسِيْرَاتِ الدَّلالِيَّةِ الْحَقِيْقِيَّةِ والرَّمْزِيَّةِ الَّتِي كَشَفَتْ عنها التَّرَاكِيْبُ خِلالَ البحثِ، وهي - مُوْجَزَةً - كالتالى :-

أولًا: لَقَدْ كَشَفَتْ التَّرَاكِيْبُ عَنْ أَنَّ مُهِمَّةَ الشِّعْرِ ووظيفتَهُ عِنْدَ الْمُرْتَضَي هِيَ الدِّفاعُ عَنِ الْعَلَوِيِّيْنَ ومُنَاصَرَتُهُمْ.

ثانيًا: كَمَا كَشَفَتْ عَنْ أَنَّ غَزَلَ المرْتَضَي لَمْ يَكُنْ غَزَلًا حَقِيْقِيًّا ؛ إِذْ كَانَ يَرْمُزُ بِالمرْأَةِ تَارَةً إِلَىْ عِفَّتِهِ وَنَقَائِهِ وَطُهْرِهِ، وتَارَاتٍ إلي الإمامةِ التي سُلِبَتْ من العَلَوِيِّيْنَ.

ثالثًا : وكَشَفَتْ عن تَأَثُّرِ المرتضى بالقرآنِ الكريمِ فى لُغَتِهِ ومَعَانِيْهِ وأفكارِهِ وصُوَرِهِ، ولا غَرْوَ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ كانَ نَقِيْبَ الْعَلَوِيِّيْنَ فِىْ عَصْرِهِ، وَفَقِيْهَهُمْ.

رابعًا: وَكَشَفَتْ عَنْ أَنَّ المرْتَضَى كانَ يَمِيْلُ إلى السُّهُوْلَةِ فِى الأَدَاءِ عَلَى نَحْوٍ يَقْتَرِبُ اقْتِرَابًا شَدِيْدًا مِنْ لُغَةِ الحَيَاةِ آنَذَاكَ.

وَهُوَ يَفْعَلُ هَذَا إِمَّا رَغْبَةً فِى انْتِشَارِ شِعْرِهِ بَيْنَ الْعَامَّةِ بِهَدَفِ نَشْرِ المذْهَبِ الشِّيْعِىِّ وَالتَّرْكِيْزِ عَلَى أَهَمِّ مَبَادِئِهِ - وَهُوَ أَحَقِّيَّةُ الأئمة الإِثْنَى عَشْرِيَّةِ فِى الخِلافَةِ مِنْ سِوَاهُمْ - وَالتَّنْدِيْدِ بالخِلافَةِ الَّتِى تَجَسَّدَتْ فِى الأُمَوِيِّيْنَ فِىْ بَادِئِ الأَمْرِ ثُمَّ فِى الْعَبَّاسِيِّيْنَ بَعْدَهُمْ ؛ وَذَلِكَ مِمَّا يُؤَدِّى إِلَى تَوْحِيْدِ صُفُوفِ الشِّيْعَةِ، وَإِمَّا - تَأَثُّرًا بِبِيْئَةِ بَغْدَادَ الحَضَرِيَّةِ وَبِرُوْحِ عَصْرِهِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وَبِمَا سَادَ فِيْهِ مِنْ تَرَاكِيْبَ لُغَوِيَّةٍ جَدِيْدَةٍ اسْتَخْدَمَهَا الشُّعَرَاءُ الْعَبَّاسِيُّوْنَ لِكَيْ يُؤَدُّوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ مَعَانِىَ بِعَيْنِهَا، مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِمْ : يَا أَمَلِى، يَا سَكَنِى. . . إلخ

خامسًا: وَكَشَفَتْ عَنْ تَأَثُّرِهِ بالحياةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيْمَةِ الَّتِي كَانَ الشَّاعِرُ فِيْهَا يَعْتَمِدُ عَلَى إِلْقَاءِ شِعْرِهِ لا عَلَى كِتَابَتِهِ وَتَدْوِيْنِهِ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ كَثُرَ التَّكْرَارُ فِي الشِّعْرِ ؛ لِيَسْهُلَ حِفْظُهُ أَوَّلًا، وَلِيُؤَثِّرَ فِي المتَلَقِّيْنَ ثَانِيًا.

سادسًا: وَكَشَفَتْ التَّرَاكِيْبُ عَنْ أَنَّ المرْتَضَى كَانَ يَمْدَحُ الْعَبَّاسِيِّيْنَ تَقِيَّةً لَهُمْ وَفقًا لِمَبْدَإِ الشِّيْعَةِ، كَمَا كَانَ يَفْتَخِرُ بِنَفْسِهِ وَبِآبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ لِيُقَرِّرَ أَنَّهُمْ - أَيْ الْعَلَوِيِّيْنَ - أَحَقُّ بالخلافةِ مِنَ الأُمَوِيِّيْنَ وَالْعَبَّاسِيِّيْنَ وَمِنْ غَيْرِهِمْ.

سابعًا: وَكَشَفَتْ التَّرَاكِيْبُ عَنْ أَنَّ السِّرَّ الَّذِي يَحْتَفِظُ بِهِ المرْتَضَى بَيْنَ ضُلُوْعِهِ وَلا يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَبُوْحَ بِهِ وَيَنْتَظِرُ وَقْتًا مُعَيَّنًا لِيُفْصِحَ عَنْهُ هُوَ أَنَّ الْعَلَوِيِّيْنَ أَحَقُّ بالخِلافَةِ مِنْ الْعَبَّاسِيِّيْنَ.

ثامنًا: وَلَقَدْ أَوْحَتْ التَّرَاكِيْبُ بِأَنَّ سَبَبَ الهمومِ الَّتِي لا تُفَارِقُ المرْتَضَى، وَالَّتِي سَتَبْقَى - أَبَدَ الدَّهْرِ - تلازِمُهُ وَهُوَ لا يَسْتَطِيْعُ أَنْ يُفْصِحَ عَنْهَا خِيْفَةً هُوَ تَذَكُّرُ مَا نَزَلَ بِآلِ الْبَيْتِ مِنْ قَتْلٍ وَتَشْرِيْدٍ وَسَلْبٍ لِلْخِلافَةِ مِنْهُمْ وَهُمْ أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِهِمْ.

وَبَعْدُ، فَإِنَّ شِعْرَ الشَّرِيْفِ المرْتَضَى مَا يَزَالُ فِي حَاجَةٍ إِلَى دَرْسٍ وَتَحْلِيْلٍ عَلَى مُسْتَوَيَاتٍ أُخَرَ، وَمِنْ ذَلِكَ - مَثَلًا - دِرَاسَةُ الأَبْنِيَةِ الموْسِيْقِيَّةِ وَمَدَى فَاعِلِيَّتِهَا فِي الْبِنَاءِ الشِّعْرِيِّ، وَدِرَاسَةُ التَّنَاصِّيَّةِ فِي شِعْرِهِ وَكَيْفَ وَظَّفَهَا المرْتَضَى للإفصاحِ عَنْ أَسْرَارٍ دلالِيَّةٍ.

وَلِذَا أُوْصِي الْبَاحِثِيْنَ بِأَنْ يَقُوْمُوْا بِهَاتَيْنِ الدِّرَاسَتَيْنِ وَبِغَيْرِهِما عَلَى شِعْرِ المرْتَضَى مِنْ أَجْلِ تَفْسِيْرِهِ وَفَهْمِهِ.

والحَمْدُ للهِ فِي الْبَدْءِ وَالخِتَامِ، وَعَلَيْهِ - سبحانه - قصدُ السَّبِيْلِ.

المصادر والمراجع

أولًا: الكتب المقدسة :

١ - القرآن الكريم.

ثانيا المصادر :

١ - **الشريف المُرْتَضَي** : ديوان الشريف المُرْتَضَي - تحقيق : رشيد الصفار - مطبعة الحلبى - القاهرة - ١٩٥٨م.

ثالثًا: المراجع العربية :

١- **إبراهيم عبدالرحمن محمد** : الشعر الجاهلى، قضاياه الفنية والموضوعية - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠م.

٢- **ابن الأثير** : المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر - دار النهضة - مصر - ١٩٧٣م.

٣- **أبو العتاهية** : شرح ديوان أبى العتاهية - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٩٨٥ م.

٤- **أحمد بن حنبل** : المسند - تحقيق : أحمد شاكر - دار المعارف - القاهرة - (د. ت).

٥- **أحمد درويش** : دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٩٨م.

٦- **أحمد عبدالستار الجوارى** : نحو المعانى - مطبعة المجمع العلمى العراقى - ١٩٨٧م.

٧- **أحمد يوسف على** : دوائر النقد الأدبى - الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ٢٠٠٤م.

٨- ـــــــ : قراءة النص، دراسة فى الموروث النقدى - الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٨٨م.

٩- ــــــــ : مفهوم الشعر عند شعراء العباسيين – الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ٢٠٠٤ م.
١٠- ابن اسحاق الكُلَيْني الرازى : الكافى فى الإمامة – صححه وعلق عليه : على أكبر الغفارى – دار الكتب الإسلامية – طهران – إيران – الطبعة الثالثة – (د. ت).
١١- أسامة بن منقذ : البديع فى نقد الشعر – تحقيق : أحمد بدوى، حامد عبدالحميد – الحلبى – ١٩٦٠م.
١٢- بهاء الدين السبكى : عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص – القاهرة – عيسى الحلبى – ١٩٣٧م.
١٣- بشار بن برد : ديوان بشار بن برد : تقديم وشرح وتكميل / محمد الطاهر بن عاشر – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – ١٩٦٦م.
١٤- جمال عبدالمجيد : بلاغة النص، مدخل نظرى، دراسة تطبيقية – دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٩٩م.
١٥- ابن جنى : الخصائص – الهيئة المصرية العامة للكتاب – (د. ت)
١٦- حسن طبل : أسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية – دار الفكر العربى – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٩٨م.
١٧- حسنى عبدالجليل : أساليب الاستفهام فى الشعر الجاهلى – مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة الأولى – ٢٠٠١م.
١٨- حنا الفاخورى، وخليل الجر : تاريخ الفكر الفلسفى عند العرب – الشركة المصرية العالمية للنشر – لو نجمان – القاهرة – الطبعة الأولى – ٢٠٠٢ م.
١٩- الخطيب القزوينى : الإيضاح فى علوم البلاغة، المسمى بغية الإيضاح لتلخيص

المفتـاح – شرح عبـدالمتعال الـصعيدى – مكتبـة الآداب – الطبعـة الأولى – ٢٠٠٠م.
٢٠- ابن خلكان : وفيات الأعيان وأبناء ابناء الزمان – تحقيق : إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ١٩٦٨م.
٢١- الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن – تحقيق : محمد أحمد خلف الله – مكتبة القاهرة – القاهرة ١٩٧٠م.
٢٢- الزركشى : البرهان فى علوم القرآن – تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم – مكتبة دارالتراث – القاهرة – ١٩٥٧م.
٢٣- الزمخشرى : الكشاف – دار المعرفة – ١٩٥٧م.
٢٤- سعد الدين التفتازانى : المطول – مطبعة أحمد كامل – ١٣٣٠ هـ.
٢٥- ابن السراج : الأصول فى النحو – تحقيق عبدالحسين الفاتلى – مطبعة النعمان – النجف – ١٩٧٣م.
٢٦- سعد دغبيس : تيارات معاصرة فى الشعر الجاهلى – دار الثقافة – الزمالك – القاهرة – ١٩٨٠م.
٢٧- سعيد حسن بحيرى : علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات – الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٩٧م.
٢٨- السكاكى : مفتاح العلوم – دار الكتب العلمية – بيروت – (د. ت).
٢٩- سوزان فؤاد فهمى : شبه الجملة، دراسة تركيبية تحليلة مع التطبيق على القرآن الكريم دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة الأولى – ٢٠٠٣م.
٣٠- سيبويه : الكتاب – تحقيق : عبدالسلام هارون – دار القلم – القاهرة – ١٩٦٦م.

٣١- السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن – الحلبى – القاهرة – ١٩٥١م.
٣٢- السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات النحاة – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – الحلبى – القاهرة – ١٩٦٥م.
٣٣- ـــــ : معترك الأقران فى إعجاز القرآن – تحقيق : على محمد البجاوى – دار الفكر العربى – ١٩٧٣م.
٣٤- الشريف المرتضى : الأمالى – تحقيق : أبو الفضل إبراهيم – دار الفكر العربي – بيروت لبنان ١٩٩٨م.
٣٥- شفيع السيد : التعبير البيانى، رؤية بلاغية نقدية – دار الفكر العربى – القاهرة – الطبعة الثالثة – ١٩٨٨م.
٣٦- شوقى ضيف : عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية – العراق – إيران) – دار المعارف – القاهرة – الطبعة الرابعة – ١٩٩٦م.
٣٧- ـــــ : العصر العباسى الأول – دار المعارف – القاهرة – الطبعة الرابعة عشرة – (د. ت).
٣٨- صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص – الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان– القاهرة – الطبعة الأولي – ١٩٩٦م.
٣٩- ـــــ : علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨٨م.
٤٠- ـــــ : نظرية البنائية فى النقد الأدبى – دار الشروق – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٩٩٨م.
٤١- عبدالحكيم راضى : نظرية اللغة فى النقد العربى – مكتبة الخانجى – الطبعة الأولي – ١٩٩٧م.
٤٢- عبدالقادر حسين : فن البلاغة – مطبعة الأمانة – القاهرة – ١٩٧٧م.

٤٣- عبدالقاهر الجرجانى : دلائل الإعجاز – قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر – مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة الثالثة – ١٩٩٢م.
٤٤- ــــــــ :أسرار البلاغة :قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر –الناشر : مطبعة المدني – القاهرة – الطبعة الأولي –١٩٩١م.
٤٥- عز الدين إسماعيل : فى الشعر العباسى، الرؤية والفن – الناشر المكتبة الأكاديمية – الطبعة الأولي – ١٩٩٤م.
٤٦- العلوى : الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان – ١٩٨٢م.
٤٧- على بن الجهم : ديوان على بن الجهم – تحقيق : خليل مردم – دار صادر – بيروت –الطبعة الثالثة – ١٩٩٦م.
٤٨- عامر النجار : فى مذاهب الإسلاميين. الخواج، الإباضية، الشيعة – دار المعارف – الطبعة الأولي – ١٩٩٥م.
٤٩- ابن عقيل : شرح ابن عقيل على الألفية – تحقيق : محى الدين عبدالحميد – دار التراث – القاهرة – الطبعة العشرون – ١٩٨٠م.
٥٠- فتح الله سليمان : الأسلوبية مدخل نظرى ودراسة تطبيقية – مكتبة الآداب – القاهرة – ١٩٩٧م.
٥١- فخر الدين قباوة : إعراب الجمل أشباه الجمل - دار الآفات الجديدة – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٩٨١م.
٥٢- ابن فارس : الصاحبى فى فقه العربية – تحقيق : السيد أحمد صقر – الحلبى القاهرة – ١٩٧٧م.
٥٣- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم – دار المنار للنشر والتوزيع –القاهرة –(د–ت).
٥٤- لطفى عبد البديع : التركيب اللغوى للأدب –الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٩٧ م.

٥٥- كمال الدين بن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب – تحقيق – مصطفى جواد – المطبعة الهاشمية – دمشق – ١٩٦٢م.
٥٦- المبرد : المقتضب – تحقيق : محمد عبدالخالق عضيمة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر – ١٣٩٩ هـ.
٥٧- محمد أبو موسى : خصائص التراكيب / دراسة تحليلة لمسائل علم المعانى – مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الخامسة – ٢٠٠٠م.
٥٨- ــــــــ : دلالات التركيب. دراسة بلاغية – مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٩٨٧م.
٥٩- محمد باقر المجلسي : بحار الأنوار – نشر دار الكتب الإسلامية – طهران – ١٣٨٧ هـ.
٦٠- محمد بن الحسن الطوسي : الفهرست – تحقيق : محمد صادق بحر العلوم – المطبعة الحيدرية – ١٩٦١م.
٦١- محمد عبدالمطلب : البلاغة قراءة أخرى – الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – الطبعة الأولي – القاهرة – ١٩٩٧م.
٦٢- محمد بن على الجرجانى : الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة – تحقيق :عبدالقادر حسين – دار النهضة – مصر – (د. ت).
٦٣- محمد الهادى الطرابلسى : خصائص الأسلوب فى الشوقيات – المجلس الأعلى للثقافة – ١٩٩٦م.
٦٤- محمود فهمى حجازى : مدخل إلى علم اللغة – الناشر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – ١٩٩٨م.
٦٥- محمود ياقوت : قضايا التقدير النحوى بين القدماء والمحدثين – دار المعارف – القاهرة – ١٩٨٥م.
٦٦- مختار عطية : علم البديع ودلالات الاعتراض فى شعر البحترى، دراسة بلاغية

- دار الوفاء - لدينا الطباعة والنشر - الإسكندرية - الطبعة الأولي - ٢٠٠٤م.
٦٧- مصطفى السعدنى : البنيات الأسلوبية فى لغة الشعر العربى الحديث - منشأة المعارف - الإسكندرية - ١٩٨٧م.
٦٨- مصطفى الشورى : شعر الرثاء فى العصر الجاهلى. دراسة فنية - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة - الطبعة الأولي - ١٩٩٥م.
٦٩- ابن المعتز : طبقات الشعراء - تحقيق : عبدالستار فراج - دار المعارف - مصر (د. ت).
٧٠- منير سلطان : بديع التراكيب فى شعر أبى تمام. الجمل والأسلوب - منشأة المعارف - الإسكندرية - ١٩٩٩م.
٧١- موسى الموسى : الشيعة والتصحيح. الصراع بين الشيعة والتشيع - مطابع الزهراء الإعلامى العربى - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٩٨٩م.
٧٢- مازن الوعر : جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب فى ضوء نظرية النحو العالمى لتشومسكى - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة - الطبعة الأولي -١٩٩٩م.
٧٣- ابن مالك : عمدة الحافظ وعدة اللافظ - تحقيق : عبدالمنعم أحمد هريدى - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٧٥م.
٧٤- ابن هشام : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب - تصحيح محمد محى الدين عبدالحميد - مكتبة محمد على صبيح - القاهرة - (د. ت).

رابعًا: المراجع المترجمة إلى العربية :

١- جون كوين : بناء لغة الشعر – ترجمة وتقديم وتعليق : أحمد درويش – دار المعارف – القاهرة – الطبعة الثالثة – ١٩٩٣م.

٢- ديفد ديتش : مناهج النقد الأدبى بين النظرية والتطبيق – ترجمة : محمد يوسف نجم – دار صادر – بيروت – (د. ت) – ص ٥٩٨ .

٣- فندريس : اللغة – ترجمة : عبدالحميد الدواخلى ومحمد القصاص – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٥٠م.

خامسًا : المعاجم :

١- إبراهيم أنيس ورفاقه : المعجم الوسيط – اشرف على الطبع : حسن على عطية ومحمد شوقى أمين

٢- الزمخشرى : أساس البلاغة – دار صادر – بيروت – ١٩٩٢م.

٣- محمد إبراهيم عبادة : معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية – مكتبة الآداب – القاهرة – الطبعة الثانية – ٢٠٠١م.

٤- ابن منظور : لسان العرب – تحقيق : عبدالله على الكبير وزميليه – دار المعارف – (د. ت).

سادسًا : المخطوطات:

١- عبدالرازق محى الدين : أدب الشريف المُرْتَضَى – رسالة دكتوراة – كلية الآداب – جامعة القاهرة – ١٩٥٦م.

٢- منيب عبدالرازق : الغزل فى شعر الشريف المُرْتَضَى، دراسة موضوعية وفنية – رسالة ماجستير – كلية الآداب – جامعة القاهرة – ١٩٨٧م

سابعًا: الدوريات :

١- يان موكارفسكى : اللغة المعيارية واللغة الشعرية – تقديم وترجمة : ألفت كمال الزوبى – مقال بمجلة فصول – المجلد الخامس – العدد الأول – ١٩٨٤م.

المحتويات